جامعة الدول العربية

موسوعة التكامل الاقتصادي العربي الأفريقي

المركز الجامعي الدولي

التعايش في ظل التنوع العقائدي والثقافي

(كيف نجح الغرب وفشل المسلمون)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات العربية والإسلامية

مقدمة من الباحث

عبدالناصر فتحي طه مسعود

تحت إشراف

دكتور/ طلعت عكاشه عايد

أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية بالمركز الجامعي الدولي

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في موسوعة التكامل الاقتصادي العربي الأفريقي عناية جامعة الدول العربية بالتعاون مع المركز الجامعي الدولي

١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م

naser.masoud36@yahoo.com Whatsapp:002 01065650448

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

لجنة الحكم والمناقشة على الرسالة

التعايش في ظل التنوع العقائدي والثقافي

(كيف نجح الغرب وفشل المسلمون)

لجنة المناقشة والحكم:

الدكتور/ طلعت عكاشه عايد	**مشرفاً ورئيساً**
الدكتور/ محمد الطاهر	**عضواً**
الدكتور/ يوسف حسن يوسف	**عضواً**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بسم الله الرحمن الرحيم

فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِهِ فَلْيَعمَل عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشرِك بِعِبَادَةِ رَبِه أَحَدَاً.

(سورة الكهف، آية ١١٠)

صدق الله العظيم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

إلى العلماء العاملين، والدعاة المخلصين،

وطلاب العلم المجتهدين، وأبناء الأمة

الغيورين:

أهدي هذا العمل المتواضع سائلاً المولى عز وجل بأسمائه

الحُسنى وصفاته العُظمى أن يجعله خالصاً

لوجهه الكريم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر لله العلي العظيم الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع، والذي أسئلة أن يجعله خالصاً لوجه الكريم، كما أتوجه بالشكر لكل أسرتي الكريمة التي ساعدتني ووفرت ليّ الوقت والمال لإنجاز هذا البحث. كما أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور/ طلعت عُكاشة عايد، الذي ساعدني بالتوجيه منذ اختيار الموضوع وحتى الإخراج النهائي لهذا العمل؛ كما أتوجه بوافر الشكر لكل من الدكتور/ محمد الطاهر، والدكتور/ يوسف حسن يوسف، اللذان وافقا على مناقشة هذا العمل المتواضع.

ولله الحمد والشكر كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه من قبلُ ومن بعدُ،،،،،،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الملخص العربي	١
المقدمة	٢
الفصل الأول: وحدة الأمة الإسلامية عقيدة ومنهج	٦
المبحث الأول: مظاهر وحدة الأمة الإسلامية منذ فجر الدعوة.	٦
المبحث الثاني: مظاهر انفصال المسلمين عن المحيط الجاهلي في بداية الدعوة	١٢
المبحث الثالث: المسلمون أمة واحدة من دون الناس.	٢٠
الفصل الثاني: العوامل التاريخية التي أدت لتفريق صف المسلمين	٢٦
المبحث الأول: كراهية النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ للفرقة وتأكيده على نبذها.	٢٦
المبحث الثاني: تفرق الأمة بعد الخلافة الراشدة واستمرار هذا التفرق.	٣٣
المبحث الثالث: العهد الحديث وتفرق الأمة المسلمة إلى دويلات صغيرة.	٥٠
المبحث الرابع: محاولات رفض هذا التفرق ومحاولات الاندماج.	٦٣
الفصل الثالث: مفهوم الدولة القومية ونهاية هذا المفهوم على أرض الواقع	٧٦
المبحث الأول: تعريف الدولة القومية، ونشأتها.	٧٦
المبحث الثاني: اتفاقية سيكس بيكو وتقسيم المنطقة العربية والعالم إلى دول كثيرة.	٨٢
المبحث الثالث: فشل تطبيق القومية على أرض الواقع.	٩٦
الفصل الرابع: جوانب الشقاق في الفكر والشخصية الغربية ونماذج من السنوات العجاف من الحروب الغربية الغربية	١٠٧
المبحث الأول: أسباب الشقاق الفكري والعقائدي في الثقافة الغربية.	١٠٨
المبحث الثاني: الحروب الغربية الغربية في القرون الوسطى والعصر الحديث.	١٢٤
المبحث الثالث: دعوة المفكرين الغربيين لنبذ أسباب الحروب والاتجاه	١٤٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى التوحد.	
<u>الفصل الخامس:</u> الدروس المستخلصة وكيفية نبذ أسباب الخلاف والعودة إلى وحدة الصف	١٦١
المبحث الأول: أسباب الخلاف.	١٦١
المبحث الثاني: وسائل القضاء على الخلاف.	**١٦٨**
الخاتمة	**١٨٩**
المراجع	١٩٢
الملاحق: استمارة استبيان	١٩٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الملخص العربي

نحن لا يُمكن ان نشك للحظة واحدة ولا حتى جزء من هذه اللحظة انه يوجد فرد على ظهر الأرض مسلماً أو عربياً ولا يكون حزيناً بسبب ما وصلت إليه الأمة العربية والمسلمة لحالة لم يسبق لها مثيل من التشرذم والتفرق ما أدى بها إلى أن تكون في زيل الأمم– بل بعد الزيل بكثير– ولا يهمنا هنا البكاء على هذا الوضع المذري المُخجل بقدر ما يهمنا من معرفة اسباب هذا التفرق ومن ثم محاولة تلمس الطريق لكي نعود كما كنا أمة واحدة كما أرادها الله وكما هيئها لذلك بفضل وحدوية المنهج الرباني الذي يجب أن تسير وفق هداه.

والحقيقة إني أرى نفسي أضعف من أن أقدم هذا الطرح ولكن أبذل وأنادي بهذا الصوت الضعيف فعلينا النداء وعلى من يملك مفاتيح القلوب البلاغ. وإني من خلال هذا العمل المتواضع أنادي بأنه إن لم تكن أداة من أدوات التجميع بين مفردات الأمة فإياك أن تكون أداة من أدوات التفريق. هذه الأدوات التي تحمل في بعض جوانبها ادعاءات دينية أو مذهبية أو طائفية أو وطنية. فلا مناص من أن نعترف أن الحق واحد ولكن كل يراه وفقاً لما مرّ به من تجارب حياتية شكلت في النهاية مستوى الفكري والثقافي وطريقته لتفسير الأمور ومن ثم رفضها أو قبولها.

نحن هنا في هذا البحث المتواضع نحاول فقط نحاول أن نُلقي الضوء على أسباب الخلاف ودوافعه والأدوات التي يتحرك بها ومنْ هو الكاسب في نهاية المطاف من استمرار حالة التشرذم هذه؛ وإذا عرفنا هذه العناصر سهل علينا أن نُقلل من تأثيرها إن لم نستطع أن نقضي عليها في مهدها كل فرد على قدر مستواه وعلى قدر موقعه، وكل واحد منا على ثغر من ثغور هذه الأمة فلا يجب أن تُؤتى الأمة من قِبله؛ والله ولي التوفيق وهو القادر عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

إن الناظر إلى عالم اليوم يرى أمة الإسلام أمة جمعها الرحمن وفرقها الشيطان، يرى أمة قد أودع الله فيها من عوامل الوحدة والتآلف والتراحم ما لم يمنحه لغيرها، يرى هذه الأمة وقد ضلت طريق الوحدة فأصبحت دول وكل دولة لها رئيس وجيش ومؤسسات، يرى هذه الأمة وقد تفرقت وتحولت إلى جماعات، وأحزاب شتى لكل جماعة أمير مُطاع وفي بعض الأحيان لكل جماعة جيش وقضاة، يرى هذه الأمة وقد دخلت في كهف بغيض وتيه وعظيم؛ الكل يبحث عن الطريق القويم فيرى دعاة من كل جانب، كلُ يزعم أن الهدى معه وينادي كل من يرى "أن ائْتِنَا فنحن الناس"؛ وعموم الناس حيارى فليس معهم من العلم الشرعي ما يردوا به على كثير من الشبهات المطروحة وليس لهم من علوم الدنيا ما يستدلون به على أي الطُرق أفضل. فلاذ بعض العقلاء بالصمت وانجرف مَنّ انجرف من عوام الناس وأنصاف المتعلمين في جدل عقيم فالكل يزعم أن الهدى معه؛ وتطور هذا الاختلاف حتى صارا خلافاً دموياً في بعض الأحيان وخلافاً فكرياً يدعوا لمزيد من التفرقة بين صف الأمة الواحدة حتى رأينا من يُحرِم الزواج من بعض الجماعات أو التزويج لهم، ورأينا بعض الجماعات تقف مع من هو معلوم أنه من خارج صف الأمة المسلمة من اليهود على سبيل المثال ضد المجموعات التي تحارب اليهود المحتلين. نرى هذه الأصوات تلقي باللوم على مَنْ يُقاوم هذا المحتل وهو من أشد الناس عداوة للذين أمنوا ولهم في ذلك حجج كثيرة أبسطها أن هذه الجماعات المحاربة لليهود مبتدعة أو لم تتبع الأسلوب الأمثل في إدارة الصراع. أي ما نراه لا يُمكن أن يُوصف بغير الفشل.

وعلى الجانب الأخر نرى بلاد الغرب وقد نجحت في إذابة الخلافات التي بينها فنرى متصارعوا الأمس أصدقاء اليوم ونرى القارة الأوربية وقد أرهقت نفسها بالحروب الدامية التي يشيب لوصفها الوليد نراها اليوم ولا توجد حدود قومية بالمعنى القديم فيستطيع الفرد من هذه البلاد أن ينتقل دون مسوغات رسمية أو الوقوف في طوابير التأشيرات بل ذهب الأمر إلى أبعد من ذلك فنرى وحدة في العملة ووحدة في السياسة الخارجية ووحدة إلى حد بعيد في المناهج التعليمية. يحدث هذا رغم اختلاف العقائد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واختلاف الأعراق واختلاف اللغات. وما حدث في أوربا حدث في الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الأعظم في القرن الماضي وحتى الآن.

مما سبق يُمكننا صياغة مشكلة البحث في الأسئلة الآتية:

١- هل توجد مقومات للوحدة بين المسلمين؟

٢- لماذا فشل المسلمون رغم امتلاكهم كل أدوات الوحدة ونجح الغرب رغم وجود أسباب الشقاق؟

٣- من خلال اعترافنا بأسباب الفشل هل يُمكن صياغة نموذج للنجاح؟

وتأتي هذه الدراسة في مقدمة وخمسة فصول؛ يتكلم **الفصل الأول** عن وحدة الأمة الإسلامية عقيدة ومنهج، ويتحدث **الفصل الثاني** عن العوامل التاريخية التي أدت لتفريق صف المسلمين، ويتكلم **الفصل الثالث** عن مفهوم الدولة القومية ونهاية هذا المفهوم على أرض الواقع، ويتكلم **الفصل الرابع** عن السمات العامة في الفكر والشخصية الغربية ونماذج من السنوات العجاف من الحروب الغربية الغربية، ويدور **الفصل الخامس** عن الدروس المستخلصة وكيفية نبذ أسباب الخلاف والعودة إلى وحدة الصف، ثم تأتي بعد ذلك التوصيات والمراجع.

خطة الدراسة:

الفصل الأول: وحدة الأمة الإسلامية عقيدة ومنهج

المبحث الأول: مظاهر وحدة الأمة الإسلامية منذ فجر الدعوة.

المبحث الثاني: مظاهر انفصال المسلمين عن المحيط الجاهلي في بداية الدعوة

المبحث الثالث: المسلمون أمة واحدة من دون الناس.

الفصل الثاني: العوامل التاريخية التي أدت لتفريق صف المسلمين

المبحث الأول: بداية الفُرقة في عهد النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ وتأكيده على نبذها.

المبحث الثاني: تفرق الأمة بعد الخلافة الراشدة واستمرار هذا التفرق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: العهد الحديث وتفرق الأمة المسلمة إلى دويلات صغيرة.

المبحث الرابع: محاولات رفض هذا التفرق ومحاولات الاندماج.

الفصل الثالث: مفهوم الدولة القومية ونهاية هذا المفهوم على أرض الواقع

المبحث الأول: تعريف الدولة القومية، ونشأتها.

المبحث الثاني: اتفاقية سيكس بيكو وتقسيم المنطقة العربية والعالم إلى دول كثيرة.

المبحث الثالث: فشل تطبيق القومية على أرض الواقع.

الفصل الرابع: جوانب الشقاق في الفكر والشخصية الغربية ونماذج من السنوات العجاف من الحروب الغربية الغربية

المبحث الأول: أسباب الشقاق الفكري والعقائدي في الثقافة الغربية.

المبحث الثاني: الحروب الغربية الغربية في القرون الوسطى والعصر الحديث.

المبحث الثالث: دعوة المفكرين الغربيين لنبذ أسباب الحروب والاتجاه إلى التوحد.

الفصل الخامس عن الدروس المستخلصة وكيفية نبذ أسباب الخلاف والعودة إلى وحدة الصف

المبحث الأول: أسباب الخلاف.

المبحث الثاني: وسائل القضاء على الخلاف.

الخاتمة

التوصيات

المراجع

الملاحق: استمارة استبيان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

وحدة الأمة الإسلامية عقيدة ومنهج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

مظاهر وحدة الأمة الإسلامية منذ فجر الدعوة

كان من الواضح للعيان أن تلك الأمة الوليدة في مكة تختلف اختلافاً جذرياً عن غيرها من القبائل. فالمسلمون الأوائل ليسوا قبيلة لها رئيس تأتمر بأمره وتقدس خطاه؛ ولكن هذه الفصيلة من الناس لها شعائر في تعبدها تختلف عن الشعائر الموجودة ولها رئيس ... نعم... مُطاع... شأن كل رئيس.... ولكن هي في الواقع ليست ككل طاعة فالطاعة هنا نابعة من حب لا يُوصف والطاعة هنا اشتملت على الطاعة في المنشط والمكره وفي السر والعلن والتقديس لهذا الرئيس ليس في لحظات المواجهة ورؤية العين ولكن كان المسلم ولا زال يُرى بهذه الطاعة ويدخل تحت لوائها حتى وهو خالياً بينه وبين نفسه راضياً مختاراً. وبلغ ببعضهم التعذيب حتى مفارقة الحياة من أجل ماذا؟ من أجل أن ينطق بكلمة هجاء أو سب لهذا الرئيس والرسول ولكن هذ الأمر لم يحدث!!!!

ومن أهم تلك المظاهر حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلّمْ له حتى أنهم عُذبوا ونُكل بهم فلم ينحنوا ولم يهنوا؛ ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

بلال بن رباح تحت تعذيب أمية بن خلف

بلال بن رباح الحبشي[1] رضي الله عنه كان يُردد وهو تحت التعذيب أَحدٌ أحدْ. بلالُ بن رباح ذاق تعذيبًا بدنيًّا ومعنويًّا لا يكاد ينقطع. فقد كان أمية بن خلف يضع في عنقه حبلاً، ثم يأمر أطفال مكة أن يسحبوه في شوارعها وجبالها، حتى كان يظهر أثر الحبل في عنقه؛ وكان أيضًا يمنع عنه الطعام حتى يكاد يهلك جوعًا؛ وكان يأخذه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على الصخور والرمال الملتهبة في صحراء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة لا يقوى على حملها إلا مجموعة من الرجال،

(١) خالد محمد خالد "رجال حول الرسول" ، المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م، ص٢٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتوضع على صدره، ثم يقول له: لا والله لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعُزى[١].

ألم، وجراح، ودماء، وفي ذات الوقت كان من بلال صبر، وعزم، ويقين، بل وأمل في أن هذه – ولا شك – دورة سريعة من دورات الباطل، لا محالة تسلم الراية بعدها وفي النهاية للمؤمنين.

كانت توجعات وآهات بلال في كل ذلك ليست إلا: أحدٌ أحدْ. وحين سُئل: لماذا هذه الكلمة بالذات؟! أجاب: لأنها كانت أشد كلمة على الكفار، فكان بلال بن رباح رضي الله عنه يريد أن يغيظهم بها.

وفي صبر عجيب ظل بلال رضي الله عنه في هذا التعذيب حتى اشتراه أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم أعتقه بعد ذلك. ومرت الأيام ونُسي الألم، ولكن بقي الأجر، فكانت قاعدة: يذهب الألم ويبقى الأجر إن شاء الله.

قصة صبرًا آل ياسر

كان ياسر وزوجه سُمية[٢] – رضي الله عنهما– والدا عمار بن ياسر رضي الله عنه، قد دفعهما القدر لأن يقعا تحت يدي رأس الكفر نفسه، أبي جهل لعنه الله، فعذبهما أبو جهل تعذيبًا شديدًا، وقد زاد العذاب وتجاوز الأمر الحدود حتى وصل إلى إزهاق أرواحهما، فقُتل ياسر، وقُتلت سُمية رضي الله عنهما، قُتِلا في بيت الله الحرام جرَّاء التعذيب والتنكيل.

ما ذنبهما أن يُعذبا حتى تُزهق أرواحهما؟! بأي ذنب قُتلا؟! سؤال نوجه لمن سَلّح يده بكرباج أو سياط، ما ذنبهما حتى يُقتلا؟! ما جريرتهما؟! اللهم ليس إلا

---

(١) للمزيد؛ الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، "الإصابة في تمييز الصحابة" دراسة وتحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ص ٢٦٠

(٢) مرجع سابق "رجال حول الرسول" ص (٧٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾[١]، ﴿ وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾[٢].

كانت الجاهلية الأولى تُعذب وتُحاصر وتقتل هذه النواة الأولى للأمة المسلمة ليس لمجرد أن مجموعة من ضعفاء الناس ودهمائهم يجتمعون في مكان ما!! يجلسون إلى رجل يزعم أنه نبي فيأتمرون بأمره وينتهون عن ما ينهاهم عنه... ثم إنهم إلى هذه اللحظة لم يُحطموا صنمًا ولم يمنعوا أحد من موروثاته القديمة... هم فقط اعتزلوا عموم الناس في ما يعبدون وفيما يُقدسون. لكن الجاهلية لم تكن بهذه السذاجة التي تترك هذه النواة لتكبر شيئاً فشيئاً فهي على يقين أن كل نمواً لهذه النواة الصغيرة هو حتماً على حسابها ليس فقط في الأرض وفي عدد أتباع هذه النواة الجديدة الوليدة ولكن فيما تملكه هذه الجاهلية من رصيد في قلوب الناس من قريب ومن بعيد[٣]. أدركت الجاهلية في فجر الإسلام ذلك وما زالت تدركه إلى يومنا هذا ولن تتخلى عنه ما بقيت السموات والأرض. قد تختلف أساليب المواجهة وأساليب إدارة الصراع إلا إن العداء موجود فكلما ردد المسلمون في صلواتهم.

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ(٢)﴾ [٤] دل ذلك على إصرار المسلمين على تمسكهم بتلك العقيدة ونبذ العقائد الأخرى فترى دعاة السُبل يموتون كمداً في حالة قوة وتوحد الصف المسلم الموحِدّ أو يعلنون الحرب والعداء لمجرد تماسك هذا الصف الموحِدّ في حالة سماح الظروف بإعلان الحرب بصراحة ووضوح[٥].

---

(١) سورة النمل آية (٥٦)

(٢) سورة البروج آية (٨)

(٣) بتصرف؛ الشيخ محمد متولي الشعراوي "تفسير سورة الكهف"، أخبار اليوم، مصر،٢٠٠٦م ص ٤.

(٤) سورة الكافرون آية (١، ٢)

(٥) أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي(المشهور بين قيم الجوزية) "زاد المعاد في هدي خير العباد" ١٩٩٩م ط٣٠ص ٢٠٣ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت الأمة المسلمة لها علامات مميزة منذ فجر الدعوة ولكن كلما ضعفت الأمة وتخلت عن مصادر تماسكها ذاب هذا الخط الفاصل بين المسلمين وغيرهم فلا نكاد نرى عند النظر من بعيد إلى الجمع الغفير ما يُميز هذا عن ذاك. ولكن رغم ذلك الهوان إلا أنه مازلنا نرى هذا الانفصال والرغبة في اللجوء إلى ذلك الكيان الضخم المترامي الأطراف في الزمان والمكان كيان تلك النواة الأولى نرى ذلك الشيء الذي ظل موجوداً في نفوس أتباع هذا الدين وإن ضعفت جذوة العقيدة في نفوسهم وماتت الغيرة أو كادت على انتهاك حوزة هذا الدين وتدنيس مقدساته. ظل هناك شيء في نفوس هذا النسل الضعيف الهزيل من – تلك النواة الأولى– هذا الشيء يقول له أنت من عائلة كبيرة ومن أصل طاهر أنت أكبر مما تتخيل أنت من أصحاب مجد تليد ولن تجد هذا المجد إلى عندما تتبع ملة أبيك إبراهيم. فعندها ستعود جزء من كيان ضخم كبير؛ كيان له عقيدة واحدة ومنهج واحد بل ووحدة في تصورات الحياة وطُرق التعامل بين أفراد المجتمع الداخلي والخارجي.

كانت الأمة المسلمة منذ ميلادها في مكة تأخذ جانباً غير جانب مكة بكل ما فيها من قبائل وجاهليات جاهلية قائمة في مكة متمثلة في عبادة الأصنام وبقية من ما تركت النبوات في الأزمنة الماضية من تقديس للبيت العتيق وإكرام الحجيج والمعتمرين، وجاهلية خارج نطاق مكة من قبائل العرب كانت تُقدس البيت العتيق ولكن من خلال عقيدة مشوشة ورؤية غير واضحة ومنهج أعرج يجعلهم يحترمون المناسك ويتقاتلون لمجرد الاختلاف على سباق خيل فيستمر القتال سنوات طوال[١]. وكانت هذه الجاهلية التي تموج بها جزيرة العرب وما حولها لا تخلوا من بعض مكارم الأخلاق كحق الجوار وإكرام الضيف والشجاعة، والمروءة وغيرها. وفي البداية وحتى في كل مراحل تطور الفكر الإسلامي لم يحدث تعارض أو حتى مجرد التقليل من قيمة هذه القيمْ النبيلة بل إن الإسلام شجعها وهذبها ورفع من شأنها على اعتبارها أمر فطري فطر الله النفوس السليمة عليها؛ ولكن لكي نضع الأمور في

(١) ابن سيد الناس (أبي الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى – ت ٧٣٤هـ) (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت : دار الآفاق، ١٩٧٧م، ص٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نصابها فهذه المبادئ العالية والقيم النبيلة لم تكن ولن تكون قادرة على بناء أمة مترامية الأطراف قادرة على تلبية مطالب وطموحات أفرادها والدفاع عنهم ضد المعتدين من الخارج. لذلك لم يُعوّل النبي العدنان صلى اللهُ عليه وسلمْ كثيراً على هذه الأخلاق التي تتميز بها الجاهلية المحيطة ولم يجلس هو والمسلمون الأوائل رضي الله عنهم في بيوتهم أو في تجمعاتهم يكتفون بالبكاء على حالتهم من الضعف والهوان أو التغني بأخلاق الكفار الحميدة؛ ولكنهم كانوا يعكفون على بناء تلك الأخلاق على عقيدة ثابتة وعلى نفوس لا تلين، كانوا يعكفون على بناء هذه الأخلاق وما يتعلق بها من سلوكيات على أساس أن تكون موجهة لله ولله وحده فقد أعلن صلى اللهُ عليه وسلمْ أنه بُعث لكي يُتمم مكارم الأخلاق، وأن من أقوى عُرى الإيمان البُغض في الله والحبُ في الله. هكذا كانت الأمة المسلمة تتحرك حول محور طاعة الله وطاعة الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ[1].

من هنا نرى أن هذه النواة أصبحت مُميزة؛ مُميزة في المنهج، مُميزة في الأخلاق، مُميزة في تصورات الحياة، مُميزة حتى في خصامها وفي صُلحها، مُميزة في حربها وقتالها وسلمها، مُميزة في أفراحها وفي أحزانها حتى في دفن موتاها، مُميزة في نوعية الدوافع التي تدفعهم لأفعالهم، مُميزة حتى لو فعلوا نفس الأفعال أو سلكوا نفس السلوكيات التي يسلكها الآخرون. فقد يصدق غير المسلم ولكن هذا الصدق يختلف في الأسلوب وفي المنهج وفي الدافع الداعي له عنه عند المسلمين، ولو ظللنا نُعدد جوانب هذا التمايز لَما استطعنا له عداً وما استطعنا له حصراً. هذا التمايز نتج عنه نوعاً من الانعزال وانحصار أفراد الأمة المسلمة في أحاد معدودة إن كانوا قِلة وسط مجتمع كبير مخالف لهم في تصورات الحياة. فأفراد الأمة المسلمة يأكلون ويشربون ويتعاملون بطريقة هي في الأساس مُنبثقة من عقيدة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(١) الشيخ صالح بن فوزان الفوزان "التوحيد" المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر ٢٠٠٤م، ص ١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا التمايز أدى لنوع من التصفية والتنقية والخلوص فلا يستطيع أن يتمسك بتلك العقائد كل الناس ولا يستطيع أن يؤمن بها رغم بساطتها كل الناس حتى في الصف المسلم فيختلف الناس في درجاتهم عند الله فأكرم الناس عند الله اتقاهم ودرجة التقوى من يرى تعاليها وتدنيها في النفوس والقلوب هو منْ يعلم السر وأخفى الرحمن على العرش استوى. ولكن يبقى صاحب الدرجة الدُنيا يحلم ويتطلع لأن يصل في مراتب الإيمان إلى المراتب العليا فالمؤمن القوي خيرُ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف. ظل كل من ينتسبون لهذا الدين ينظرون إلى القمم السامقة من الأنبياء وأصحاب الأنبياء ومن تبعهم بُغية أن يصلوا إلى المراتب العُلا. وهم في ذلك لهم صفات لا يُمكن لكل ذي عينين أن يُنكر هذا التمايز بينهم وبين غيرهم. هذا الصفات المميزة لا تختلف باختلاف البلاد ولا باختلاف الحكام ولا باختلاف الأزمان فالشيء الحرام هنا هو الحرام هناك مهما بعد هذا الـ (هناك) في الزمن أو المكان. فكانت هذه الأمة واحدة مهما تقطعت بفعل صراعات سياسية أو احتلالات من قوى البغي والشرك خلال فترات مختلفة من تاريخ هذه الأمة. فقد ظل السواد الأعظم منها لا يعترف بهذا التفرق وهذا التشرذم وظل المسلم عندما يذهب إلى بلد مسلم أخر يشعر بأنه وسط مجتمعه وبين أهله وإن اختلفت الحكومات أو الأزمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

مظاهر انفصال المسلمين عن المحيط الجاهلي في بداية الدعوة

لم يدعو النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ إلى تكوين دولة أو أمة واحدة من دون الناس في بداية الدعوة ولكن كان كل المراقبون من القوى المحيطة بهذه الأمة الوليدة يرون ذلك واضحاً. فلا يوجد معنى لاعتقاد الناس بأن لا إله الله محمد رسول الله بغير الانفصال عن الجسد الجاهلي المحيط. هذا الانفصال لم يكن انفصال جسدي مكاني بقدر ما كان انفصال فكري معنوي إنه انفصال القلوب والأرواح. كانت الدعوة الإسلامية وصاحبها بفضل ما أُوتوا من قوة وواقعية في المنهج وبساطة في أسلوب العرض قادرين على احتلال هذه النفوس حتى أشد أعداء الدعوة في بدايتها لم يستطيعوا أن يُحاربوها فكرياً فكان اللجوء إلى الحرب القذرة التجويع والحصار والتعذيب والقتل في غير ميادين قتال؛ لم تكن هذه الجاهلية البالية تملك غير ذلك؛ وهكذا هي في كل زمان ومكان لا تستطيع قوة من القوى أن تقف أمام منهج العلم والمنطق والرحمة. منهج الفطرة السليمة فكانت الحجج المتكررة واللجاجة المتتالية تقول ﴿إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾[1]. ظلت هذه اللجاجة رغم اختلاف الأزمان والأماكن تقول ﴿نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾[2]، كانت هذه الأقوال تتساقط كما يتساقط الفراش المبثوث أمام الأمة المسلمة وأمام نبيها فلم يعرها اهتمام كان الاهتمام الأول لهذه الثُلة المؤمنة هو تصحيح التصورات في النفوس وشد القلوب إلى خالقها وتنقية هذه النفوس من علائق الدنيا ودنايا الأرض إلى هذا الأفق الوضيء إلى الله ورسوله وما علق بهما من منهج قويم.

هذا الربط الفكري والنفسي أدى لشعور المسلمين بأنهم غير هذا المحيط المترامي في الجزيرة العربية وما حولها فهم من نسل خليفة الله في الأرض آدم عليه السلام ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾[3] فهم مُستخلفون في الأرض يأتمرون بأوامر

---

(١) سورة القصص آية (٥٧).

(٢) سورة النساء آية (١٥٠).

(٣) سورة البقرة آية (٣٠).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من استخلفَهم وينتهون عن ما ينهاهم عنه هم ليسوا مجرد مجموعة من العمال المأجورون عند صاحب عمل بل هم مأجورون فعلاً ولكن عند ملك الأرض والسماوات فهم يتركون الأجر القريب الفاني ويطمعون في الأجر البعيد الباقي.

هذا الفكر وهذه العقيدة في النفوس أدت لظهور أفراد الأمة المسلمة بمظهر مُميز غير كل الناس فقد يرى الناس في موطن معين أن أفعال الثُلة المؤمنة هو الهلاك والخسران المبين ويرى الأفراد المؤمنون من هذه الأمة هذا العمل هو قمة النجاح والفلاح. ظهر ذلك في مواطن كثيرة فأصحاب الأخدود مجموعة من الموحدين أمنوا بهذا الفكر واعتقدوا هذه العقيدة فكانوا يلقونَ في الأخاديد أفراداً ومجموعات وهم مُقبِلون على التّحريق والموت المحقق لا محالة دون أمل في نصر دنيوي أو مكسب مادي كانوا يُقبِلون على هذا التّحريق بنفوس راضية مطمئنة لأنهم يؤمنون بمجد غير المجد الذي نراه ويؤمنون بفوز غير هذا الذي نراه؛ ويؤمنون بعلو وقيم غير هذا الذي نراه في الدُنيا الفانية والنصر الذي هو وإن تحقق هو نصر مرتبط بحدود الزمان والمكان الذي حدث فيه.

بهذا الفكر وتلك العقيدة واجه أصحاب الكهف مُعاصريهم ومواطنيهم فاتخذوا سبيل غير السبيل المعهود ونبذوا تلك الأفكار وهم يرون الكفر والجاهلية تموج في الأرض وفي النفوس فلم يكن هناك أدوات للمواجهة وكانت المناقشة هي نوع من الجدل العقيم فماذا يفعل هؤلاء الفِتية؟؟؟ فكان الاعتزال والهروب من الكفر المتمركز المنتشر، الهروب لا إلى هدف معين فهم فقط يريدون أن يبتعدوا عن قومهم الذين اتخذوا من دون الله آلهة بدون سُلطان بَيّنٍ وبدون دليل من علم أو منطق. لقد بلغ ضلال القوم مداه ولم يكن في يد الفِتية المؤمنة غير هذا الانفصال وذهبوا هناك بعيداً عن القوم ودخلوا في الكهف كان همهم الأول هو البُعد عن هذه الجاهلية فأنامهم وأمّنهم الله في هذا الكهف مئات السنين قبل أن يبتعثهم من جديد.

هذه القصص وقصص أخرى كثيرة ذكرها الله للأمة المسلمة بصورة من المدح ولا يستطيع مؤمن موحد أن يتهم أبطال هذه القصص بالتقصير أو عدم التصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بأسمى درجات النُبل والذكاء بل هي ذُكرت لتكون عبرة لمن يأتي بعدها ونبراساً نهتدي به عندما نفقد الحل ونفقد القدرة على معرفة الطريق. فطريق الأمة المسلمة هو غير طريق الناس هو طريق أصحاب الكهف وطريق أصحاب الأخدود طريق الأنبياء والرسل طريق العطاء وعدم انتظار الجزاء من مخلوق﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرً﴾[١]. طريق الأمة المسلمة هو طريق محفوف بالمكاره والصبر بلا حدود والنظر دائماً إلى ما عند الله ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [٢]. فكان الناس دائما في عقيدة المؤمن الموحد إما يريدون وجه الله وإما غفلت قلوبهم عن ذكر الله فهذا طريقهم قويم وهؤلاء أمرهم فُرطا ومتناثر لا يجتمعون على رأي ولا يأتلفون على طريقة واحدة في الحياة. كان الناس في نظر المؤمن الموحد حزبان؛ إما حزب الله وأولئك هم المفلحون، وإما حزب الشيطان وأولئك هم الخاسرون. كان الناس في نظر المؤمن الموحد فريقان؛ فريق في الجنة، وفريق في السعير. كان الناس في نظر المؤمن الموحد دائماً وأبداً فريقان مختصمون. وفي نفس الوقت كان هناك ناس في نظر المؤمن الموحد هم مجموعة من الرجال والنساء المستضعفين المهضومين يبحثون عن الناصر وعن المُعين فكانت الأمة المسلمة ترى نفسها حامية حمى الحرية الإنسانية ومُغيثة لمن استغاث بها بغض النظر عن عقيدة هؤلاء المستضعفين ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾[٣].

فلم تكن الأمة الإسلامية يوم عزها ومجدها بتلك الأمة الخاملة ولكنها كانت أمة تدافع عن كل الجنس البشري وكانت حروبها هي حروب تحرير لهذا الجنس البشري وليس من أجل احتلال أرض أو امتلاك ثروات فلما دخل الرسول الأعظم

---

(١) سورة الإنسان آية (٧٦).

(٢) سورة الكهف (٢٨).

(٣) سورة التوبة آية (٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صلى اللهُ عليه وسلمْ مكة المكرمة وحطم الأصنام قال لأهلها وهم بالأمس عدو الإسلام الأول وشوكة الكفر التي صعب كسرها قال لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء. وهكذا كان المحاربون في الإسلام يحاربون من أجل تحرير الناس من كل العقائد الكافرة وصور استعباد الناس للناس ثم يقولوا قولة نبيهم الأولى اذهبوا فأنتم الطلقاء من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وكان عوام الناس ينظرون إلى هذا الجيش الذي أزال حكامهم وطوغيتهم فإذا بأفراد هذا الجيش لا يقتلون شيخاً ولا امرأة ولا صبياً ولا يقاتلون إلا من ناصبهم العداء ولا يذبحون إلا بقدر ما يأكلون وهم أنزه ما يكونوا عن دنايا الدُنيا وشهوات الملوك. فكانت أنباء جيوش التوحيد تنتشر هنا وهناك فكان احتلال الإسلام للأرض هو الخطوة الأخيرة التي يسبقها خطوات من بينها سيطرة الإسلام على النفوس والصدور وسيطرة الإسلام على العقول كل ذلك قبل السيطرة على الأبدان والأطيان؛ هذا التمايز وهذه الصفات كانت مظهراً لا يُنكره حتى أعداء الدين الذين عادوه لا لشيء إلا لأنهم يكرهون مبادئ العدل والرحمة والمساواة التي كان يفرضها الإسلام على الحاكم قبل المحكوم. كانت أنباء هذا الحاكم القابع في المدينة الذي يحكم تلك الجيوش الغازية تروي قصته، وهو يقول إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد في مكة، فهو ليس فرعون يقول ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾[1] ؛ وبعد انقضاء فترة الوحي وصعود روح النبي الأعظم إلى الرفيق الأعلى صلى اللهُ عليه وسلم ظل أصحابه رضوان الله عليهم على نهجه حتى قضى الله أمراً كان مفعولا؛ فكانت أنباء هذا الحاكم القابع في المدينة الذي يحكم تلك الجيوش الغازية تروي قصته، وهو يقول لأحد ولاته منذ متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا[2]؛ كانت أنباء هذا الحاكم القابع في المدينة الذي يحكم تلك الجيوش الغازية تروي قصته، وهو يُحاسب ولاته على أنهم بعثوا لهداية الناس وأن محمداً صلى اللهُ

---

(١) سورة غافر آية (٢٩).

(٢) ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي) : زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، بيروت – الكويت: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية –الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عليه وسلمْ بُعث هادياً ولم يُبعث جابياً. كانت أنباء هذا الحاكم القابع في المدينة الذي يحكم تلك الجيوش الغازية تروي قصته، وهو يسير في الطُرقات ويمشي في الأسواق ويتعسس في الليل ليرى بنفسه أحوال رعيته التي استرعاه الله إياها بل كانت القصص تروى عن عدله ورحمته وكيف أدى به ذلك لأن ينام في ظل شجرة هكذا دون خوف من أحد حتى قال أحد رسل أعدائه وهو مذهول بما يرى "حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عُمر"(١). كانت أنباء هذا الحاكم القابع في المدينة الذي يحكم تلك الجيوش الغازية تترامى أمام أعينهم فيروا حاكماً ليس إلهاً ولا نصف إله ولكنه رجل من الناس يمشي في غبرائهم ولا يأكل حتى يأكلون، هم ليسوا أنبياء ولكنهم تشبهوا بهم قولاً وفعلاً. عندما كانت تطاير تلك الأخبار وتتناثر كحبات المطر على النفوس القاحلة في بلاد الكفر فكانت تُنبت أول ما تُنبت خلخلة لتلك العقائد الكُفرية البالية، ثم تُنبت بعد ذلك حب واستشرافاً لهذا الدين ولحاملي هذا الدين فكان غزو الأرض يأتي في مرحلة متأخرة من غزو النفوس والقلوب والعقول.

كل هذا التمايز والوضوح فيما بين أمة التوحيد وغيرها من الأمم جعل وحدة الأمة المسلمة الموحِدة من البديهيات التي لا يجوز الاقتراب منها أو حتى مناقشتها؛ ولم يكن ليدور في خلد المؤمنين في بداية ونشأة هذه الأمة أبداً أن ينقسم الصف المسلم إلى صفوفِ متناحرة متقاتلة وأن تنقسم الجماعة والأمة الموحِدة إلى جماعات شتى ودويلات صغيرة متصارعة متقاتلة بأسهم بينهم شديد وسيوفهم مشرعة ومسلطة على رقاب بعضهم البعض؛ هذا هو حال الصف المسلم الموحِد بعد فترة من القوة والعزة والمجد؛ أما حال أعدائهم فظلوا دائماً وأبداً مشجعين لهذه الخلافات وهذه الحروب بل وفي كثيراً من الأحيان من معاوني تلك الفِرق ما دام القاتل والمقتول من المسلمين. أصبح أعداء الأمة المسلمة في مأمن فهم يظلمون كيف شاءوا ويقتلون دون رادع من ضمير أو قانون فهم ﴿لا يرقُبون في مؤمن إلاّ ولا ذمَّة وأولئك هم

(١) ابن هشام (أبو محمد بن عبد الملك) : السيرة النبوية ، دمشق : دار الفكر، د. ت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعتدون﴾[1] أي لا يرقبون في مؤمن عهداً ولا ميثاق ولا حلف ولا جوار والله أعلم بمراده[2].

ومن مظاهر وحدة الأمة المسلمة وتمايزها عن غيرها في بداية الدعوة:

أولاً: تعامل المسلمين الأوائل ككيان مستقل عن البيئة المحيطة بهم وهذا الأمر ظهر في محاولات الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ في نشر الدعوة فمرة يذهب إلى الطائف ومرة أخرى يأمر المسلمين الأوائل بالهجرة إلى الحبشة هروباً من ضغوط قريش على هذا الكيان المتوحد الوليد.

ثانياً: دخول كفار قريش في مفاوضات مع رأس الإسلام صلى اللهُ عليه وسلمْ في مفاوضات ومحاولات احتواء متعددة ليس لشخصه الكريم ولكن لكل أتباعه رضوان الله عليهم أجمعين؛ حدث ذلك بعد أن أصبح الإسلام ينتشر يوماً بعد يوم وتزداد قوته ودخول مجموعة من وجهاء قريش في الدين الجديد.

ثالثاً: عندما هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة كانوا كيان مستقل عن إمبراطورية الحبشة في ذلك الوقت وتعاملوا كلاجئين؛ فهم مجموعة من الناس من قريش ولكنهم دخلوا في الدين الجديد فأصبحوا أمة مستقلة لها من الصفات ما ليس في هذا الكيان الجاهلي الذي يموج هنا وهناك. هذا يظهر بوضوح من حوار جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مع النجاشي في حضور عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يومئذ على دين قومه حيث يقول جعفر بن أبي طالب "أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كُنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن

---

(١) سورة التوبة آية (١٠).

(٢) خواطر الشيخ محمد متولي الشعراوي حول صورة التوبة، دار الشروق للطبع والنشر، ٢٠٠٤م ص ١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام؛ فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا. ثم أتبع ذلك فقال: "فعدَا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث"[1]. في هذا الحوار ظهر هناك ثلاث كيانات: **الأمة المسلمة** ككيان مستقل لها متحدث رسمي يتكلم باسمها ولم يُنكر عليه أحد ذلك في خلال الحوار وبعد الحوار إلى يوم الناس هذا؛ الكيان الأخر هو الكيان **المشرك الكافر** الذي يتحدث عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ والكيان الأخر هي **ملك الحبشة النجاشي** الذي جلس في مجلس القاضي ليحكم بين الخصمين. عندما تكلم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لم يكن يتكلم عن مجموعة صغيرة من المسلمين في الحبشة ولكنه كان يتكلم عن كل أفراد الأمة المسلمة، وهذا يؤكد رسوخ مفهوم الوحدة بين هذه الأمة الوليدة .... وحدة المنبع الذي تستمد منه تصوراتها وسلوكياتها في الحياة المتمثل في الوحي المنزل وسنة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ..... وحدة العدو الذي هو على النقيض مما جاء به رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ... وحدة المصير المتمثل في إعلاء كلمة الحق والقتال من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا..... وحدة في تصور ما بعد الموت ففريق في الجنة وفريق في السعير.

رابعاً: المظهر الرابع من مظاهر بروز الأمة المسلمة ككيان واحد يختلف عن الكيانات المحيطة بها في بدايات الدعوة هو تصرفات الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ فالرسول لم يكن يتعامل مع القبائل المحيطة به والقادمة إلى مكة في موسم الحج على أنه شخصًا يريد أن يبني مجداً له أو يُريد بيعة ليصبح ملكًا أو رئيسًا ولكنه كان يعرض نفسه بصفته رسول الله وهي الصفة التي تستوجب

(١) مرجع سابق؛ خالد محمد خالد، "رجال حول الرسول" ص ١٠٧.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على من تبعه الطاعة والدخول معه في كيان الأمة المسلمة التي لها من الخصائص والصفات ما نعلم جميعا.

خامساً: يأتي بعد ذلك تعامل الكيانات المحيطة بالأمة المسلمة في بداية الدعوى فبعد فشل مراحل التعذيب والقتل لأفراد هذه الأمة في جعل الناس ينقضوا ما هم عليه من إيمان وإتباع محمد صلى اللهُ عليه وسلمْ بدأت هذه الكيانات في التعامل مع الأمة المسلمة ككيان مستقل ظهر ذلك في مفاوضات قريش مع النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ وفي عروضهم المستمرة له؛ كما ظهر ذلك في تفاوض النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ مع القبائل العربية التي انتهت ببيعة العقبة الأولى والثانية وإرسال مُصعب بن عُمير رضي الله عنه ليُمهد دار الهجرة للمسلمين كافة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المسلمون أمة واحدة من دون الناس

انتهت المرحلة الأولى من الدعوة الإسلامية في مكة وبدأت المرحلة الثانية بهجرة النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ إلى المدينة المنورة. فكانت فكرة الأمة الواحدة أكثر وضوحاً ظهر ذلك في سلوكيات المسلمين في أرض المهجر فكان من أوائل ما قام به صلى اللهُ عليه وسلمْ كتابة دستور المدينة(١)، وقد تحدث في هذا الدستور الكثير من المؤرخين والمستشرقين على مدار التاريخ الإسلامي، واعتبره الكثيرون مفخرة من مفاخر الحضارة الإسلامية، ومَعلَمًا من معالم مجدها السياسي والإنساني. لما يتميز به هذا الدستور من مزايا وصفات أهمها:

أولاً: أن هذا الدستور يهدف بالأساس إلى تنظيم العلاقة بين جميع طوائف وجماعات المدينة، وعلى رأسها المهاجرين والأنصار والفصائل اليهودية وغيرهم، كما أقر هذا الدستور طريقة تصدى المسلمون واليهود وجميع الفصائل لأي عدوان خارجي على المدينة

ثانياً: بإبرام هذا الدستور – وإقرار جميع الفصائل بما فيه– صارت المدينة دولة وفاقيه رئيسها الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ، وصارت المرجعية العليا للشريعة الإسلامية، وصارت جميع الحقوق الإنسانية مكفولة، كحق حرية الاعتقاد وممارسة الشعائر، والمساواة والعدل. يقول المستشرق الروماني جيورجيو" لقد حوى هذا الدستور اثنين وخمسين بنداً، كلها من رأي رسول الله. خمسة وعشرون منها خاصة بأمور المسلمين، وسبعة وعشرون مرتبطة بالعلاقة بين

---

(١) سماها ابن إسحاق وكتاب السير القدماء : الموادعة، وسماها الصلابي : الوثيقة أو الصحيفة، وسمها صفي الرحمن المباركفوري ميثاق التحالف الإسلامي، وسماها الحميدي :صحيفة المعاهدة بين أهل المدينة، وسماها البوطي وثيقة بين المسلمين وغيرهم ، واخترنا تسميتها بالدستور، فهو الاسم الحالي الرسمي للوثيقة التي تنظم الشأن للدولة . فالمعاهدة تنظم العلاقات الخارجية بين دولة ودولة، أما الدستور فيطلق على الوثيقة التي تنظيم الشأن العام الداخلي للدولة للمزيد، الرحيق المختوم لصفي الرحمن، طبعة بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين وأصحاب الأديان الأخرى، ولاسيما اليهود وعبدة الأوثان. وقد دُون هذا الدستور بشكل يسمح لأصحاب الأديان الأخرى بالعيش مع المسلمين بحرية، ولهم أن يقيموا شعائرهم حسب رغبتهم، ومن غير أن يتضايق أحد الفُرقاء. وضع هذا الدستور في السنة الأولى للهجرة، أي عام ٦٢٣م. ولكن في حال مهاجمة المدينة من قبل عدو عليهم أن يتحدوا لمجابهته وطرده[١]". ومن خلال النظر في هذا الدستور نستطيع أن نتبين مجموعة من معالم القيم الحضارية التي نراها جلية في هذا الدستور وأهمها:

أ) الأمة الإسلامية فوق القبلية:

قال الدستور في ذلك":إنهم (أي الشعب المسلم) أمة واحدة من دون الناس" وبهذا البند اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم وأنسابهم إلى جماعة الإسلام، فالانتماء للإسلام فوق الانتماء للقبيلة أو العائلة، وبهذا نقل رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ العرب من مستوى القبيلة إلى مستوى الأمة.

ب) التكافل الاجتماعي بين فصائل هذا الشعب:

وفي هذه القيمة كُتبت البنود التالية": المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين. "وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. بنو سَاعِدَةَ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين "وبنو جُشَمٍ على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين. بنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف، والقسط بين المؤمنين؛ بَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ

(١) كونستانس جيورجيو: نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب : محمد التونجي، د. م : الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٨٣م ص ١٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ "وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أو عَقْلٍ"

ج) ردع الخائنين للعهود:

وفي هذا الحق كُتب البند التالي: "وإن المؤمنين المتقين (أيديهم) على (كل) من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثما أو عدوانا أو فساداً بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم، وفي هذا نص في جواز حمل السلاح على أي فصيل من فصائل المدينة إذا اعتدى على المسلمين، وبموجب هذا النص حُكم بالإعدام على مجرمي قريظة – بعد معركة الأحزاب (في ذي القعدة ٥ هـ/إبريل ٦٢٧ م)، لما تحالفوا مع جيوش الأحزاب الغازية للمدينة، وبغوا وخانوا بقية الفصائل، على الرغم من أنهم أبناء وطن واحد!

د) احترام أمان المسلم:

وجاء في هذا الأصل الأخلاقي البند التالي: "وإن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس. لأي مسلم الحق في منح الأمان لأي إنسان، ومن ثم يجب على جميع أفراد الدولة أن تحترم هذا الأمان، وأن تجير من أجار المسلمُ، ولو كان المجير أحقرهم أو أقلهم شأناً، فيُجير على المسلمين أدناهم، بما في ذلك النساء، وقد قال النبي – صلى اللهُ عليه وسلمْ– لأم هانئ: " أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ يَا أُمّ هَانِئٍ[1]"

هـ) : حماية أهل الذمة والأقليات غير الإسلامية:

وجاء في هذا الأصل: "وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصر عليهم" وهو أصل أصيل في رعاية أهل الذمة، والمعاهدين، أو الأقليات غير الإسلامية التي تخضع لسيادة الدولة وسلطان المسلمين .. فلهم – إذا

(١) عبد العزيز بن عبد الله الحميدي : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، الإسكندرية : دار الدعوة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ص ١١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خضعوا للدولة – حق النصرة على من رماهم أو اعتدى عليهم بغير حق سواء من المسلمين أو من غير المسلمين، من داخل الدولة أو من خارجها.

و) الأمن الاجتماعي وضمان الديات:

وجاء في هذا الأصل": وإنه من اعتبط[1] مؤمنا قتلاً عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول (بالعقل)، وإن المؤمنين عليه كافة، ولا يحل لهم إلا قيام عليه" وبهذا أقر الدستور الأمن الاجتماعي، وضمنه بضمان الديات لأهل القتيل، وفي ذلك إبطال لعادة الثأر الجاهلية، وأوضح النص أن على المسلمين أن يكونوا جميعًا ضد المعتدي الظالم حتى يحكم عليه بحكم الشريعة" ولا شك أن تطبيق هذا الحكم ينتج عنه استتباب الأمن في المجتمع الإسلامي ما طبق المسلمون هذا الحكم.

ز) المرجعية في الحكم إلى الشريعة الإسلامية:

وجاء في هذا الأصل: "وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله – عز وجل– وإلى محمد"...وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مردَّه إلى الله، وإلى محمد رسول الله.

في بدايات تواجد الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ في المدينة وفي أيامه الأولى كُتب بين يديه هذا الدستور فيما عُرف في كُتب التاريخ بصحيفة المدينة وهي صحيفة شاملة جامعة تُبرز تفرد هذه الأمة المسلمة فلم تُكتب هذه الصحيفة تحت ضغوط شعبية أو انتظرت حدوث حوادث معينة فنبدأ في التفكير في ماذا نفعل لمجابهة هذه المشكلة أو تلك.

على الرغم من أن الوحي المُنّزل وسنة النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ هما مصدر تحركات الأمة المسلمة في الحياة إلا أن صحيفة المدينة جاءت فيما يُشبه المعاهدات الدولية غير أنها اشتملت على مجموعة من الأسس فيما يخص تعامل المسلمين ككيان مستقل موحد مع القوى الأخرى؛ وشملت كذلك على مكونات هذا الكيان

---

(١) أي قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله، معجم العين للخليل ابن أحمد الفراهدي، طبعة دارة الصفوة، لبنان١٩٨٠م، باب الألف مع العين، والتاء، والباء، والطاء.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلم دون أن تُميز مجموعة عن الأخرى. بموجب هذه الصحيفة أصبحت الأمة المسلمة تتميز به:

١) أمة واحدة من دون الناس.

٢) كل أفراد المجتمع المسلم متساوي في الحقوق والواجبات.

٣) أفراد الأمة المسلمة يتكافلون فيما بينهم في دفع الديات وإنقاذ الغارمين.

٤) أفراد الأمة المسلمة يداً واحدة على من عاداهم أو بغى عليهم.

٥) الأمة المسلمة تقبل دخول أمم أخرى في كيانها أي أنه كيان قابل للتوسع والاحتواء.

٦) لا يوجد معنى للقبيلة أو الموطن فيما بين أفراد الأمة المسلمة إلا للتعارف والموالاة في المعروف وصلة الرحم.

وظلت هذه الصحيفة وما بها من بنود سارية ومطبقة في حياة الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ وطوال الخلافة الراشدة ولم يتم تعطيلها إلا خلال فترات الضعف والهوان التي لحقت بالأمة كلها فبقيت النصوص وتخلف الأفراد عن الإتباع فدخلنا في هذا التيه العظيم وهذا الليل البهيم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني

العوامل التاريخية التي أدت لتفريق صف المسلمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

كراهية النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ للفرقة وتأكيده على نبذها

ذروها فإنها منتنة[١]- يقصد الفرقة والخلاف- قالها الرسول العدنان صلى اللهُ عليه وسلمْ في بداية ظهور بوادر للشقاق عندما اختلفا غلامان أحدهما من الأنصار والأخر من المهاجرين فقال الأول يا للأنصار ، وقال الأخر يا للمهاجرين كل يُنادي قومه وعشيرته لينصروه على الفريق الأخر ولكن كان رد الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ الحاسم "ذروها فإنها منتنة" فلم يقل سيئة ولكنه جاء بلفظ منتنة لتعبير عن سوء الرائحة وسوء الجوار وسوء التعامل مع الافتراق فضلاً عن السماح له بالتمدد والظهور. وفي آثار لا يُمكن حصرها نجد الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ يحس دائما على نبذ التخاصم والتشاحن بين أفراد الصف المسلم فالإسلام حين سطع نوره في مكة المكرمة وارتفع صوته من المدينة المنورة بعد أن هاجر إليها رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ وجد القبيلتين العظيمتين (الأوس والخزرج) اللتين رفعتا لواء الإسلام ونصرتا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ متفرقتين، فجمعهم الله بهداه بعد فرقتهم، وبين لهم الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ أن الإسلام لا يقوم على العنصرية أو الشعوبية ولا على القومية والجنسية، ولا يقوم على تفرق في العقيدة أو الرأي أو الوجهة، فإن الدعوة المشوبة بذلك يكون مآلها الفشل، ومصيرها الفناء، وبيّن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ الطريق السوي لسعادة الدارين، وعرفهم أن دين الإسلام بني على الحق ومحو فرقة الجنسية، وتلا عليهم قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٢]، وجاء في الحديث: «كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي إلا بتقوى الله»[٣] وبين لهم أن الله واحد، وأن نبي الإسلام واحد؛ وسنته واحدة؛ وأن القبلة واحدة؛ وأن كتاب الله واحد؛ لا يجوز العمل بغير هداه، فعلى هذا يجب أن

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٤).

(٢) سورة الحجرات آية (١٣).

(٣) رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩) من حديث أبي بكرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تكون كلمة المسلمين واحدة، فجمع الله شملهم، ووحد كلمتهم وقضى على الفرقة التي كانت بينهم، وأصبحوا إخوة متحابين، ورجالاً مؤمنين كلمتهم واحدة، ووجهتهم واحدة، تحت راية الإسلام القوية التي لا تفضل أحدًا على أحد إلا بتقوى الله عز وجل، فقد رفع الإسلامُ أقواما كانوا في ذلة ومهانة، ووضع أقوامًا كانوا في أعلى قمة المجد ومنتهى السؤدد، فلما لم يؤمنوا بالإسلام وضعهم الله فكانوا في أسفل سافلين، فانظروا إلى أي مدى وصل بلال بن رباح الحبشي رضوان الله عليه وهو العبد الفقير فجعله الإسلام مؤذن للرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ وصحابي من صحابته وواحد من هذه الأمة العظيمة التي يتساوى فيها وتحت لوائها بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي مع عمر بن الخطاب القرشي وعلي بن أبي طالب الهاشمي القرشي رضوان الله عليهم أجمعين وعلى الجانب الأخر نرى من خالفوا النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ قد نزلوا إلى أدنى المستويات فماذا انتهى الأمر بسادة قريش من أمثال أبو جهل وأبو لهب وغيرهم الكثير.

وعندما نتصفح تاريخ الدعوة الإسلامية نجد الآثار التي تحارب التفرق والتشرذم والتحزب كثيرة نذكر منها قول الله تعالى: ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾[1]. فكأن عدم الاعتصام بحبل الله هو نوع من إلقاء النفس في هذه الحفرة من النار التي كُنا قبل الإسلام نقف على شفاهها. وقال صلى اللهُ عليه وسلمْ «لا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» متفق عليه. هذا النقاء والتنقية للصف المسلم من الداخل من التباغض والتدابر والحث على تقوية رابطة الأخوة في دين الله كل تلك العوامل من شأنها أن تدعم وتقوي وحدة الصف المسلم. فالشرع الحنيف يأمر بكل ما يقوي الألفة ويزيد من المحبة، ويدفع العداوة

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والبغضاء، وما ذاك إلا لما في الاجتماع والاتفاق من الخير الكثير والثمرات الجليلة والبركة والقوة.

على نفس الخطى نجد الشرع الحنيف ينبذ الفرقة بكل صورها فقد قال تعالى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[1] يعني تخلوا وتذهب روحكم الحقيقة ومعنوياتكم النافعة، وقد جمع الله في هذه الآية الأمر بالسعي لتحصيل القوة المعنوية بالإيمان والثبات، والصبر والاجتماع وعدم التنازع والتفرق، وبالقوة المعنوية أيضًا والمادية في قوله تعالى: ﴿ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[2]. هذا طريق الله وطريق نبيه صلى اللهُ عليه وسلمْ فمتى امتثل المسلمون أمر الله وسعوا لحصول الاتفاق وإزالة العداوات وأسبابها، وكانوا يدًا واحدة نحو تحقيق مصالحهم المشتركة ومقاومة الأعداء، وبتحصيل القوة المادية بكل مقدور ومستطاع، وكان أمرهم شورى بينهم، متى عملوا على ذلك كله حصل لهم قوة عظيمة يستدفعون بها الأعداء ويستجلبون بها المصالح والمنافع، وعاد صلاح ذلك إلى دينهم وجماعاتهم وأفرادهم، ولم يزالوا في رقي مطرد في دينهم ودنياهم ومتى أخلوا بما أمرهم به دينهم عاد الضرر العظيم عليهم فلا يلوموا إلا أنفسهم. فالله قد بين الطريق وبين عاقبة المخالفة فمن ذاق مرارة التفرق أحرى به أن يعود إلى حلاوة الوحدة وظلال الائتلاف فقد وعد الله العز والنصر لمن قاموا بالتقوى واعتصموا بحبله وتمسكوا بدينه، وأخبر أن هذا دين جميع المرسلين، قال ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[3].

وقال عز من قائل﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[4].

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٦).

(٢) سورة الأنفال آية (٦٠).

(٣) سورة آل عمران آية (١٠٥).

(٤) سورة النساء آية (١٣).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من هنا نجد أن لزوم جماعة المسلمين ليس ترفاً وليس أمراً قابل للنقاش حتى وإن كانت جماعة المسلمين القائمين على كتاب الله ومنهج رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ ليس له نسيج واحد متكامل؛ وعلى كل مسلم أن يلتمس جميع الأسباب المقربة للقلوب ونبذ العداوات والضغائن التي لا تكسب إلا شرًا.

ويجدر بنا ونحن في هذا الشأن أن نذكر مجموعة من الدرر النبوية التي يندر أن نجد مثيل لها لنبي من أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين:

- قوله صلى اللهُ عليه وسلمْ في حديث أبي الدرداء: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصيام والصدقة»؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين فإن فساد ذات البين هي الحالقة»(١).
- قوله صلى اللهُ عليه وسلمْ في الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود أن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ قال: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار»(٢)
- وقوله في حديث أبي خراش السلمي الذي أخرجه أبو داود، أنه سمع النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ يقول: «دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء هي الحالقة لا أقول: تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»(٣).
- في حديث المستورد بن شداد أن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ قال: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم يوم القيامة، ومن كسا ثوبًا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم له يوم القيامة مقام سمعة ورياء» (٤).

---

(١) رواه أبو داود (٥/ ٢١٨) كتاب الأدب، والترمذي (٥/ ٦٦٣) كتاب صفة القيامة، وقال: هذا حديث صحيح.
(٢) أحمد وأبو داود: (٥/ ٢١٥) وإسناده صحيح.
(٣) الترمذي: (٤/ ٦٦٤) وأحمد وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد وعزاه إلى البزار وقال: إسناده جيد.
(٤) أبو داود (٥/ ١٩٥) وإسناده ضعيف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- وفي قوله صلى اللهُ عليه وسلمْ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[١].
- وقوله صلى اللهُ عليه وسلمْ «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٢].

ومن عوامل الفرقة التي نهى صلى اللهُ عليه وسلمْ عنها هي إتباع منهج غير منهج المسلمين من نبعيه الصافيين كتاب الله وسنة رسوله صلى اللهُ عليه وسلمْ ومن اللطائف في هذا الشأن ما جاء في دراسة بعنوان الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات[٣]:

يقول الإمام محمد الطاهر بن عاشور : سياق الآية مؤذن بأنها جرت على حادثة حدثت وأن لنزولها سبباً، وسبب نزولها أن الأوس والخزرج كانوا في الجاهلية قد تخاذلوا وتحاربوا حتى تفانوا وكانت بينهم حروب كان آخرها يوم بُعاث التي انتهت قبل الهجرة بثلاث سنين ، فلما اجتمعوا على الإسلام زالت تلك الأحقاد من بينهم وأصبحوا عُدة للإسلام، فساء ذلك يهود يثرب، فقام شاس بن قيس اليهودي وهو شيخ قديم منهم بإرسال شاب يهودي جلس إلى الأوس والخزرج يُذكرهم حروب بُعاث، فكادوا أن يقتتلوا، ونادى كل فريق يا للأوس! يا للخزرج، وأخذوا السلاح، فجاء النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ فدخل بينهم وقال : أتدعون الجاهلية وأنا بين أظهركم ثم قرأ عليهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ، وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[٤].

فما فرغ منها النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ حتى ألقوا السلاح، وعانق بعضهم بعضاً، وقوله: "ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراط مستقيم، أي من يتمسك بالدين فلا

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٥٦٨٠).

(٢) صحيح الإمام مسلم (٨٠٧).

(٢) د.محمود هاشم عنبر الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات، الجامع الإسلامية سنة ٢٠٠٧م. بحث منشور، ص ١٦٠.

(٣) سورة آل عمران : الآيتان ١٠٠ ، ١٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يُخشى عليه الضلال، وفي هذا إشارة إلى التمسك بكتاب الله ودينه لسائر المسلمين الذين لم يشهدوا حياة النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ لأن ذلك هو السبيل في عصمة المسلمين من كيد أعدائهم من المشركين وأهل الكتاب الذين يحاولون جاهدين في الإيقاع بين المسلمين كما كانوا يفعلون زمن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ هم على دأبهم إلى يوم الناس هذا(١).

فطاعة أهل الكتاب تحمل معنى الهزيمة الداخلية، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت الأمة المسلمة، وهم أيضاً لا يحرصون على شيء حرصهم على إضلال هذه الأمة عن عقيدتها وإثارة الفتن والقلاقل بين أبنائها، ويبذلون في سبيل ذلك كل ما في وسعهم من مكر وحيلة وقوة وعُدة، وحين يعييهم أن يحاربوا الإسلام بأنفسهم يجندون من المنافقين المتظاهرين بالإسلام، أو ممن ينتسبون زوراً إليه لتنخر لهم في جسمه وجسم أتباعه من داخل الدار، فالاعتصام بالله والالتفاف حول دينه والتمسك بكتابه والوثوق بوعده يعصم الأمة من مكايدهم ومخططاتهم وإذا كان رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ قد استوفى أجله، واختار الرفيق الأعلى، فإن آيات الله باقية، وهدي رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ باق، ونحن اليوم مخاطبون بهذا القرآن كما خُوطب به الأولون، وطريق العصمة بيّن ولواء العصمة مرفوع، ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم(٢).

فما فعله شاس الشيخ اليهودي يفعله اليهود اليوم وغيرهم من منّ لا يريدون للحمة هذه الأمة أن تلتئم يفعلون ذلك من خلال إثارة النعرات في وسائل الإعلام المسمومة وإن كان قديمًا نادى منادي الفتنة قائلاً يا للأوس! يا للخزرج، وهم منّ هم؛ همُ الذين أووا ونصروا المهاجرين وهمُ الذين اقتسموا المال والديار وبذلوا النفس والنفيس حباً لدين الله ونصرة لرسوله صلى اللهُ عليه وسلمْ؛ فكيف بنا ونحن الجيل

---

(١) التحرير والتنوير ، م٣ ، ج٤ ، ص٢٨ ، " بتصرف".

(٢) انظر: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٩٩٥م، ص٢٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الضعيف الهزيل من أجيال المسلمين فنحن لا نملك قوة عقيدتهم ولا حبهم لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ ولا قدرتهم على البذل والعطاء، ورغم ذلك نسمع لمئات مثل شاس الشيخ اليهودي وأتباعه من يطل علينا من وسائل إعلام المسلمين ومنابر المسلمين ثم يذكرنا بثارات قديمة ويُضخم لنا أخطاء بعضنا حتى نسينا محاسننا وتذكرنا مساوئنا فصرنا فِرق كل فِرقة كالطود العظيم وما هو بعظيم إن هو إلا كغثاء السيل والكم المهمل فقوة هذه الفِرق لا ترهب عدو ولا تُسعد صديق إلا من رحم ربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

تفرق الأمة بعد الخلافة الراشدة واستمرار هذا التفرق

كانت الخلافة الراشدة امتداد لعصر الرسالة الخالدة على صاحبها أتم الصلاة وأزكى التسليم وكما نعلم فقد عاش الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ بين أظهر صحابته وهم يعلمون أنه نبي يأتيه الوحي من السماء فترة ثلاثا وعشرين سنة هذه الفترة الصغير القليلة في عمر الزمان عاش بينهم يُقومُ المعوج وينصح ويُربي فيهم كل القيم الإسلامية يُربي فيهم كل ما من شأنه أن يُقيم أمة الإسلام وهو حي بينهم وبعد أن يُرفع إلى الرفيق الأعلى، وامتد عصر الخلافة الراشدة لمدة ثلاثين سنة فكان مجموع ذلك اثنين وخمسين سنة وهي فترة كافية فيما أرى لكي يولد جيلين من المسلمين ولحكمة يعلمها الله وحسب ما نرى- والله أعلم - أن هذه المدة كافية لأن يتربى الجيل الذي عاصر الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ ثم يتناسل منه جيل آخر ويتربى في بيئة الوحي سواء تربي على يد الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ أو على أيدي الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين، فيعيش هذان الجيلان ويُصْنعان على عين النبي الكريم صلى اللهُ عليه وسلمْ إيمانا وإسلاما وتسليما، وتعلمًا وتعليمًا، واعتقادًا وسلوكًا، فبهذا يكون قد حقق الله لهذا الدين أن يتخرج من مدرسة النبوة والخلافة الراشدة جيلان بشريان على أقل تقدير يحملان الدين الحق، لا يعرفان إلا الإسلام الصحيح والاعتقاد الموافق للحق، ولا يسلكان إلا طريق الهدى، خاليان من كل دغل وخطل، كيف لا وهم أصلا في بيئة لم تعرف السفسطة الفلسفية العقيمة، ولم يتلوث هذان الجيلان بأي ملوثات فكرية أو عقائدية[1].

كما إن عصر الرسالة والخلافة كان كافيًا لتطبيق الإسلام بكل تفاصيله وشعائره وأخلاقه وهديه، بل هذه المدة كفيلة بأن تظهر فيها كل الحالات المحتملة من انحراف أو غلو أو إفراط أو تفريط أو خطأ مرده إلى الضعف البشري سواء كان

---

(١) مرجع سابق محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، ص١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الخطأ نتيجة شهوة أو شبهة، وهذه المدة كافية لتقويم كل اعوجاج، ورد كل شبهة أو شهوة خفية أو ظاهرة، ولذا قلما تجد شبهة أو انحرافًا ظهر في الأمة فيما بعد إلا وتجد أصله أو قريباً منه ظهر في عصر الرسالة والخلافة، ولا يخفى أن بوادر الغلو في الدين والإرجاء والتشيع وإنكار القدر ظهرت في هذا العصر العظيم – فكانت المعالجة إما تحت عين النبي الكريم صلى اللهُ عليه وسلمْ، أو تحت عين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم أو تحت عين جمهور الصحابة الأطهار الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين، فكان هذا التقويم والعلاج خير قدوة لمن أتى بعد هذا العصر الزاهر، ولذا كانت سُنة الخلفاء في معالجة الانحراف هي السنة التي سار عليها مَنْ بَعدهِم.

هذه المدة كافية لأن تتربى أمة التوحيد الخالص والمنهج الرباني تربية إيمانية راشدة على الوحي، وتتسابق في البذل والعطاء من أجله، وتُعالج في هذه المدة كل النوازع السيئة في النفس البشرية، حتى إذا انتهت هذه المدة فإذا هو قد تخرج فيها آلاف البشر وكأنما خُلقوا خلقًا آخر بالوحي وبالتربية على يد الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ وعلى أيدي خلفائه الكرام رضي الله عنهم. فلقد كان الوحي روحًا من أمر الله فالبشر الذين يدخلون دين الله يتحولون إلى بشراً آخرين. فالبشر الذين كانوا في مكة والمدينة حيث كان يستضعفهم الفُرس والروم ولا يرومون لأنفسهم مُلكا أو نظاما– تزكو أنفسهم، وترتقي أخلاقهم، وتتهذب طبائعهم، ويقيمون خلافة راشدة ويسوسون العباد والبلاد ويصارعون أعتى الدول عُدة وعتادا، ولما توسعت دائرة الفتوحات الإسلامية بهر هؤلاء الرجال الأمم التي قصدوها فأسلمت الجموع اقتداءً بهذه النماذج الإيمانية الرائعة. فكانت طبائع الرجال وأخلاق الرجال المسلمين الموحدين تغزوا القلوب والعقول وتُسيطر عليها قبل أن ينسل سيف أو تصيح فرس أو توجف عليها خيل ولا ركاب في تلك البلاد المفتوحة، فإذا بهذه السيوف المشرعة تجد قلوباً خالية ونفوسًا قاحلة تريد أن تشرب من نبع الإسلام في مقابل شرائع بالية يسهل استبدالها بشريعة رب العباد.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم يكن صلى الله علية وسلم فارساً مغواراً وقائدة عسكرياً يؤسس الجيوش ويضع القوانين ويؤسس الإمبراطوريات فقط، لم يكن صلى اللهُ عليه وسلمْ كذلك ولكنه كان يُربي أنفسًا ويصنع رجالاً أدواته في ذلك كتاب الله وسنته. لذلك نرى أن هذا الرجل محمداً صلى اللهُ عليه وسلمْ لم يؤثر فقط في الجيوش والتشريعات والإمبراطوريات والشعوب والأسر الحاكمة؛ ولكنه أثر أيضا في ملايين الرجال، بل أكثر من ذلك فقد أزاح مذابح الكنائس وغيرها من الأنصاب والآلهة والأديان والأفكار والمعتقدات الزائفة والأنفس الظالمة[١].

وقد اختص الله أهل هذا العصر بخصائص عظيمة في التصديق والإتباع والبذل والتضحية والجهاد والتسليم والإيمان، بل يكفي ذاك الزمان أنه تعطّر بأنفاس المصطفى صلى اللهُ عليه وسلمْ، وافتخر بأن عاش فيه خيار خلق الله بعد الأنبياء وهم صحابة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ ورضي الله عنهم أجمعين، ومما اختص الله به أولئك القوم أمور لا يحصيها حصر أو عدّ لكن نذكر منها ما يتطلبه هذا الموضوع فمن ذلك:

الأول: أنهم أفضل القرون بشهادة الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ حيث قال:(خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[٢]. قال النووي رحمه الله: (وأن قوله صلى اللهُ عليه وسلمْ: "خيركم قرني" على الخصوص معناه خير الناس قرني أي السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن سلك مسلكهم، فهؤلاء أفضل الأمة، وهم المُرادون بالحديث)[٣]، بل هذا القرن هم خير الناس كافة منذ خلق الله آدم إلى أن تقوم الساعة لا كان ولا يكون مثلهم بعد الأنبياء قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وَمَن نَظَرَ فِي سِيرَةِ الْقَوْمِ بِعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ، وَمَا مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِهِ مِنَ

---

(١) الرسول الأعظم في مرآة الغرب، عبد الراضي محمد عبد المحسن، ٩٩ .

(٢) صحيح البخاري ٢٢٤/٣، وصحيح مسلم ١٨٤/٧.

(٣) شرح النووي على مسلم ١٣٨/٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الْفَضَائِلِ؛ عَلِمَ يَقِينًا أَنَّهُمْ خِيْرُ الْخَلْقِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ؛ لاَ كَانَ وَلا يَكُونُ مِثْلُهُمْ، وَأَنَّهُمُ الصَّفْوَةُ مِنْ قُرُونِ هَذِهِ الأُمَّةِ الَّتِي هِيَ خَيْرُ الأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ)[١].

الثاني: أنهم عدول ثقات حازوا من الإيمان أفضله وأكمله وأوفاه حتى أثنى الله عليهم في آيات كثيرة تثبت صدق إيمانهم، وبذلهم في سبيل الله، وتبشرهم بمغفرة الله ورضوانه عنهم كما في قوله جل شأنه: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [٢]. وغيرها كثير، قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه عن الصحابة: (أولئك أصحاب محمد صلى اللهُ عليه وسلمْ، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوبا، وأعمقها علما وأقلها تكلفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم)[٣].

الثالث: أنهم أعظم الناس اتباعاً وتصديقًا لرسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ حتى كان تصديقهم مضرب المثل، وبهر تصديقُهم قلوبَ أعدائهم، وفي خبر الإسراء أن الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ لما أخبر كفار قريش بخبره كذبوه وأتوا إلى أبي بكر فقالوا: (يا أبا بكر، هل لك في صاحبك؟ يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر، ثم رجع في ليلته. فقال أبو بكر، رضي الله عنه: إن كان قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا، نصدقه على خبر السماء)[٤].

ولو شئنا لتكلمنا في عجائب لا يكاد يُصدقها عقل ولا تنضبط عند منطق عندما نتكلم عن حب أصحاب لصاحبهم كحب أصحاب النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ له فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله (صلى اللهُ عليه وسلمْ) يوم أحد أطلب سعد بن الربيع فقال لي إن رأيته فأقرئه مني السلام وقل له يقول لك

---

(١) العقيدة الواسطية، ص٢٢.

(٢) سورة التوبة آية (١٠٠).

(٣)ابن أبي العز الحنفي "شرح العقيدة الطحاوية" الطبعة المصرية، ص٣٨٣.

(٤) تفسير ابن كثير ج (٥)، ص ١٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ كيف تجدك ؟ قال فجعلت أطوف بين القتلى فأتيته، وهو بآخر رمق وبه سبعون ضربة ما بين طعنة برمح وضربة بسيف ورمية بسهم فقلت يا سعد إن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ يُقرأ عليك السلام ويقول لك أخبرني كيف يجدك ؟ فقال وعلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ السلام قل له يا رسول الله أجد ريح الجنة. وقل لقومي الأنصار لا عذر لكم عند الله أن يُخلص إلى رسول صلى اللهُ عليه وسلمْ وفيكم عين تطرف، وفاضت روحه من وقته[1]. ونحن هنا أمام رجل يُصارع الموت وفي جسده أكثر من سبعين ضربه وهو في هذه الحالة من النزيف المستمر والألم وعدم القدرة على التفكر أو التدبر وهو في هذه الحالة يُطلق وصيته لقومه.... قل لقومي الأنصار.... لا عذر لكم عند الله أن يُخلص إلى رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ وفيكم عين تطرف. نسي هذا النازف وهو في أخر لحظات الحياة وهو في سكرات الموت نسي أهله وماله وولده ولكنه تذكر أن يوصي قومه بالدفاع عن رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ.

فهذا الجيل من البشرية التف حول النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ ونقل الوحي بل ونقل حركات النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ وسكناته ومواطن رضاه وفرحه ومتى يُقبل بوجهه ومتى يُعرض رضوان الله عليهم أجمعين. هذا الجيل كان أحرص ما يكون على إتباع صاحب الدعوة صلى اللهُ عليه وسلمْ فلم يتفرقوا ولم يتحولوا إلى شيع وجماعات لأن الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ كان بينهم وكانت الدنيا وحب الظهور والنفاق وحب الجاه ليست في حساباتهم.

الصراع خارج البيئة النبوية بيئة الوحي

كان فيما سبق تقدمه لا بُد لنا منها حيث ذكرنا أن الله سبحانه وتعالى اختار مكان الرسالة وزمانها، واختار الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ، واختار صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، واختار الجنس الذي بعث فيه الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ واللغة التي نزل بها القرآن، كل ذلك الاختيار كان لحكمٍ عظيمة علمنا بعضها

(١) رواه البخاري، ٨٤٤، ومسلم ٣٤٠٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وغاب عنا الكثير منها، وآمنا بهذه وتلك مما علمنا منه ومما لم نعلم. فلم يكن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ ولا صحابته في بداية الدعوة في حاجة لأن يكتبوا القرآن مثلاً ولكن الفتوحات الإسلامية بعد عصر النبي أوجبت ما لم يكن موجوداً في عهده صلى اللهُ عليه وسلمْ ووفق الله الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين إلى إرساء بعض المبادئ والأسس التي لم تكن موجودة من قبل. نرى ذلك واضحاً عندما خرج الصحابة رضي الله عنهم والتابعون إلى خارج جزيرة العرب، وخرج الوحي إلى البلاد التي عششت فيها الفلسفة، وفسدت فيها العقول، وتخبطت فيها الأفهام، وفسدت فيها الفطرة البشرية، وكانت سوق الفلسفة والمنطق قائمة وبضاعتها نافقة، وتغيرت عقولهم، واضطربت مقاييسهم. هذه الأنفس البشرية لم يكن لها أن تقبل الوحي بنفس السهولة التي قبلته القبائل العربية وما كان لغير العرب أن ينبهروا ببلاغة القرآن وفصاحة النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ بنفس المستوى الذي حدث مع قبائل العرب. فلم تقبل هذه الشعوب وهذه الأنفس الوحي كما قبله الصحابة، ولم يسلّموا له كتسليمهم، ولم يؤمنوا به كإيمانهم، ولم ينتفعوا به كانتفاعهم، بل عارضوه ونصبوا له المناهج المنحرفة التي أرادوا أن يُرغموا الوحي على أن يكون تابعا لها، وأن يخضعوا أدلته وبراهينه وحقائقه وغاياته إلى ما عندهم من العلم المرذول والمنطق المخذول، فما وافق أدلتهم من الوحي قبلوه، وما خالفه ردوه، بل عدوا من آمن به وسلّم له ناقص العقل، ضعيف الفهم، قليل الحكمة، ضعيف الإدراك، وتفرقت الأمة إلى مدارس ومناهج وفرق وأحزاب، كل يكفر مخالفه، وكل يزعم أنه على الهدى المستقيم، وكل يرى أن الحق يسنده وهو ينافح عن الحق، وصنفت في ذلك الكتب التي تؤسس لهذا الباطل، وكل يزعم أن الحق معه وأن فرقته هي الفرقة الناجية[١].

جذور الشقاق

كان لموت الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ سبب لنقاش حاد بين المسلمين وقد أفرز هذا الخلاف عدة تيارات وفئات طالبت بحق الخلافة لنفسها.

(١) للمزيد؛ اسماعيل بن عمر بن كثير "البداية والنهاية" ط "المعارف"، بيروت ٢٠٠٩ ج (١٢) ص ٥١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التيار الأول: المهاجرين أراد حصر الخلافة في قريش وعلى رأس هذا التيار كان أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وبعض المهاجرين.

والتيار الثاني: الأنصار هو ذلك التيار الذي أعطى حق الخلافة لجميع المسلمين. هذا التيار بدأ بالأنصار، وتبنته فيما بعد فرقة الخوارج التي انشقت عن صفوف جيش علي في موقعه صفين. فكانوا يرون أن الخلافة لا يجب أن تقتصر على القرشيين أو المهاجرين.

أما بالنسبة لحجج كل تيار بالنسبة لحقهم بالخلافة فكانت:

حجج الأنصار:

١) نصروا الرسول وأصحابه وساعدوه وقت الشدة وآووا المهاجرين في المدينة.

٢) لهم سابقة في الدين الإسلامي، وفضيلة في الإسلام.

٣) دافعوا عن الرسول وأتباعه ضد الكفار وشهدوا معه المواقع كلها.

٤) توفي الرسول وهو راض عنهم.

حجج المهاجرين:

١) لهم سابقة في الإسلام.

٢) ما تحملوه بسبب الهجرة وبذلهم الغالي والرخيص من أجل إنجاح الدعوة إلى درجة التخلي عن بيوتهم وأملاكهم في مكة.

٣) الصبر مع الرسول على شدة أذى قومهم لهم.

٤) شهدوا المواقع كلها مع الرسول.

كانت هذه مجرد موضوعات للنقاش في البداية وقد حضر في سقيفة بني ساعدة جمع غفير من صحبة الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ وهمْ منّ همْ من المبشرين بالجنة ومنهم من شهدوا بدراً وكلهم أصحاب فضل وسبق في دين الله رب العالمين. لذلك كان من السهل أن يطلب عمر بن الخطاب وأبو عبيدة عامر بن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجراح من أبي بكر أن يبسط يده لكي يُبايعه فيستجيب أبو بكر فيبايعه كل الحضور بسهولة ويُسر؛ ولم يتخلف أحد من الصحابة غير مجموعة شُغلت بتجهيز جثمان النبي الطاهر صلى اللهُ عليه وسلمْ للدفن وكان من بين المتخلفين علي بن أبي طالب رضي الله عنه واعتبر المؤرخون أن صمت أبي الحسن وعدم معارضته لخلافة أبي بكر ومن بعده عمر رضوان الله عليهم أجمعين هو رضا بخلافتهم فهو العابد الزاهد وهو في كل الأحوال كان بجوار الخليفة الأول والثاني وحسب بعض المصادر أنه بايع أبو بكر بعد ستة أشهر أي بعد رحيل الزهراء رضوان الله عليها وكان بجوار الخليفة الثالث حتى بُويع علي بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضوان الله عليهم أجمعين(١).

فلو نظرنا إلى طريقة انتخاب أبو بكر الصديق نلاحظ شيء من التشابه في انتخاب زعماء القبائل في الجاهلية حيث كان أبو بكر الصديق أكبر الصحابة سناً ويتمتع بالذكاء والحكمة كذلك كان ذو مال وأنفق كثير من أمواله في سبيل الدعوة الإسلامية.

أما على الدوافع التي كانت من وراء انتخاب الخليفة أبوبكر:

- أنه كان من الأولين في الإسلام.
- كان صديق الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ.
- هاجر مع الرسول إلى المدينة.
- كان إمام المسلمين عند غياب الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ.

بعد انتخاب أبو بكر الصديق رضوان الله عليه قام بإلقاء خطبته التي ميزت سياسته التي ظهر فيها تواضع أبو بكر وتحقيقه للعدالة الاجتماعية وكذلك تمسكه بالشريعة الإسلامية والتركيز على الصدق والأمانة في علاقة الأفراد بالزعيم كذلك حث المسلمين على الجهاد الديني كوسيلة لنشر الدعوة الإسلامية. واستمرت خلافة

(١) د/ محمد حسان، "الفتنة بين الصحابة– قراءة جديدة لاستخراج الحق بين ركام الباطل"، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، القهرة، مصر، ٢٠٠٣م ص١٩٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أبو بكر على منهاج النبوة وعلى نفس النهج صارت من بعدها خلافة عمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين إلا أنه كلما بعد الناس عن عهد النبوة تغيرت النفوس ودخل في الإسلام شعوباً وقبائل من أعراق شتى وفي نفس الوقت لم يكن الخليفة الثالث بالشدة والحزم الذي تميز بهما الفاروق فطالبه الناس بأشياء لم يجرئوا على طلب معشارها من الفاروق رضوان الله عليه وكانت الفتن تؤجج في كل مكان ... وتصور وتُفسر ما يفعله الخليفة تفسيراً وتأويلاً يخدم هذه النار المتأججة فطالبوا الخليفة بعزل بعض الولاة ثم تطور الأمر لمطالبة مجموعة من الناس الخليفة بالاعتزال وكان عثمان زوج بنتي النبي ومن جهز جيش العسرة وهو من هو في الإسلام هو الرجل الذي تستحي منه الملائكة هذا الصحابي الجليل الذي يخجل الإنسان المسلم من مجرد الاقتراب من شخصه الكريم كان هذا الشيخ الكبير بلغ من السن ما بلغ ولم يكن له سابقة من سنة رسول الله لكي يخلع قميصاً قد ألبسه الله إياه... ثم يترك الخلافة لمن؟ وهل سيستقيم الأمر لو فعل؟ وأغلب الظن أن عثمان رضوان الله عليه لو كان يعلم أن تركه للخلافة سيؤدي لهدوء هذه الغوغاء الثائرة لفعل! فهو لا يريد من هذه الدنيا القليل أو الكثير!... ولكنها الفتنة التي تسللت إلى بيت الخليفة ونقلته شهيداً إلى جوار حبيبه صلى اللهُ عليه وسلمْ.

بعد مقتل عثمان جرى الناس في المدينة إلى علي بن أبي طالب وطالبوا منه أن يبايعوه حتى لا يطير خبر مقتل الخليفة في الأمصار إلا ومعه اسم الخليفة الجديد وبالفعل استجاب أبو الحسن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه للأمر، لكن معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه وهو ابن عم عثمان طالب من علي رضي الله عنه أن يأتيه بدم من قتل الخليفة قبل أن يبايعه على الخلافة فوقع خلاف اعتزل أغلب الصحابة من الدخول فيه فمعاوية هو من أولياء دم عثمان بحكم قرابته منه رضي الله عنهما ومن حقه المطالبة بالقصاص وفي نفس الوقت يرى علي ابن أبي طالب أنه كيف يقتل من قتل الخليفة وهو ليس بخليفة ثم كيف يبحث عن قاتل عثمان بين الجموع وهو ليس بخليفة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت هذه البداية النكدة لتفرق الصف المسلم فتواجه الجيشان جيش علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه وجيش معاوية رضي الله عنه وحسب بعض المصادر لم يكن هناك دليل يقول أن الجيشان سيتقاتلان ولكن وقع القتال وكادت الرحى تدور لصالح جيش أبي الحسن رضوان الله عليه ولكن جيش معاوية رضي الله عنه رفع المصاحف على أسنة السيوف وطالب التحاكم إلى كتاب الله. هنا انقسم جيش علي ابن أبي طالب إلى مؤيد لفكرة التحكيم حقناً للدماء وفريق يرى أن هذه مجرد خدعه لا يجب النظر إليها وهذا كان رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ولكن في النهاية وافق علي بن أبي طالب رضي الله عنه على التحكيم فرفضت فرقة من جيش علي رضوان الله عليه نتيجة التحكيم فرفض علي أن ينصاع إليهم مرة أخرى فخرجوا على جيش علي رضوان الله عليه وتأمروا بقتل كل من علي، ومعاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهم أجمعين لكنهم لم ينجحوا إلا في قتل علي بن أبي طالب فقط ونجا الآخران. كانت هذه الفرقة هي الخوارج وهي أول فرقة ظهرت تُكفر عموم المسلمين وتستبيح دمائهم وأعراضهم، وكفروا أصحاب النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ، واعتقدوا جملة من العقائد المنحرفة في هذا الباب، وانقسموا بعد ذلك إلى فرق عدة، ولبعض فكرهم بقية باقية في عصرنا الحاضر متمثلة في الإباضية وجماعة الهجرة والتكفير، والنصوص الثابتة في خروجهم وذكر صفاتهم والتحذير منهم كثيرة مستفيضة عن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ وأصحابه الكرام. على الجانب الأخر ظهرت فرقة أخرى ترى أن علي ابن أبي طالب هو الأولى بالخلافة ولما قُتل عليّ رضوان الله عليه قالوا إن الخلافة لا يجوز أن تخرج من آل البيت أي تكون في ذرية علي وفاطمة رضوان الله عليهم أجمعين، وهؤلاء سُموا بالشيعة.

من هنا نرى أن نشأة هذه الجماعات والفرق كان قد حدث بمجرد وفاة الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضوان الله عليه. وحسب المصادر التاريخية كانت الفرق الثلاثة التي بدأت في الظهور في عهد علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه هي مصدر تشعبت منه بعد ذلك عشرات الفرق التي في بعض الأحيان يُكفر بعضها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض ولا يُصلي بعضها خلف بعض؛ أي أننا بعد عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه كان أمامنا[١]:

- **أهل السنة والجماعة:**

وهم الجمهور الكبير من الصحابة الذين لم يُشاركوا في الصراع وفضلوا الصمت ولقب أهل السنة والجماعة يتركب من مفردين الأول السنة، والثاني الجماعة، ولتعريف المركب لابد من تعريف مفرديه، فالسنة في اللغة الطريقة وهي هنا الأخذ بما ثبت عنه صلى اللهُ عليه وسلمْ ظاهراً وباطناً، في القول، والعمل، والاعتقاد. والجماعة في اللغة عددُ كل شيءٍ وكثْرَتُه، واختلف العلماء في تحديد معناها اصطلاحا على أقوال: فقيل هم الصحابة، وقيل: أهل العلم، قال الإمام الترمذي": وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث"، وقيل: الجماعة ما وافق الحق ولو قل المتمسكون به، كما قال ابن مسعود: " الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك"؛ وقال نعيم بن حماد: "إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة"، وقيل الجماعة: هي السواد الأعظم المجتمعون على إمام يحكم بالشرع ويجانب الهوى والبدعة.

ولعل القول الراجح في تعريف مصطلح الجماعة هو ما يشمل جميع هذه الأقوال، فهم الصحابة رضوان الله عليهم بما تمثلوه من منهج الإسلام الحق، وهم العلماء والفقهاء كونهم حجة الله على الخلق، والناس تُبع لهم في أمر الدين، وهي جماعة المسلمين المنضوية تحت راية إمام يحكم بشرع الله ويقيم حدوده، وقد لخص الإمام ابن حزم هذه الأقوال وجمعها في قول: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومَن عداهم فأهل البدعة؛ فإنهم الصحابة، وكلُّ مَن سَلَكَ نهجهم من خيار التابعين رحمهم الله تعالى، ثم أصحاب الحديث، ومَن اتَّبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومَن اقتدى بهم من العوامِّ في شرق الأرض وغربها".

---

(١) سعد رستم، "الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة- التاريخ- التنوع الجغرافي"، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٠م، ص ١٧ إلى ص٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- ألقاب أهل السنة والجماعة:

عرف أهل السنة والجماعة بألقاب هي علامات على صفاتهم، وهي في مجملها مأخوذة من حديث النبي، فمن تلك الألقاب:

١) **الفرقة الناجية:** وهذا الوصف مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ما قال رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ "ليأتيَنَّ على أُمَّتي ما أتى على بني إسرائيلَ حَذْوَ النعل بالنعل، حتى إن كان منهُم مَن أتى أُمَّه علانية؛ لكان في أُمَّتي مَن يصنع ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرَّقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين ملة؛ كلهم في النار؛ إلا ملة واحدة. قالوا: ومَن هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه وأصحابي[١]. ووجه الدلالة أنه وصف الفرق كلها بالهلاك إلا واحدة حازت صفة النجاة واستبدت بها، وهي الجماعة التي اتصفت باتباع منهج السلف في الأقوال والأعمال والاعتقادات.

٢) **الطائفة المنصورة :** وهذا الاسم مأخوذ من حديث ثوبان عن النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ أنه قال "لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"[٢].

خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة[٣]:

امتازت عقيدة أهل السنة والجماعة عن عقائد غيرهم من الفرق بخصائص منها:

١) **وحدة المصدر:** فلا مصدر يعتمدون عليه في تقرير عقائدهم، سوى الكتاب والسنة وإجماع السلف، ولا يعارضون ما ثبت من ذلك بقياس أو رأي أو هوى.

٢) **موافقتها للأدلة الصحيحة فطرة وعقلا ونقلا:** فلا شيء أريح للنفس وأطمن للقلب من عقائد السلف، فهي تتفق تمام الاتفاق مع الفطر السليمة والعقول المستقيمة،

---

(١) سنن الترمذي (٢٦٤١) .

(٢) صحيح مسلم،(٣٥٥١) ، مسند الإمام أحمد (٢٢٣٢٠).

(٣) د. أحمد فريد "عقيدة أهل السنة والجماعة"، مكتبة فيض للتجارة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٢٠٠٥م ص٢١٦، وما بعدها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولن تجد بحمد الله معارضة أي منها لمقررات العقول أو صحيح المنقول، فلا يُمكن أن يتعارض عقل صريح مع نقل صحيح صريح على الإطلاق.

٣) **الوضوح والسهولة:** فلا تعقيد في فهمها ولا صعوبة في شرحها، بل يفهما الخاص والعام من الناس على اختلاف مستوياتهم، وتفاوت درجاتهم دون أدنى صعوبة، وهي ليست بحاجة في فهمها سوى إلى سماع آياتها وأحاديثها، قال الإمام أبو مظفر السمعاني فيما نقله عنه الحافظ في الفتح ٥٠٧/١٢ في بيان سهولة انقياد العامة لاعتقاد السلف وإعراضهم وإضرابهم عن عقائد أهل الكلام: "العوام جميعا .. لا يعرفون إلا الإتباع المجرد، ولو عرض عليهم هذا الطريق – طريق المتكلمين - ما فهمه أكثرهم، فضلا عن أن يصير منهم صاحب نظر، وإنما غاية توحيدهم التزام ما وجدوا عليه أئمتهم في عقائد الدين والعض عليها بالنواجذ، والمواظبة على وظائف العبادات، وملازمة الأذكار بقلوب سليمة طاهرة عن الشبه والشكوك، فتراهم لا يحيدون عما اعتقدوه ولو قُطعوا إرباً إرباً، فهنيئا لهم هذا اليقين وطوبى لهم هذه السلامة".

٤) **الثبات والاستمرار:** فلا يزيدها طعن الطاعنين إلا بريقا، ولا تشكيك المشككين إلا قوة وثباتا.

عقيدة أهل السنة والجماعة[١]:

من نافلة القول أن نقول أن أهل السنة والجماعة هم الامتداد الصحيح لمنهج النبي وصحابته في العلم والعمل والسلوك والاعتقاد، وما نذكره من اعتقادات هنا هو بعض ما كتبه العلامة الطحاوي في عقيدته الشهيرة "العقيدة الطحاوية"، والتي تلقاها العلماء بالقبول:

(١) مرجع سابق د. أحمد فريد "عقيدة أهل السنة والجماعة"، ص٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١) الاعتقاد الجازم بأن الله واحد لا شريك له، ولا مثيل له ولا يعجزه شيء، ولا إله غيره.

٢) الاعتقاد الجازم بأن لله الأسماء الحسنى والصفات العُلا.

٣) إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات، أو أثبته له رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف.

٤) الاعتقاد الجازم بأن محمدا عبدالله ورسوله، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين. وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء.

٥) الإيمان بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين.

٦) الاعتقاد الجازم بالقدر خيره وشره من الله تعالى وأن الله خلق الخلق بعلم، وقدر لهم أقدارا وضرب لهم آجالا، ولم يخْفَ عليه شيء قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته. ومشيئته تنفذ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

٧) الاعتقاد الجازم بأن القرآن كلام الله، أنزله على رسوله وحيا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقا.

٨) الإيمان بالملائكة الكرام الكاتبين، وأن الله قد جعلهم لعباده حافظين. والإيمان بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين؛ وبعذاب القبر لمن كان أهلا له. وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله وعن الصحابة رضوان الله عليهم. والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران.

٩) الإيمان باليوم الآخر وبالبعث بعد الموت، وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠) الإيمان بأن الجنة والنار مخلوقتان الآن لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، وأن الله خلق الجنة والنار قبل الخلق، وخلق لهما أهلاً، فمن آمن وعمل الصالحات أدخله الله الجنة بفضله، ومن كفر منهم أدخله إلى النار بعدله. والحوض الذي أكرم الله تعالى به نبيه. والشفاعة التي ادخرها له حق، كما ثبت في الأخبار.

١١) الاعتقاد الجازم بأن المؤمنين يرون ربهم في الجنة كما نطق بذلك الكتاب والسنة، قال تعالى "وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة"، وقال صلى اللهُ عليه وسلمْ "إنكم سترون ربكم"[١].

١٢) الاعتقاد بأنه لا تجوز الشهادة لأحد من أهل القبلة بجنة ولا بنار إلا من شهد له النص بعينه، مع رجاء الثواب للمحسنين ورجاء العفو عن المسيئين.

١٣) الإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالجوارح والأركان.

١٤) الإيمان بأن أهل الكبائر من أمة محمد لا يخلدون في النار إذا ماتوا وهم موحدون، وإن لم يكونوا تائبين، وهم في مشيئة الله وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله، كما ذكر عز وجل في كتابه "ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء" إن شاء عذبهم في النار بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته ثم يدخلهم إلى جنته.

١٥) ولا يرون الخروج على ولاة أمور المسلمين ما أقاموا الكتاب والسنة، ولا ينزعون يداً من طاعة، ويرون طاعتهم من طاعة الله عز وجل ما لم يأمروا بمعصية.

١٦) حُب أصحاب رسول الله من الإيمان من غير إفراط ولا تفريط .

١٧) الإيمان بأن الخلافة بعد رسول الله أولا لأبي بكر الصديق، تفضيلا له وتقديما على جميع الأمة، ثم لعمر بن الخطاب، ثم لعثمان بن عفان، ثم لعلي بن أبي طالب. وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهديون.

---

(١) صحيح الإمام البخاري (٥٢٩).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨) الإيمان بأن نبياً واحداً أفضل من جميع الأولياء، مع الإيمان بكرامات الأولياء وفضلهم.

١٩) الإيمان بأشراط الساعة من خروج الدجال ونزول عيسى بن مريم عليه السلام، وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض من موضعها؛ ولا نصدق كاهنا ولا عرافا ولا من يدعي شيئا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

٢٠) الإيمان بأن الإسلام هو الدين الحق الذي يجب إتباعه، وأن إتباع غيره من الأديان والمذاهب باطل وضلال، قال تعالى﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾[١]، وقال ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾[٢].

هذه المعتقدات هي الأساس الذي قامت عليه أغلب الجماعات الإسلامية في مصر والعالم العربي وهي نفس عقيدة – فيما أرى والله أعلم– السلفيون وأغلب من أُطلق عليه في الآونة الأخيرة مصطلح "الإسلام السياسي" وهو مصطلح غير صحيح فمنهج أهل السنة يؤمن بأن رسول الله صلى عليه وسلم وصحابته من ورائه رضوان الله عليهم أجمعين كانوا يعملون في كل المجالات فقادوا الجيوش وعقدوا مجالس القضاء ومارسوا كل أمور الحكم والسياسة فهذا لا يمنع ذاك؛ بل إن معرفة الدين يجب أن تكون أصل من أصول اختيار العمال في الفقه الإسلامي فخير من استأجرت القوي الآمين.

- **الخوارج:**

كانت فرقة الخوارج منذ خروجها على الإمام علي رضوان الله عليه وحتى يومنا هذا وما تولد منها من جماعات وفرق شتى لهم بعض العقائد. وفي الحقيقة لم يكن للخوارج عند بدء ظهورهم حسب المصادر التاريخية منظومة أفكار تُشكل مذهبهم الذي فارقوا به أهل السنة، فقد كانت مفارقتهم للمسلمين متعلقة باعتراضهم على

(١) سورة آل عمران آية (١٩).
(١) سورة آل عمران آية (٨٥).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسألة التحكيم، إلا أن مذهب الخوارج اتسع في بِدَعِه ومخالفاته، نظراً لما استتبع اعتراضهم الأول من التزامات، وما استجد عليهم من محدثات، فمن آرائهم:

١) الخروج على الحكام إذا خالفوا منهجهم وفهمهم للدين.

٢) تكفير أصحاب الكبائر.

٣) التبروء من الخليفتين الراشدين عثمان وعلي رضي الله عنهما.

٤) تجويز الإمامة العظمى في غير القرشي، فكل من ينصبونه ويقيم العدل فهو الإمام، سواء أكان عبدًا أم حرًا، أعجميًا أم عربيًا. وذهبت طائفة منهم وهم (النجدات) إلى عدم حاجة الناس إلى إمام، وإنما على الناس أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن رأوا أنه لابد من إمام جاز لهم أن يقيموا لهم إماماً.

٥) إسقاط حد الرجم عن الزاني، وإسقاط حد القذف عمن قذف المحصنين من الرجال دون من قذف المحصنات من النساء.

٦) إنكار بعضهم سورة يوسف، وهو من أقبح أقوالهم وأشنعها، وهذا القول يُنسب إلى العجاردة منهم، حيث قالوا لا يجوز أن تكون قصة العشق من القرآن!!

٧) القول بوجوب قضاء الصلاة على الحائض، فخالفوا النص والإجماع.

ورغم أن عليًا بن أبي طالب رضوان الله عليه بعث لهم عبدالله بن عباس رضوان الله عليه وناقشهم حتى تراجع كثير منهم عن هذا الفكر الشاذ واضطر علي إلى قتالهم حتى فنوا تقريباً إلا إن هذا الفكر يظهر في بعض الأحيان ويختفي في بلاد المسلمين.

كيفية التعامل مع الخوارج

لقد وضع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه منهجا قويماً في التعامل مع هذه الطائفة، تمثل هذا المنهج في قوله رضي الله عنه للخوارج: " إلا إن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لكم عندي ثلاث خلال ما كنتم معنا : لن نمنعكم مساجد الله، ولا نمنعكم فيئا ما كانت أيديكم مع أيدينا، ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا"[١].

- **الشيعة:**

الفرقة الثالثة الأكثر بروزاً والأكثر تأثيرًا في تفرق الصف المسلم كانت هي فرقة الشيعة أو ما عُرفت بعد ذلك بالشيعة الإمامية الإثنا عشرية هم تلك الفرقة من المسلمين الذين زعموا أن علياً هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. وقد أطلق عليهم الإمامية لأنهم جعلوا من الإمامة القضية الأساسية التي تشغلهم وسُمُّوا بالاثني عشرية لأنهم قالوا باثني عشر إماماً دخل آخرهم السرداب بسامراء على حد زعمهم. كما أنهم القسم المقابل لأهل السنة والجماعة في فكرهم وآرائهم المتميزة، وهم يعملون لنشر مذهبهم ليعم العالم الإسلامي ويرى فريق كبير من علماء أهل السُنة أن الشيعة أقرب ما يكونوا لغير المسلمين.

(١) للمزيد برجاء الرجوع إلى البيهقي وابن أبي شيبة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

العهد الحديث وتفرق الأمة المسلمة إلى دويلات صغيرة

عندما نتكلم عن دولة من دول الإسلام أو مملكة من الممالك الإسلامية ونُحاول تمجيد هذه الدولة أو هذه المملكة بدافع وطني أو عرقي أو دافع التعصب للتراب الذي وُلد الإنسان عليه.. نقول عندما نفعل ذلك... فإن هذا الأمر لا يُخيف أعداء الإسلام من قريب أو من بعيد لأنهم يعلموا أن كل تلك التجمعات البشرية هي تجمعات عليلة مريضة لا تقوم على أساس من عقيدة تُلازم الإنسان في صحوة وفي نومه بل وتحركه دون أن يشعر لحب هذا أو بُغض هذا. فلا يُمانع أعداء الإسلام أن تمتلك دولة مسلمة ثروات ولو كانت مثل ثروة قارون أو عتاد حربي أو جيش جرار مُسلح بأحدث ما وصل إليه العلم من تسليح وتجهيز كل ذلك لا يُخيف طالما ظلت هذه الدويلات تتصرف كعناصر مستقلة وكل دولة تتغنى بأمجادها وذكاء ونقاء أصلها هذا من منطلق وطني شعوبي. وبلغ من بعض المتعصبين للقوميات حد جواز إعلان الحرب في حالة تعارض المصالح أو الاختلاف على الثروات في مناطق الحدود التي رسمتها الدول الاستعمارية بين تلك الجيوش المسلمة وتختفي هنا العروة الأخوية الإسلامية ويتلاقى المسلمان وجهاً لوجه بالسلاح. أما عند بروز كلمة الأمة المسلمة تلك الكلمة تُمثل مصطلح مخيف ومزعج ومرعب لأعداء الأمة، ولبلاد الغرب وللماسونية العالمية، وللصهيونية ولذا عملت جاهدة وبكل ما أوتيت من قوة ومكر وخبث على تفكيك هذه الأمة الواحدة، وتفتيتها إلى دويلات ليسهل السيطرة عليها. وما اجتمع الغرب الصليبي والصهيوني على ما بينهم من تباين الأهداف مثلما اجتمعوا على هذا الهدف، وما حدثت عملية تقسيم أو تم التخطيط لها إلا أعقبها مباشرة إنجاز للصهيونية العالمية، وتجلت أول أعمالهم التقسيمية في إنهاء الخلافة العثمانية التي مثلت على ضعفها أهم الرموز السياسية لوحدة الأمة الإسلامية، وبعد أن تداعى الاستعمار الأوروبي على البلدان الإسلامية ولاسيما العربية توافق على تقسيم البلدان العربية ضمن معاهدة سايكس- بيكو عام ١٩١٦م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(سيأتي تفصيل ذلك في مبحث لاحق)، حيث تم ترسيم الحدود التجزيئية بين البلدان ليسهل الاستفراد بكل كيان سياسي على أنه وحدة منفصلة عن باقي جسد الأمة المسلمة له مصالحه التي تم تدريب جيل من المثقفين والعلماء في بلاد الغرب يرون أن العزة في تقليد الغرب الصليبي والانخراط في العجلة العالمية الصهيونية وما تحتويه هذه العجلة من مبادئ سياسية واقتصادية وما يستتبع ذلك من ترك لهويتنا القائمة على التوحيد الخالص لله والحب فيه والبُغض فيه وأن نعتقد أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس. هذا الانتماء الذي يتجاوز الانتماء للأوطان ذو الحدود الضيقة والانتماء لأمة عظيمة يُربي في النفس شعور بالأخوة والقرابة تفوق قرابة الدم أو تقارب السكن والمأوى إلى الربط بين كل أفراد هذه الأمة برباط التوحيد فترى الفرد يُحب رُسل الله أجمعين لا لشيء إلا لأنهم جاءوا من عند الله ويحزن لانتهاك عرض امرأة مسلمة وإن تباعدت الأوطان واختلفت الأزمان هذا الحزن لا لشيء إلى بسبب الانتماء لهذه الرابطة المقدسة رابطة التوحيد الخالص(١).

ولقد ظهر مصطلح الأمة بعد هجرة النبي صلى اللهُ عليه وسلمْ إلى المدينة، كما أوضحنا في وقت سابق؛ فكان من أهم الأعمال التي قام بها كتابة صحيفة تضمنت مبادئ عامة تكون بمثابة الدستور الذي ينظم حياة كان من يعيش في المدينة من المسلمين واليهود وغيرهم. جاء في طليعة هذه المبادئ تحديد مفهوم الأمة، وكان مصطلحاً جديداً لم يُسمع به من قبلُ، فالأمة في الصحيفة تضم المسلمين جميعاً مهاجريهم وأنصارهم ومن تبعهم، ممن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس، وهذا شيء جديد كل الجِدّه في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب، إذ نَقل الرسول صلى اللهُ عليه وسلمْ قومه من شعار القبلية والتبعية لها، إلى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد، وقد جاء به القرآن الكريم في قول الله تعالى ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾(٢)؛ وأصبحوا أمة واحدة تربط أفرادها رابطة العقيدة وليس الدم، فيتحد شعورهم وتتحد أفكارهم وتتحد

(١) موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والشر الجزء الثالث الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٨٣ ص١٢٠

(١) سورة الأنبياء آية (٩٢).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبلتهم ووجهتهم وولاؤهم لله وليس للقبيلة، واحتكامهم للشرع وليس للعرف. ودخل الناسُ في هذه الرابطة الجديدة أفراداً وجماعات دخلوا في هذه الرابطة ومازالوا يدخلون إلى يوم الناس هذا؛ وهم يدخلون يعلمون أنهم بهذا الدخول ينسلخون من كل انتماء ويضعون خلفهم كل عصبية وكل أخوة ويقطعون كل الروابط ويرتبطون معاً بالرابطة القديمة المتجددة التي لا تبلى ولا تندثر رابطة التوحيد الخالص وإتباع كتاب الله وأن تكون الكلمة العليا في نفس من يدخل تحت مظلة هذه الأمة هي كلمة الله وإتباع سنة رسول الله صلى اللهُ عليه وسلمْ.

من خلال ذلك يُمكن لكل ذي عينين أن يرى أن مفهوم الأمة إذن مفهوم مفتوح وغير منغلق على فئة دون فئة، بل هي ممتدة لتشمل الإنسانية كلها، إذا ما استجابت لدين الله تعالى الذي ارتضاه لخلقه ولبني آدم أينما كانوا. فالأمة تعني الجماعة، والجماعة إنما تكتسب قوتها ومكانتها لا من حيث العدد فحسب، ولكن من حيث الترابط الذي يربط بين آحادها، فالعدد المجموع الذي لا يربط بينه رابط لا يستحق لفظ الأمة وإن كثرت أعداده. وأقوى رابط يربط بين الناس من المنظور الشرعي هو الدين، ولذا فإن المسلمين أمة واحدة وإن اختلفت أعراقهم أو أجناسهم أو لغاتهم أو أوطانهم. ومن هنا جاء ما يسمى بهوية الأمة الإسلامية. فلكل أمة من الأمم ثوابت تُمثل القاعدة الأساسية لبناء الأمة، وفي طليعة هذه الثوابت تأتي الهوية باعتبارها المحور الذي تتمركز حوله بقية الثوابت، والذي يستقطب حوله أفراد الأمة. فاليهود على سبيل المثال يعتقدون ويُمارسون ذلك على اعتبارهم أمة من دون الناس فاليهودي الذي يعيش في أي دولة من دول العالم يكون ولائه الأول والأخير للمنظمة الصهيونية التي تحركه وليس للبلد الذي ولد فيه وأكل من خيره وتعلم في مدارسة؛ غير أن هذه الأمة منغلقة بمعنى أنه لا يُمكن لأي فرد أن ينضم إليها؛ فهي أمة عرقية يعتقدون أنهم شعب الله المختار والناس خُلقوا لكي يخدموا هذا الشعب المختار وتولد من هذا الاعتقاد جواز الخيانة أو الشهادة الزور ما دام ذلك يخدم جماعة اليهود. أما المسلم فهو يشهد ويقوم بالحق ولو كان على نفسه أو الوالدين والأقربين، والمسلم أمين لمن ائتمنه ولا يخنْ من خانه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخلافة العثمانية

كانت الخلافة العثمانية هي أخر رمز من رموز توحد الأمة المسلمة تحت راية واحدة فرغم عيوب هذه الخلافة أو ما يُقال عنها إلا أننا لا نستطيع أن نُنكر أنه خلال فترة ما يقرب من ستة قرون كان الخليفة العثماني هو الإمام الأعظم لكل أئمة المسلمين وكان هذا الخليفة يولي الولاة ويعزلهم وفق ما يتراءئ له كما إن هذه الخلافة جاءت بعد الخلافة الراشدة والخلافة الأموية والخلافة العباسية وامتدت لفترة طويلة من الزمن حتى صار عليها ما يصير لكل ممالك الأرض قوة ... فشباب .... فكهولة ..... فشيخوخة؛ ثم انهيار(١).

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة مميزات الخلافة العثمانية أو عيوبها ولكن الذي يهمنا في هذه الدراسة أنها ظلت رمزاً لكل المسلمين أو لغالبية أهل السنة والجماعة ولم يكن يعرف المسلم خلال تنقله بين ربوع هذه الخلافة المترامية الأطراف حدود أو تأشيرة تسمح له بالدخول هنا وتمنعه من الدخول هناك. ولكن هذا الكيان الضخم قد انهار لأسباب كثيرة نذكر منها(٢):

- إهمال التحاكم إلى شريعة الله؛ وما تبع ذلك من تعلم اللغة العربية وعلوم الحديث.
- بدأ الناس يبتعدون عن الدين شيئاً فشيئا، وبدأت تأسرهم ملاهي الحياة والدنيا..... بدأوا يلتفون على النساء وعلى ملذات الحياة!!!.
- مع انتشار اللغة التركية، بدأ الناس يتركون اللغة العربية وهي لغة القرآن الكريم.
- بدأ الجيش يتدخل في أمور الدولة.

---

(١) طاش كبري زاد "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٩٠م ص٥٢.

(٢)الأستاذ محمد فريد بك المحامي "تاريخ الدولة العليّة العثمانية" تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان الطبعة العاشرة: ٢٠٠٦ ص٢٣٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- أصبح الأساس في الفتوحات هو فرض هيمنة الدولة العثمانية على الأرض المفتوحة وليس إدخالها في الدين الإسلامي.
- بدأت الخزعبلات تنتشر بين الناس في الدولة الإسلامية بسبب انتشار الفرق الصوفية.
- بدأ المسلمين يتزوجون من أجنبيات.
- بدأت تنتشر بين الناس العمالة والخيانة، الأمر الذي بات يهدد الأمن والاستقرار.
- كما أن الحروب الصليبية أضعفت الدولة العثمانية كثيراً.

وخلال هذه المراحل كانت الإمبراطوريات الأوربية تمضي في بناء نهضتها الحديثة وتُشجع الحركات الانفصالية التي تظهر في بلاد المسلمين مثل وقوفها بجوار محمد على باشا الوالي العثماني على مصر حتى جعلوا ولاية محمد علي على مصر والسودان وبلاد الحجاز شبه منفصلة عن الخلافة الأم[١]؛ بالإضافة لتشجيع الثورات في كل البلاد الإسلامية ما دامت تنادي بإنشاء أي كيان على غير أساس ديني.

ورغم هذا الضعف الذي انتهى بالانهيار إلا أن وجود الخلافة كان يمنع العديد من النزاعات الشعوبية من الظهور وكان عموم الناس ينظرون إلى بلاد الإسلام على أنها بلد واحد.

الغرب ومحاولات تفتيت الخلافة

حسب ما ذهب إليه المؤرخ جستن مكارثي (Justin A. McCarthy) أن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر كانت مطوقة بخصوم أقوياء لم يتيحوا لها "فسحة للتنفس" لترتيب بيتها الداخلي ببناء دولة حديثة وجيش قوي واقتصاد صناعي، واضطروها لخوض حروب متتالية في الأعوام التالية كالحرب مع روسيا (١٨٠٦-

(١) المرجع السابق" كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، ص٥٢ نقلاً عن تاريخ الدولة العثمانية، ص٤٣.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٨١٢) والحرب الثانية مع روسيا أيضاً (١٨٢٨- ١٨٢٩) والحرب مع محمد علي باشا التي أججتها أوروبا ومنعت التفاهم بين طرفيها (١٨٣٩- ١٨٤٠) وحرب القرم مع روسيا (١٨٥٣- ١٨٥٦) والحرب الرابعة مع روسيا كذلك (١٨٧٧- ١٨٧٨) والحرب مع اليونان (١٨٩٧) وحروب البلقان (١٩١١- ١٩١٣) والحرب الكبرى الأولى (١٩١٤- ١٩١٨) وحرب الاستقلال(١٩١٩-١٩٢٣م) إضافة إلى حوادث العصيان المسلح الكبرى في مصر عام (١٨٠٤م)؛ والانتفاضة الصربية (١٨١٥- ١٨١٧) والثورة اليونانية (١٨٢١- ١٨٣٠) والثورة في جزيرة كريت (١٨٦٦- ١٨٦٨) والثورة في بلغاريا (١٨٧٥) و(١٨٧٦) والتمرد الأرمني (١٨٩٦- ١٨٩٧)، وهلكت الجيوش العثمانية التي كانت في طور التدريب وأُجبرت على خوض الحروب وهي غير مهيأة، وأُنفقت الموارد المالية اللازمة للتحديث على هزائم أدت إلى خسارة الأرض والدخل، فكان الضعف هو سبب خسائر العثمانيين التي أبقتهم أضعف من القدرة على النهوض[١].

من هنا نرى أن الغرب لم يكن ليسمح للخلافة العثمانية أن تظهر من جديد أو ليسمح بتكوين إمبراطورية إسلامية في أي مكان فمنذ ظهور علامات الضعف على الدولة العثمانية التي كانت توحد كيان الشرق العربي، لم تكن مصالح الغرب الجمعية تنسجم مع بروز كيان قوي مرة أخرى، ولهذا قامت الدول الغربية على اختلافها بوأد أية محاولة نهضوية تحاول أن تبتعث فكرة الأمة الواحدة من دون الناس من جديد في بلادنا لأنها ستهدد المصالح الغربية كما شخصها أصحابها، وقد تغيرت هذه المصالح مع تغير الظروف العالمية ولكنها كانت تقتضي باستمرار عرقلة قيام كيان قوي. حيث أن كل المؤشرات تؤكد على أن هذا الكيان لن يكون مع تلك الدول الاستعمارية بكل مكوناته[٢].

---

(١) المرجع السابق.

(١) نور الدين حاطوم "تاريخ القرن التاسع عشر أوربا والعالم" جـ١، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان،١٩٩٥م، ص٨٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فموقع الشرق العربي كان منذ قديم الزمن ملتقى طرق التجارة العالمية وموضع اهتمام الكيانات القائمة على أطرافه، وقد استمر هذا الاهتمام في العصر الحديث، إذ أن موقع الدولة العثمانية بين البحر المتوسط والهند، درة التاج البريطاني، وضعها في مواجهة مباشرة مع بريطانيا التي تريد ضمان الوصول إلى مستعمرتها باحتلال مواقع عثمانية مثل عدن (١٨٣٩م)، والتمدد داخل الخليج، وهذا ما حفز سياستها المعارضة لمشروع محمد علي باشا في البلاد العربية إذ كانت تُريد الإبقاء على ضعف الدولة العثمانية وعدم تجديد شبابها كي لا تكون حجرة عثرة في طريق الوصول إلى الهند، ولما اكتملت الثورة الصناعية وزاد رأس المال الأوروبي سعت الدول الاستعمارية الغربية لتسويق بضائعها واستثمار رأسمالها في بقية العالم وهذا ما جعل لها مصلحة في عرقلة أية صناعة محلية بالإضافة إلى حاجتها لتأمين وصول المواد الأولية إلى مصانعها في الغرب، ولما حُفرت قناة السويس وأصبحت طريقاً مختصراً إلى الهند اهتمت بريطانيا بالسيطرة عليها بعد شراء أسهمها من الخديوي إسماعيل الذي ورطته الاستثمارات الأجنبية بالديون، فأصبح لبريطانيا في مصر أكثر من مصلحة: قناة السويس بصفتها معبراً ملاحياً، وأموال الدائنين، فانتهى الأمر باحتلالها لمصر بالإضافة إلى ضعف الخلافة العثمانية وحُكام مصر سنة ١٨٨٢م، في نفس الوقت كان هناك تخطيط أوربي منذ هزيمة محمد علي بإنشاء كيان يهودي ليكون حاجزاً في وجه طموحات الوالي المصري المستقبلية ثم حارساً لقناة السويس وطريق الهند، هذا بالإضافة إلى الكيان الاستيطاني الفرنسي في الجزائر والذي قام بتلبية مجموعة من المصالح المادية والثقافية لفرنسا، وكان هناك أيضاً الحضور الأجنبي الثقافي لاسيما الفرنسي والأمريكي المركز في الإرساليات التبشيرية والمدارس والكليات والمستشفيات الأجنبية والمحاولات الاستيطانية التي كانت طلائع الغزو الاستعماري والتي تتطلب حماية خاصة بصفتها مصالح أجنبية، كما كانت الامتيازات الأجنبية التي منحتها الدولة العثمانية زمن قوتها للتجار والمواطنين الأجانب مصلحة حيوية للدول الغربية وهي مستعدة للتدخل بالقوة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلحة للحفاظ عليها، وقد أدت هذه الامتيازات إلى توسع آخر في المصالح الغربية باتخاذ الأقليات الدينية والقومية موضعاً للحماية الأجنبية[١].

هذا كله قبل اكتشاف النفط، فلما أُكتشف النفط أصبحت السيطرة على مصادره المتركزة في الشرق العربي وإيران مصلحة جديدة للغرب تقتضي عدم التعامل مع جهة شرقية واحدة قوية تتحكم بآباره أو بعوائده الضخمة أو بالاستثمارات الأجنبية والتجارة العربية الضخمة، وأصبحت قناة السويس هي المعبر الرئيس للنفط إلى بريطانيا وفرنسا والغرب عموماً الأمر الذي سيُبقي على أهميتها حتى بعد استقلال الهند، هذا بالإضافة إلى كونها معبراً بريطانياً وعالمياً تملك بريطانيا نصف أسهمه تقريباً، وبقيام الثورة البلشفية في روسيا (١٩١٧م) وفشل العدوان الغربي عليها لوأدها، أصبح الحفاظ على بلادنا خارج النفوذ الشيوعي مصلحة جديدة للغرب في بلادنا اقتضت إقامة القواعد العسكرية التي لن يقبل بها نظام قوي مستقل؛ ولكن أنظمة التجزئة ونظام الدويلات ترحب بها بصفتها حماية لوجودها ومصدراً لرزقها حين تقبض ثمن تواجد هذه القواعد على أراضيها، كما اقتضى إبعاد الخطر الشيوعي دعم الكيان الصهيوني الذي أقيم في البداية لغايات مختلفة تماماً يُمكن ذكر أهمها[٢]:

- حماية المصالح البريطانية في المشرق العربي وتثبيت الوجود البريطاني في مصر.
- تأمين قناة السويس والطُرق التجارية إلى الشرق، والحيلولة دون تحقيق الأطماع الفرنسية في شرق المتوسط وإقامة جسر بين البحر المتوسط وحقول النفط في العراق[٣].وكان الكيان الصهيوني ولا يزال محتفظ بأهميته الاستراتيجية المستمدة من كونه طليعة للغرب على أرض الشرق كما كان

---

(١)محمد خريسات وآخرون، "تاريخ الحضارة الإنسانية" مؤسسة حمادة، ودار الكندي للنشر، الأردن٢٠٠٠م، ص ٢٠٦.

(٢) عمر عبدالعزيز "تاريخ المشرق العربي ١٥١٦م إلى ١٩٢٢م" دار النهضة العربية للطبع والنشر، بيروت لبنان، ٢٠١٣م، ص٣١٢.

(١) المرجع السابق ص ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يطمح منشئوه ولهذا أصبح في خدمة الأهداف الغربية عموماً مثلما ثبت في خدمته المصالح الفرنسية إضافة للبريطانية في العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦م، ثم في وكالته المفتوحة عن المصالح الأمريكية بعد ذلك.

من هنا أصبح وجود الكيان الصهيوني مصلحة حضارية غربية مستقلة قائمة بذاتها في هذه المنطقة الحيوية حتى بعد زوال الاتحاد السوفييتي، وأصبحت الملاحة في قناة السويس مصلحة حيوية لهذا الكيان الذي هو بدوره مصلحة غربية أخرى قائمة بذاتها ويقتضي بمفرده سعي الغربيين لتركيع كل منطقتنا لقيادته كما تُشير مشاريع الشرق أوسطية المتعاقبة مع ما يستلزمه هذا من عرقلة وحدة بلادنا ومنع القوة بكل أشكالها عنا كي لا نقاومه أو حتى نهدده من جهة ولا ننافسه من جهة أخرى، ومن هنا يُمكن فهم التعهد الأمريكي والغربي العلني والمجمع عليه بإبقاء الكيان الصهيوني متفوقاً نوعياً على مجموع البلاد العربية، وعلى ذلك المنطق التفتيتي سارت سياسة الغرب المعاصر كما سيأتي.

كما استمر الاهتمام الغربي بموقع "الشرق الأوسط" بين قارات العالم القديم وكونه حلقة الوصل بينها" وهو بذلك يُعتبر" من أهم المناطق الاستراتيجية في العالم" ولهذا فنذكر تصريح أحدهم "نحن ملزمون بإعطاء الشرق الأوسط أولوية عالية جداً، ولا نستطيع أن نتخلى عن وضعنا الخاص في المنطقة... والسماح لوضعنا بأن يكون قائماً على ترتيبات ذات طابع دولي" كما قال رئيس الوزراء البريطاني السابق أنتوني إيدن في مذكرة حكومية عندما كان وزيراً للخارجية وعضواً في لجنة قناة السويس. رئيس الوزراء البريطاني آنذاك يرد على اقتراحات التخلي عن المسئوليات الإمبراطورية سنة ١٩٤٥م [١].

لا ينبغي أن يمر علينا هذا التصريح دون اكتراث فكلام الرجل يدل على التوجهات البريطانية التي حكمت فيما سبق، ورفض الترتيبات الدولية يدل على النزعة الاحتكارية التي حكمت السياسة البريطانية في بلادنا وعملت

(1) Charles Issawi ،An Economic History of the Middle East and North Africa Routledge ،London ،2010 ،p. 66.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على استمرار التفرد بها، وفي سنة ١٩٤٧م حدد ناحوم جولدمان الذي أصبح رئيس المنظمة الصهيونية أهمية فلسطين قائلاً إن اهتمام اليهود بها ليس لأسباب دينية أو اقتصادية "بل لأن فلسطين هي ملتقى الطُرق بين أوروبا وآسيا وأفريقيا، ولأنها المركز الحقيقي للقوة السياسية العالمية، والمركز العسكري الاستراتيجي للسيطرة على العالم"[١].

وفي نفس العام أجمع موظفو الخارجية البريطانية على رفض فكرة الانسحاب من الشرق الأوسط ووصفوا جعله حيادياً بالحماقة[٢]. الرفض هنا لمجرد فكرة الاستقلال أي ترك بلاد الشرق الأوسط دون تدخل غربي فما بالنا ببروز قوة محلية مستقلة؟!، وهو أيضاً ما يشير إلى النزعة الاستثنارية التي تميزت بها السياسة البريطانية في شرقنا زمناً طويلاً.

كما جاء في اجتماع لحلف شمال الأطلنطي سنة ١٩٦٥م، نرى ذلك في خطاب الممثل الأمريكي حيث قال "أن الشرق الأوسط هو الجناح الأيمن لأوروبا عسكريا ويحتوي على ثلثي احتياطيات النفط المعروفة[٣]"، وكان صُناع السياسة البريطانيون والأمريكيون قد أشاروا منذ سنة ١٩٥٠م إلى أن التحكم "بالشرق الأوسط" يعني التحكم في الوصول إلى ثلاث قارات[٤]. آسيا وأفريقيا وأوربا، والوصل لدى هؤلاء الناس يعني السيطرة.

هذه المصالح السابقة تجعل من المسلمات في الفكر الغربي المسيحي والصهيوني والاقتصادي هو عدم السماح بقيام كيان واحد قوي يحكم بلاد الشرق الأوسط ومن أسهل الطُرق المساعِدة على ذلك سياسة التفتيت والتعامل مع دويلات

---

(١) مايكل أورين، القوة والإيمان والخيال، كلمة وكلمات عربية، أبو ظبي والقاهرة، ٢٠٠٨، ترجمة: آسر حطيبة، ص ٣٣٥

(٢) خليل إينالجيك ودونالد كواترت (تحرير)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧، ج ٢ ص ٤٩١.

(3)Sevket Pamuk ،The Ottoman Empire and European capitalism ،1820- 1913 ، Cambridge University Press ،1987 ،p. 131- 132.

(٤) وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، نوبليس، ٢٠٠٧، ج ٤ ص ١٥٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صغيرة يحكمها حكام ضعاف. وفي نفس هذا السياق يُمكننا أن نضيف إلى سلسلة المصالح السابقة قرب "الشرق الأوسط" من أوروبا ووقوعه في دائرة الأطماع الإقليمية لدولها حيث خيّل لفرنسا في العصر الحديث أن الجزائر جزء منها، حيث كانوا يُطلقون على الجزائر فرنسا ما وراء البحر كما أن لفرنسا روابط تاريخية بسوريا تعود إلى حروب الفرنجة، كما حدث الأمر نفسه لإيطاليا مع ليبيا، هذا إضافة إلى أطماع روسيا في بلاد البلقان باسم الجامعة السلافية وباسطنبول ومضايقها بحجج دينية تخفي أسباباً إستراتيجية، وبشرق الأناضول بحجة الأرمن رغم أنها تقمعهم في بلادها، لكن تُوهمنا أو توهم ضعاف العقل من الأرمن أنها تدافع عنهم؛ وأطماع إمبراطورية الهابسبورج النمساوية في البلقان أيضًا، وإضافة إلى ذلك أطماع الاستعمار التقليدي كأطماع بريطانيا في مصر والعراق، وأطماع فرنسا في تونس.

كل هذه الأطماع الإقليمية كلفت الدولة العثمانية قديماً حروباً طاحنة وثورات عاتية ومعارك حامية أدت إلى استنزافها ولم يكن من مصلحة الغرب الأوروبي أن تقف هذه الدولة ثانية على قدميها من جديد بل كان الحلم في إعلان وفاة هذا الكيان الضخم الذي هو رمز للخلافة الإسلامية وحدة الدم والعقيدة. الكيان الذي كان يؤكد على احتمال ظهور من يُنادي بأن المسلمين أمة واحدة من دون الناس وأن الوطنية الإسلامية والأخوة الإسلامية هي الرابطة التي تعلوا على كل العُرى بل هي العروة الوثقى فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص والجسد المسلم هو جسد واحد إذا تداعى منه عضو أصيب كل الجسد بالحمى والسهر.

هذه ليست رؤى يراها النائم في نومه ولكن محاولة إضعاف وقتل وتخريب الخلافة العثمانية لم تكن بعيدة أبداً عن أيدي البلاد الغربية بل كانت حقيقة يراه الفرد سارية بالليل والنهار؛ ومن أدل الوقائع على ذلك رفض أوروبا مجتمعة تدخل محمد علي باشا بصفته والياً عثمانياً لإخماد الثورة اليونانية بقوته الصاعدة وقيامها بتحطيم الأسطول العثماني المصري في معركة نافارين (١٨٢٧م) وكانت فرنسا التي دعمت الوالي المصري سابقاً على رأس مهاجميه في المعركة لأنها كانت تريد قوته في سبيل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مصالحها[1]، من المضحكات في ذلك أن فرنسا لم تتوقف عن استقبال الطلبة المبعوثين من قبل الوالي المصري لكي يتعلموا في جامعات فرنسا فكان الهدف ليس جعل محمد على أو غيره قوياً أو له قراراً مستقلاً ولكن الهدف هو جعل والي مصر سواء كان محمد علي أو غيره أن يكون محافظاً على مصالح تلك البلاد[2].

ويدور الزمان دورته ويظل العدو واحد حيث تدل حوادث الثورات العربية الأخيرة على محاولات الغرب الحثيثة الإبقاء على نفوذه وعدم إحداث تغييرات ثورية تغير من أوضاعنا النسبية له، يشهد على هذا بقاء نفس الأطقم القديمة في مواقع اتخاذ القرار وهي الوجوه التي اعتاد الغرب على التعامل معها والاطمئنان إليها فيما سبق من أحقاب التاريخ المتتالية ولا يُغير من الأمر أن يكون شخص واحد من هذا الطقم أو ذاك قد اعتزل حتى لو كان رأس النظام، ولو استعملنا التعبير الماركسي فإن أدوات الإنتاج الغربية "الجديدة" لم تؤد إلى علاقات إنتاج جديدة، ولكن نفس المنتج بنفس آليات الإنتاج وهذه الآلات هي نفسها مازالت في كل مكان، ولهذا فإن هذه الأدوات التي يستعملها الغرب في إخضاع أمتنا ليست جديدة على الإطلاق. ولكنها قديمة قدم الليل والنهار ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا.

وخلاصة الأمر أنه رغم تغير المصالح الغربية في منطقتنا، من الوصول إلى الهند والشرق الأقصى إلى صد التوسع الروسي أو السوفييتي إلى تأمين وصول إمدادات النفط إلى الغرب، فإنها لم تفقد بريقها رغم استقلال الهند وزوال الاتحاد السوفييتي وتطور وسائل المواصلات والأسلحة الجوية التي قللت من أهمية الحدود البرية والحواجز الطبيعية، كل ذلك لم يصرف أنظار الغربيين عن بلادنا بل تطورت مصالحهم بما يزيد من تشبثهم بالهيمنة عليها مع مرور السنين وتغير اللاعبين، وفي هذا المجال يُشير المؤرخ زين نور الدين زين إلى "خطورة الدور الذي يلعبه الموقع

---

(١) إريك هوبزباوم، عصر رأس المال: ١٨٤٨- ١٨٧٥، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ترجمة: فايز الصياغ، ص ٢١٥.

(١) مايكل أورين، القوة والإيمان والخيال، كلمة وكلمات عربية، أبو ظبي والقاهرة، ٢٠٠٨، ترجمة: آسر حطيبة، ص ٣٣٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجغرافي في مشكلات العالم" ولهذا كان جملة من الكُتاب البارزين يؤمنون أن دراسة الجغرافيا أمر ضروري لفهم تطور أي بلد من البلدان، ويضيف قائلا إن "الجغرافيا تعد من أقل العوامل تعرضاً للتغير في تاريخ الشعوب[١]؛لأنه إذا ربطنا مصالح الأمم بالوضع الجغرافي فهذا يعني أن تلك المصالح ستكون ثابتة رغم تغير الأشخاص والأزمان أو حتى أنظمة الحكم لأن الجغرافيا ثابتة، كما إن دراسة الجغرافيا في كثيراً من الأحيان تشتمل على دراسة الموارد الطبيعية والمناخ وكل هذه المكونات تُعتبر من الثوابت.

وخلاصة القول أنه إذا أردنا أن نعرف لماذا يحرص الغرب على استمرار نظام الدويلات؟ يجب أن نفهم ما هي المخاطر التي تهدد الغرب بل والعالم أجمع من قيام نظام لا يؤمن برابطة غير رابطة التوحيد ويعتبر أن كل بلاد المسلمين هي وطن لهذا النظام وكل بيوت المسلمين هي بيته الذي إن مات دونه فهو شهيد؟

(١) يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م، ترجمة: محمد إبراهيم الجندي، ص ٢١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

محاولات رفض هذا التفرق ومحاولات الاندماج.

وضحنا في المباحث السابقة كيف أن التفرق مذموم وأن التوحد أمر مرغوب بل هو ضرورة وجودية وليس من قبيل الترف الفكري والأمر لا يحتاج إلى سفسطة كاذبة. فهذا الأمر واضح للعيان؛ لذلك كان من الطبيعي أن يسعى هذا الشتات إلى الالتئام من جديد، كان من الطبيعي أن تجد هذه الأمة المبعثرة وهذا الفراش المبثوث أن تجد مَنّ ينادي بالعودة إلى فكرة الأمة الواحدة من دون الناس وأن المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه، وأن الله في عون العبّد ما كان العبّد في عون أخيه. نعم كانت هناك دعوات هنا ودعوات هناك ونحن هنا بصدد إلقاء الضوء على بعض المحاولات التجميعية التكاملية؛ ونحن هنا سنُركز على هذه الحركات لماذا قامت وما هي مصيرها من خلال الواقع المُشاهد.

أولاً: جامعة الدول العربية

التعريف بها: جامعة الدول العربية هي منظمة تضم دول في الشرق الأوسط وأفريقيا ويعتبر أعضائها دولاً عربية، ينص ميثاق الجامعة على التنسيق بين الدول الأعضاء في الشؤون الاقتصادية، والعلاقات التجارية، والاتصالات، والعلاقات الثقافية، وما يخص الجنسيات ووثائق وأذون السفر والعلاقات الاجتماعية والصحة. المقر الدائم لجامعة الدول العربية هو مدينة القاهرة، بمصر؛ وتقوم كل دولة من الدول الأعضاء بتعيين مندوب لها في الجامعة ويقوم هؤلاء الممثلين باختيار الأمين العام للجامعة؛ وعندما ينظر الناظر إلى خريطة العالم العربي مجتمع يُخيل إليه أن هناك نوع من الوحدة بين هذه الدول.

نشأة الجامعة العربية

في ٢٩ مايو ١٩٤١ ألقى أنتونى إيدن وزير خارجية بريطانيا خطابا ذكر فيه "إن العالم العربي قد خطا خطوات عظيمة منذ التسوية التي تمت عقب الحرب العالمية الماضية، ويرجو كثير من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من درجات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن. وإن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف ولا ينبغي أن نغفل الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا ويبدو أنه من الطبيعي ومن الحق وجود تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية وكذلك الروابط السياسية أيضاً... وحكومة جلالته (أي إيدن) سوف تبذل تأييدها التام لأي خطة تلقى موافقة عامة"[١]. وفى ٢٤ فبراير ١٩٤٣م، صرح إيدن في مجلس العموم البريطاني بأن الحكومة البريطانية "تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب ترمى إلى تحقيق وحدتهم الاقتصادية والثقافية والسياسية". بعد عام تقريبا من خطاب إيدان، دعا رئيس الوزراء المصري مصطفى النحاس كلا من رئيس الوزراء السوري جميل مردم ورئيس الكتلة الوطنية اللبنانية بشارة الخوري لتباحث معهما في القاهرة حول فكرة "إقامة جامعة عربية لتوثيق العرى بين البلدان العربية المنضمة لها". وكانت هذه أول مرة تُثار فيها فكرة الجامعة العربية بمثل هذا الوضوح ثم عاد بعد نحو شهر من تصريح إيدن أمام مجلس العموم، ليؤكد استعداد الحكومة المصرية لاستطلاع آراء الحكومات العربية في موضوع الوحدة وعقد مؤتمر لمناقشته وهى الفكرة التي أثنى عليها حاكم الأردن في حينه الأمير عبد الله. وعلى أثر ذلك بدأت سلسلة من المشاورات الثنائية بين مصر من جانب وممثلي كل من العراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والأردن واليمن من جانب آخر وهى المشاورات التي أسفرت عن تبلور اتجاهين رئيسيين بخصوص موضوع الوحدة الاتجاه الأول يدعو إلى ما يُمكن وصفه بالوحدة الإقليمية الفرعية أو الجهوية وقوامها سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب. والاتجاه الثاني يدعو إلى نوع أعم وأشمل من الوحدة يظلل عموم الدول العربية المستقلة وتضمن هذا الاتجاه بدوره رأيين فرعيين: الرأي الأول يدعو لوحدة فيدرالية أو كونفدرالية بين الدول المعنية والآخر يطالب

(١) محمد عمارة، الإسلام والعروبة والعلمانية، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨١، ص ٥٥

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بصيغة وسط تحقق التعاون والتنسيق في سائر المجالات وتُحافظ في الوقت نفسه على استقلال الدول وسيادتها[١].

وبعد مشاورات هنا وهناك تم الاتفاق على تسمية المظلة الوحدوية الجديدة "جامعة الدول العربية"، وتم التوصل إلى بروتوكول الإسكندرية الذي صار أول وثيقة تخص الجامعة[٢].

وفي النهاية اتفقت الدول المكونة لهذا الكيان الجديد على أن يكون لكل دولةٍ عضوٌ صوتٌ واحدٌ في مجلس الجامعة، ولكن القرارات تُلزم الدول التي صوتت لهذه القرارات فقط. وكان أول ميثاق للجامعة هو ما عُرف في التاريخ بميثاق أو بروتوكول الإسكندرية وهو:

١) قيام جامعة الدول العربية من مجموع الدول العربية المستقلة التي تقبل الانضمام إليها، ويكون لها مجلس تكون فيه الدول المشتركة على قدم المساواة.

٢) مهمة مجلس الجامعة هي: مراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول الأعضاء فيما بينها من اتفاقيات وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها والتنسيق بين خططها السياسية تحقيقاً للتعاون فيما بينها وصيانة استقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل السياسية الممكنة والنظر بصفة عامة في شئون البلاد العربية.

٣) قرارات المجلس ملزمة لمن يقبلها فيما عدا بعض الحالات التي يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة فإن الطرفان يلجأن إلى المجلس لفض النزاع بينهما، ففي هذه الأحوال تكون قرارات المجلس ملزمة ونافذة.

---

(١) راجع: علي الدين هلال، ميثاق الجامعة العربية بين القطرية والقومية، في: علي محافظة (وآخرون)، جامعة الدول العربية: الواقع والطموح، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، نيسان/أبريل١٩٨٣، ص ٧٧-٩٢.

(٢) محمد عبدالوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" المؤسسة العربية للطبع والنشر، ط٣، بيروت لبنان،٢٠٠٠م، ص٢٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤) لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة كما لا يجوز إتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية أو أي دولة من دولها.

٥) يجوز لكل دولة من الدول الأعضاء بالجامعة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه الأحكام وروحها.

٦) الاعتراف بسيادة واستقلال الدول المنظمة إلى الجامعة بحدودها القائمة فعلاً.

وكانت أهداف الجامعة المعلنة في سنة ١٩٤٥م هي[١]:

- التعزيز والتنسيق في البرامج السياسية والبرامج الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بين أعضائها.
- التوسط في حل النزاعات التي تنشأ بين دولها، أو النزاعات بين دولها وأطرافٍ ثالثة.
- الدول التي وقعت على اتفاقِ الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي في ١٣ أبريل ١٩٥٠م ملزمةٌ على تنسيق تدابير الدفاع العسكري.

وفي الحقيقة فقد لعبت الجامعةُ العربيةُ دوراً هاما في صياغة المناهج الدراسية، والنهوض بدور المرأة في المجتمعات العربية، وتعزيز رعاية الطفولة، وتشجيع برامج الشباب والرياضة، والحفاظ على التراث الثقافي العربي، وتعزيز التبادلات الثقافية بين الدول الأعضاء فقد تم إطلاق حملاتٍ لمحو الأمية، وعمليات نسخٍ للأعمال الفكرية، وترجمةٍ للمصطلحات التقنية الحديثة لاستخدامها داخل الدول الأعضاء؛ كما تشجع الجامعة اتخاذ التدابير اللازمة لمكافحة الجريمة وتعاطي المخدرات، والتعامل مع القضايا العمالية[٢].

---

(١)إبراهيم توفيق الرابي "المنظمات الدولية، والإقليمية المتخصصة" ط٢ جامعة الأزهر ٢٠٠٦م، ص ٣٢.

(2) Internal Regulations of the Secretariat-General of the League". Model League of Arab States. Ed Haynes, Winthrop University. 1998-04-06

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونحن هنا بعد مرور السنون هل لنا أن نسأل أنفسنا ونحن من أفراد هذه الأمة المتناثرة أن نسأل لماذا فشل الحلم الوحدوي العربي؟! نقول ذلك ونحن نعرف أن الدويلات العربية كلها تتحدث لغة واحدة، نقول ذلك ونحن نعرف أن الخالق العظيم قد منح هذه المنطقة ما لم يمنحه لغيرها من العالم فنرى بعض الدول بها العمالة والعلم والخبرة والبعض الأخر غني بثرواته فهو نوع من التكامل المفروض، فضلاً عن مقومات وحودوية أخرى مثل توحد الدين واللغة والعرف بل وحتى العادات والتقاليد؛ فلماذا هذا الفشل:

في الحقيقة أن أسباب الفشل أكثر من أن تُحصى ولكن يكفي أن أول من دعا إلى إنشاء هذا الكيان هو إدن رئيس وزراء الدولة المستعمرة – رئيس وزراء بريطانيا– فهذا يكفي لأن نعلم أن منظمة الجامعة العربية كانت مجرد أداة لتسلية ليس أكثر ولكن مع ذلك يُمكن رصد بعض الأسباب المنهجية التي أدت إلى هذا الفشل[١]:

١) أن الفشل له أسبابه الداخلية في كل دولة عربية. حيث نرى أن كل دولة عربية في الواقع ليست كيان واحد يؤمن بفكرة الوحدة العربية فبعض الأفراد العرب يرون أنه لا جدوى من هذه المحاولة. هذا ليس رأي الرجل البسيط فقط ولكن توجد قيادات كثيرة تُفضل التعاون مع دول غير عربية على التعامل مع دولة عربية.

٢) أما الأسباب الخارجية فهي أن هناك وثائق كثيرة تفضح الدور الأمريكي والدور الإسرائيلي في إفشال الوحدة العربية، وحديثاً ظهرت العديد من الوثائق والمعلومات التي تؤكد جدية المساعي الأمريكية والإسرائيلية لإفشال الدولة الوطنية العربية وتفكيكها وإعادة تقسيمها؛ أي أن التقسيم الأول وقتل الخلافة العثمانية ليس كافياً!!

٣) تفتيت الوجود العربي رأس الأهداف الصهيونية: فقد التقت خطة الاستعمار والإمبريالية هذه مع الخطة الصهيونية وأهداف الحركة الصهيونية منذ بدايتها، وولد منذ ذلك الحين حلف مشترك يحمل هدفاً مشتركاً أساسياً هو السعي الدائب لتفتيت

(١) احمد الرشيدي، "تحديث مؤسسات العمل العربي المشترك كمدخل لبناء مشروع قومي عربي جديد" القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧م، ص ١٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجود العربي بشتى الأساليب، عن طريق استغلال الانقسامات الطائفية والعِرقية، وعن طريق إذكاء المصالح القُطرية الضيقة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية، تحقيقاً لاستقرار الدولة اليهودية وضماناً لأمنها.

٤) دور الاستعمار والإمبريالية: يُضاف إلى هذا أن الاستعمار، ومن بعده الإمبريالية، قد جعلا على رأس أهدافهما إضعاف الوجود العربي عن طريق تجزئته وتفتيته، والحيلولة بينه وبين وحدته وتضامنه، ومنع تقدمه بالتالي، وتعطيل أي جهد يقوم به من أجل بناء مشروعه الحضاري المتقدم وكيانه الموحد القادر؛ ونرى ذلك واضحاً في تصريحات الكثير من أقطاب الدول الاستعمارية منذ أيام ازدهار الاستعمار البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.

٥) اختلاف التركيبة السياسية:- أن دول العالم العربي مختلفة اختلافًا جوهريًا في تركيبتها، عن التركيبة الديمقراطية لكل دولة من الدول الأعضاء ففي الاتحاد الأوروبي نجد الشرعية الديمقراطية للاتحاد الأوروبي موجودة على المستوى القومي مما أدى إلى وجود استقرار سياسي نسبي لدى أنظمة دول الاتحاد الأعضاء، هذا الأمر غير موجود شكلاً ومضموناً في البلاد العربية[١].

كما إن مؤسسي هذا الكيان أقروا في بروتوكول التأسيس على أن القرارات تؤخذ بالإجماع ولا يلتزم بها إلا من وافق عليها، وهذا يؤكد أنه لا توجد آلية معينة تجعل الدويلة التي لم توافق على هذا القرار تلتزم به. ومن خلال هذه التجربة التي شغلت رؤوس الجنس العربي وحلم بسطاء الأمة وكُنت أنا منهم أن هناك وحدة سوف تنشأ بين هذه البلاد العربية وستكون هناك قوة عربية مشتركة وسوق عربية مشتركة، ومناهج تعليمية مشتركة... إلى أخر تلك الأحلام وتلك السرابات التي لا تلبث أن تُرى على حقيقتها عند أول تجربة وعند أول ملامسة في تجربة تكون المفاجئة فهذا السراب ما هو إلا رمالُ ٌ قاحلة لمعت تحت تأثير الحر والجفاف؛ فالأغنياء من

(١)عبدالمنعم السيد علي "الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية: متابعة وتقييم ، في :جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الإقليمية"، بغداد: بيت الحكمة،٢٠٠٢م، ص ص ٣٠٠:٣١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرب يرفضون هذه السوق المشتركة وتلك العملة المشتركة، ورأينا جيش دولة عربية يخترق حدود دولة عربية أخرى ويُطالب من بقية الدول العربية تأييده في هذا الغزو!!. حدث هذا ولم ينجح هذا الكيان الهش الهزيل أن يوقف العدوان أو يأمر هذا الجيش الغازي بالانسحاب؛ وإذا تحدثنا عن موقف هذا الكيان- جامعة الدول العربية- من احتلال أولى القبلتين وثالث الحرمين هو أشبه بفصول الكوميديا السوداء فمناداة هنا وهناك بالمقاطعة أو بالتوعد وعند ملامسة الواقع نجد ما يُعلن من بيانات نارية لا تعدوا فصل تمثيلي من فصول هذه الكوميديا السوداء، فالحقيقة أن علاقة بعض الدويلات العربية بدولة الكيان الصهيوني هي أقوى من العلاقة بينها وبين بعض الدويلات العربية الأخرى.

كما إن جامعة الدول العربية ليس تجمع لكيانات مستقلة فحكومات هذه الدول في غالبها ليست مُعبرة عن الشعوب فالشعوب واحدة بحكم ما تؤمن به من عقيدة واحدة، أما الحكومات فهي غير تلك الشعوب فلو كانت هذه الحكومات معبرة عن الشعوب لكان هناك مصير أخر لهذا الكيان الهلامي الهش الهزيل الذي نُسميه جامعة الدول العربية. وعندما نقول أن الدول العربية غير مستقلة نقصد أن قرارها السياسي خلال مراحل تصنيعه لا بُد أن يمر بحلقات من بينها إرضاء الدُول الكُبرى والتي بدورها حريصة على مصالحها ومصالح الكيان الصهيوني التي تتناقض بالقطع مع مصالح الشعوب العربية.

وللحقيقة فقد كانت هناك تجارب أخرى لا تستحق عناء الذكر فقد ماتت هذه التجارب في مهدها فهي لم تحظى بهذا العدد الضخم ولا بهذا التوافق الذي حظي به كيان ما يُسمى بجامعة الدول العربية.

ثانياً: منظمة التعاون الإسلامي (أو رابطة العالم الإسلامي)

كان لسقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م، وإعلان تركيا دولة مثل بقية دول العالم وتخلي الحكومة هناك في ذلك الوقت بقيادة مصطفى كمال أتاتورك عن بقية الشعوب الإسلامية. هذا الأمر كان له من التبعات الروحية والنفسية بل وكان له

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبعات على المستوى التنفيذي على أرض الواقع تبعات خطيرة ومتتالية بل ومتضاعفة فكلما حلت مشكلة في العالم الإسلامي منذ ذلك التاريخ تبعتها مشاكل كثيرة وكلما خرج المسلمون من ظلمة دخلوا في غيرها فهي ظلمات بعضها فوق بعض لا نعرف أولها من أخرها. فكانت هناك محاولة لتجميع الناس تحت مظلة الدين والدين فقط فكانت مطالب إنشاء منظمة التعاون الإسلامي، وهذه النداءات أدت لإنشاء منظمة التعاون الإسلامي سنة ١٩٢٦م، أي بعد سقوط الخلافة بسنتين فقط؛ دعا لهذا التجمع الملك السعودي في وقتها وظل هذا الكيان يجتمع تحت رعاية المملكة العربية السعودية وكان من أهم أهدافه هو خدمة قضايا الأمة الإسلامية[١].

وفي سنة ١٩٦٩م أقدم الاحتلال الصهيوني على حريق المسجد الأقصى وهذه كانت أول مرة تحدث مناداة واعتبار أن قضية الأقصى قضية إسلامية وليست عربية فقط. في نفس هذه السنة دعا ملك المغرب وحكومة الرباط رؤساء دول العالم الإسلامي إلى الاجتماع في الرباط وهذا كان أول اجتماع على مستوى رؤساء الدول الإسلامية وبالفعل حدث الاجتماع بعد شهر تقريباً من حريق المسجد الأقصى.

تعريف بالمنظمة: منظمة التعاون الإسلامي هي ثاني أكبر منظمة حكومية دولية بعد الأمم المتحدة، وتضم في عضويتها سبعا وخمسين (٥٧) دولة عضواً موزعة على أربع قارات، وتُعتبر المنظمة هي الصوت الجماعي الوحيد للعالم الإسلامي وتسعى هذه المنظمة لحماية مصالح العالم الإسلامي والتعبير عنها وتعزيزاً للسلم والتناغم الدوليين بين مختلف شعوب العالم[٢].

النشأة: قد أنشئت المنظمة بقرار صادر عن القمة التاريخية التي عقدت في الرباط بالمملكة المغربية يوم ١٢ رجب ١٣٩٨ هجرية (الموافق ٢٥ سبتمبر ١٩٦٩م)؛ وقد

---

(١)عبدالمنعم السيد علي "الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية: متابعة وتقييم ، في :جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الإقليمية"، بغداد: بيت الحكمة،٢٠٠٢م، ص ص ٣٠٠:٣١٠.

(٢) إبراهيم محمد العناني، "الأمم المتحدة دراسة في ضوء النظام الثانوي للمنظمات الدولية وأهم المشكلات العلمية التي تواجهها"، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م ص١٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تم عقد هذا الاجتماع رداً على جريمة إحراق المسجد الأقصى في القدس المحتلة ثم توالت الاجتماعات بعد ذلك حيث عُقد أول اجتماع للمنظمة في عام ١٩٧٠م لوزراء الخارجية في جدة وقرر إنشاء أمانة عامة يكون مقرها في مدينة جدة ويرأسها أمين عام للمنظمة؛ وأهم ما جرى في هذا الاجتماع مناقشة وإعلان الميثاق الحالي لمنظمة التعاون الإسلامي في القمة الإسلامية الحادية عشرة التي عُقدت في دكار يومي ١٣ و١٤ مارس ٢٠٠٨م؛ وقد حدد الميثاق الجديد أهداف المنظمة ومبادئها وغاياتها الأساسية المتمثلة في تعزيز التضامن والتعاون فيما بين الدول الأعضاء؛ وعلى مدى السنوات الأربعين الماضية، ارتفع عدد الأعضاء من خمس وعشرين دولة، وهو عدد الأعضاء المؤسسين، ليبلغ سبعا وخمسين دولة عضوا؛ وتنفرد المنظمة بشرف كونها جامع كلمة الأمة وممثل المسلمين الذي يُعبر عن القضايا القريبة من قلوب ما يزيد على مليار ونصف المليار مسلم في مختلف أنحاء العالم؛ وترتبط المنظمة بعلاقات تشاور وتعاون مع الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية الحكومية بهدف حماية المصالح الحيوية للمسلمين والعمل على تسوية النزاعات والصراعات التي تكون الدول الأعضاء طرفاً فيها. ولقد اتخذت المنظمة خطوات عديدة لصون القيم الحقيقية للإسلام والمسلمين وإزالة التصورات الخاطئة، كما دافعت بشدة عن القضاء على التمييز إزاء المسلمين بجميع أشكاله؛ وفي الحقيقة كانت هناك محاولات جادة من القيادات المخلصة والطيبة التي تهدف لدمج دول العالم الإسلامي في العالم أجمع؛ هذا الهدف رغم لمعانه وبريقه إلا إنه ينبغي علينا أن نسأل هل العالم على استعداد لقبول كيان مستقل يُقال له منظمة العالم الإسلامي؟ وهل القوى الدولية على مستوى العالم على استعداد لمعاملة هذا الكيان معاملة الند للند؟!!

لذلك كان حتماً على الدول الأعضاء أن تواجه تحديات متعددة في القرن الحادي والعشرين. ومن أجل معالجة هذه التحديات، وضعت الدورة الاستثنائية الثالثة لمؤتمر القمة الإسلامي التي عُقدت في مكة المكرمة في ديسمبر ٢٠٠٥م، خطة في شكل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

برنامج عمل عشري (أي مقسم كل عشر سنوات) [١] هذا العمل يهدف إلى تعزيز العمل المُشترك بين الدول الأعضاء ودعم التسامح والاعتدال والحداثة وإحداث إصلاحات كُبرى في جميع مجالات النشاط، بما في ذلك العلوم والتكنولوجيا، والتعليم، وتحسين مستوى التجارة؛ كما يُشدد البرنامج على أهمية الحكم الرشيد وتعزيز حقوق الإنسان في العالم الإسلامي، ولاسيما فيما يتعلق بحقوق الطفل، والمرأة، وقيم الأسرة المتأصلة في الشريعة الإسلامية.

ويُمكن تلخيص الأهداف التي قامت من أجلها منظمة العمل الإسلامي:

أهداف المنظمة:

- تعزيز ودعم أواصر الأخوة والتضامن بين الدول الأعضاء.
- صون وحماية المصالح المشتركة، ومناصرة القضايا العادلة للدول الأعضاء، وتنسيق جهود الدول الأعضاء وتوحيدها بُغية التصدي للتحديات التي تواجه العالم الإسلامي خاصة والمجتمع الدولي عامة.
- احترام حق تقرير المصير وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأعضاء، واحترام سيادة الدول الأعضاء واستقلال ووحدة أراضي كل دولة عضو؛ ضمان المشاركة الفاعلة للدول الأعضاء في عمليات اتخاذ القرار على المستوى العالمي في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لضمان مصالحها المشتركة؛ تأكيد دعمها لحقوق الشعوب المنصوص عليها في ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي[٢].
- تعزيز التعاون الاقتصادي والتجاري بين الدول الإسلامية من أجل تحقيق التكامل الاقتصادي فيما بينها بما يُفضي إلى إنشاء سوق إسلامية مشتركة.

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٠.

(٢) بطرس بطرس غالي، ومحمود خيري عيسى، "المدخل في علم السياسة" ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٩٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- بذل الجهود لتحقيق التنمية البشرية المستدامة والشاملة والرفاه الاقتصادي في الدول الأعضاء.
- حماية صورة الإسلام الحقيقية والدفاع عنها والتصدي لتشويه صورة الإسلام وتشجيع الحوار بين الحضارات والأديان.
- الرُقي بالعلوم والتكنولوجيا وتطويرها وتشجيع البحوث والتعاون بين الدول الأعضاء في هذه المجالات.

في الحقيقة إن المتفحص لهذه الأهداف يكاد يرقص فرحاً إعجاباً بهذه الأهداف السامية ولكن هل تستيقظ الأمة من كبوتها بالكلام الرنان الجميل أم بالإخلاص وتنقية القلوب وتلخيص هذه الأهداف في هدف واحد وهو العودة إلى مفهوم الأمة الواحدة من دون الناس ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، ولكن هذا الحُلم الجميل صعب تحقيقه وقد تقطعت الأمة الإسلامية إلى مجموعة من الدويلات التي تربطها علاقات ومصالح مع دول العالم الآخر.

وعلى كل الأحوال كانت هناك محاولات للوصول إلى الأهداف أنفة الذكر، حيث أقرت الدول الأعضاء أنه على الدول الأعضاء التصرف وفقاً للمبادئ الآتية[1]:

- تلتزم جميع الدول الأعضاء بمبادئ ميثاق الأمم المتحدة ومقاصده.
- الدول الأعضاء دول ذات سيادة وتتساوى في الحقوق والواجبات.
- تقوم جميع الدول الأعضاء بحل نزاعاتها بالطرق السلمية، وتمتنع عن استخدام القوة أو التهديد باستخدامها في علاقاتها.
- تتعهد جميع الدول الأعضاء باحترام السيادة الوطنية والاستقلال ووحدة الأراضي لكل منها وبعدم التدخل في الشؤون الداخلية للآخرين.

(١) الجامعة المفتوحة بالقدس "تاريخ العرب المعاصر"، ط٣، عمان، ٢٠٠٠م ص ١٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تعزز الدول الأعضاء وتساند على الصعيدين الوطني والدولي الحكم الرشيد والديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية وسيادة القانون.

وما زالت هذه المنظمة قائمة حتى الآن ونحن نرى أن جهود هذه المنظمة كتجمع كبير للدول الإسلامية إلا إن هذه المحاولات والتي بدأت منذ ما يقرب من مئة عام سنة ١٩٢٦م على يد الملك السعودي وبعد عشرات الاجتماعات لم نرى القدس حُررت ولا حتى تهديد أمن الكيان الصهيوني حدث له ما يُعكر صفوه بل على العكس من ذلك تماماً. فقد رأينا الدويلات العربية والإسلامية تضعف وتتهاوى واحدة بعد الأخرى وبنفس القدر تزداد دولة الكيان الصهيوني قوة وتماسكاً وتقدم. بالإضافة إلى هذا التجمع الضخم (٥٧) دويلة تحت مظلة الإسلام – هكذا يقولون– لم تستطيع هذه الدول منع الصراعات الدموية المسلحة بين الدول الأعضاء نفسها فلم تحل المشكلة العراقية الكويتية ولم تحل أزمة الصحراء المغربية ولا غيرها. ولعل السبب في ذلك هو طريقة صناعة القرار في هذه الدويلات الإسلامية فالقرار يمر بمراحل من بينها إرضاء الدول الكُبرى التي بدورها تحافظ على مصالحها ومصالح الكيان الصهيوني الذي بدوره يتعارض مع مصالح الإسلام والمسلمين.

وخلاصة القول أن أسباب الفشل تتمثل في[١]:

١) قيام هذه التجمعات بين دويلات متناقضة في الفكر والرؤى وأنظمة الحكم.

٢) وجود لكل دولة أهداف فرعية غير الهدف العام لهذا التجمع.

٣) زيادة درجة التنافر بين الشعوب الإسلامية وحكامها فالحكام أو الحكومات في واد والشعوب في وادٍ أخر.

٤) تخلي علماء الأمة راضين أو مكرهين لأن يكونوا صمام أمان بين الحكومات وبين الشعوب وأن يقوموا بدورهم المتمثل في تحذير الحكام والحكومات من مغبة ظلم وتهميش الرعية والبعد عن التصورات والفكر الإسلامي في حكم

(١) صلاح عبدالرازق "الإسلام والأمم المتحدة" أطروحة ماجيستير منشورة، جامعة ليون هولندا ٢٠١٤م ص٩٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشعوب وفي نفس الوقت يأمروا الناس بالمعروف وينهوهم عن المنكر ويعملوا على زيادة المنسوب الإيماني في نفوس الناس.

وبعد فترة ليست بطويلة نجحت الحكومات في احتواء وتوظيف الجمهور الكبير من العلماء فتحول العَالِم لمجرد موظف يرى في كل إشارة تحذير لمسئول هو خروج على هذا المسئول وتدمير للمجتمع وهلاك للحرث والنسل، ونسي هؤلاء أو تناسوا أن العدل أساس الملك[1].

وكان من نتيجة هذه العوامل تحول العالم الإسلامي إلى جزر متناثرة لا يربطها رابط على المستوى العملي الرسمي إلا أمور شكلية لا ترتقي إلى الرغبة في الالتئام فضلاً عن الفشل في تجنب حالات الصراع. من الغرائب أن نجد حكومات مصر في بعض المراحل تسمح بانفصال السودان وهو طوال التاريخ القديم والحديث مع الجزء الشمالي أو مصر أرض واحدة وشعب واحد!! ثم تسعى نفس الحكومات في هذه المرحلة لقيام وحدة بين مصر وسوريا!! فتفشل هنا وتفشل هناك!. على الجانب الأخر لا نجد مُبرر لاستمرار تقسيم بلاد الشام الأردن ولبنان وسوريا والعراق.

(١) أبي بكر علي بن موسى البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) تحقيق د. علي عبدالحميد حامد، دار الفكر، ط٣ ٢٠٠٩م، ص٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

مفهوم الدولة القومية ونهاية هذا المفهوم على أرض الواقع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

تعريف الدولة القومية، ونشأتها

تمهيد: منذ أن جاء الإنسان على ظهر هذه الأرض وهو مجبول على أن يلجأ إلى نواة يدور حولها ويكون هو فرد من الأفراد الذين يدورون في فلك هذه النواة. وكانت النواة الأولى هي الأسرة بمفهومها الضيق الصغير الزوج والزوجة والأبناء ثم تطور الوضع واتسع نطاق الأسرة الصغيرة نتيجة التزاوج والتوالد فأصبحت قبيلة هذه القبيلة لها قانون ويكون الأب الأكبر هو ولي أمر القبيلة ومن يفصل في الخلافات التي تقع بين أفراد القبيلة؛ وبهذا المفهوم فهذه القبيلة يكون ولاء الأفراد فيها للقبيلة الأمة وهذه القبيلة في بداية ظهورها كانت تنتقل من مكان إلى مكان فلا يُعرف لها بلد ولا مأوي فهي تبحث عن مواطن الكلأ والماء. كان هذا هو الشكل المعهود للقبائل الرُحل في تلك الأحقاب من عُمر البشرية كان العُرف والقانون السائد هو عُرف وقانون القبيلة والتاريخ والجغرافيا هو المحيط الذي تدور فيه حياة القبيلة[١].

ثم استقر الإنسان بعد ذلك حول عيون الماء أو في دلتا ووديان الأنهار من هنا تكونت التجمعات البشرية المرتبطة بالأرض هذه التجمعات كانت تجمعات قبلية وكان كثيراً ما يحصل خلاف بينها فيكون العودة إلى شيخ القبيلة لكي يحكم ويفصل في النزاعات ولكن هذا الأمر تطور فظهرت على ضفاف الأنهار مثل نهر النيل في مصر ونهري دجلة والفرات في بلاد الشام الحضارات القديمة التي يحكي التاريخ لنا أن هذه الحضارات كانت تجمعات منظمة بمعنى أن هناك قانون يحكم حركة الناس في القرى والمدن وهناك قانون يُفرض على كل سكان المملكة وكان الملك واحداً من هذا التجمع. وعرفت الديار المصرية حكم الأسرات منذ زمن بعيد فكان الأب المؤسس يحكم منطقة من الأراضي ليس لها حدود معروفة، ولكنها على كل الأحوال

---

(١) د. حليم بركات، "الديمقراطية والعدالة الاجتماعية: في سبيل إغناء التجربة العربية"، المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية، رام الله، ١٩٩٥م، ص ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كانت بداية لظهور تجمع بشري منظم لمجموعة من البشر لهم قانون يتحاكمون به ولهم جيش واحد ونظام للتقاضي.

في الحقيقة يعود ظهور الدولة القومية بملامحها الأولى تاريخياً إلى القرن الرابع عشر الميلادي حيث تمكن ملوك فرنسا وإسبانيا من إخضاع الكنيسة والأسياد الإقطاعيين أو النبلاء إلى سيطرتهم، وقد أدى الملوك دوراً أساسياً في بروز الدولة القومية، أي أنهم كانوا الطرف الأهم في تكوين هذا المفهوم. ومع ظهور الدولة القومية منح الأفراد صفة المواطنة لدولة محددة بالإضافة إلى كونهم رعايا لملوكهم، وترسخ وجود الدولة القومية وسيادتها في أوروبا بعد معاهدة ويستفاليا أو صُلح ويستفاليا (Peace of Westphalia) ١٦٤٨م التي اعترفت بحدود الدول القومية وأقرت الاحترام المتبادل لسيادة هذه الدول على أراضيها ومواطنيها.

وهكذا بدأ هذا الشكل السياسي المحدد الذي نُطلق عليه الدولة الحديثة أو الدولة القومية في الظهور والتبلور خلال القرون الأربعة الماضية على الساحة الأوروبية والتي اعتمدت في تنظيمها على نظام ملكي مطلق، وجيش وطني عام، ونظام ضريبي موحد(١).

ولقد أسست لقيام الدولة بشكلها الموجود اليوم تجارب تاريخية طويلة أفرزت جملة من الآراء والنظريات والأفكار التي ساهمت في تحديد ملامح الصورة الحالية لهذه الدولة. فمن خلال ما عرف بنظرية العقد الاجتماعي التي نسفت الحق الطبيعي أُرسيت فلسفات الحكم التي نراها من خلال آراء مفكرين مثل توماس هوبز وجان لوك وغيرهم من فلاسفة الغرب الذي اتجه فكرهم في بدايات عصر النهضة إلى تقديس قيمة العقل وتفضيل التفكير العقلي ونتائج التجارب العلمية على الموروثات الثقافية من وحي ديني أو كُتب مقدسة. هذه الأفكار في جملتها أسست لعصر النهضة وتحولات أوروبا التي برزت فيها مفاهيم السيادة والحرية والديمقراطية وحرية الفرد؛ وارتبطت الدولة كظاهرة تاريخية غربية بظهور وتطور وسيادة الرأسمالية بعد

---

(١) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انحسار الإقطاع واضمحلاله، وبحكم مركزية تأثيرها أشاعت أوروبا التجربة في العصور الحديثة وأخذ شكل الدولة الحديثة ينتشر خارج أوروبا حتى أصبح النمط السائد في النظام السياسي الدولي، فالدولة بما تشتمل عليه من مؤسسات هو النظام الحديث للتجمعات البشرية[1].

وبشكل عام فإن المتتبع للتطور التاريخي للدولة يستطيع التمييز بين ثلاثة تصورات رئيسية بشأنها:

- التصور الأول يعدها نظاماً قانونياً تترابط بداخله أجزاء المجتمع المختلفة ترابطاً سياسياً.
- التصور الثاني ينظر إلى الدولة كأداة سياسية تستخدمها طبقة أو جماعة مسيطرة للتحكم في المجتمع بأكمله، وذلك بوصفها تمثل القوة العليا أو السلطة المطلقة للملك أو الحكومة.
- التصور الثالث يعتبرها هيئة أو تنظيم يستعين به المجتمع القائم على المساواة في تحقيق وإنجاز أهدافه.

فالدولة اليوم هي ذروة ما توصل إليه الفكر البشري في الإدارة والحكم التي تتوج البنيان الاجتماعي، وتكمن طبيعتها التي تنفرد بها في سيادتها على جميع أشكال التجمعات الأخرى من حيث وسائلها في فرض المبادئ المجتمعية وتنظيم السلوك البشري فالدولة تُصدر القوانين وتُعاقب من يخرج عنها كما أنها تملك فرض النظام لضمان طاعتها من قِبل الأفراد والجماعات المندرجة تحت ظلها؛ وبالتالي تُشكل الدولة الإطار المألوف لممارسة السلطة سواء داخل الدولة نفسها أو فيما بينها وبين الدول الأخرى على مستوى الجماعة الدولية ككل؛ وتُعد الدولة ظاهرة متعددة الجوانب، وهذا ما جعلها موضع اهتمام ودراسة من قِبل علماء من تخصصات مختلفة ومتعددة ومتميزة وإن تكن متصلة بعضها ببعض، فهي ظاهرة تبحث فيها

(١) محمد قاسم، أحمد هشام، التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٦م، ص٦٢.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معظم فروع العلوم الإنسانية كالسياسة والتاريخ والقانون والاقتصاد والاجتماع وغيرها، وكل فرع من هذه العلوم ينظر للدولة من زاويته الخاصة والتي تختلف عن زوايا الفروع الأخرى[١].

فعلى سبيل المثال نجد أن علم السياسة يدرس الدولة من حيث القواعد النظرية والعملية التي يقوم عليها نظام الحكم ويقارن بين جدوى أنظمة الحكم المختلفة ليثبت أيها الأكثر ثباتاً واستقراراً، نجد على الجانب الأخر علم التاريخ يدرس نظام الدولة من جانب تطور نظام الدولة كفكرة ونظام ويتناول حال ومصير الدول وأشكالها في مختلف الأوقات والعصور. في نفس الوقت نرى أن علم القانون يقوم بدراسة القواعد الملزمة التي تدور في إطارها أعمال الدولة ونشاطاتها ووسائلها لتحقيق أهدافها وإلزام رعاياها بطاعتها والنزول عند أوامرها وفي الوقت نفسه نجده يهتم بدراستها كأحد شخصيات علم القانون الدولي. أما علم الاقتصاد فهو يهتم بدور الدولة في الشؤون الاقتصادية لإشباع الحاجات المختلفة للشعب وحدود هذا الدور في ضيقه أو اتساعه وكونه مباشراً أو غير مباشر واقتصاره على مجرد التنظيم أو امتداده إلى الفعل المباشر، كذلك فإن الدولة كحقيقة اجتماعية راسخة هي من المواضيع الهامة في دراسات علم الاجتماع والأخلاق وعلم النفس الاجتماعي ومختلف فروع العلوم الإنسانية[٢].

وخلاصة القول أن الدولة هي تجمع لعدد ضخم من الأفراد هؤلاء الأفراد ارتضوا بأن تكون الصفة المميزة لهم هي المواطنة نسبة إلى الأرض التي يعيشون عليها وهذا الوطن له حكومة وله قوانينه وله حدوده التي تفصله عن الدول المجاورة.

---

(١) د. عبدالوهاب المسيري، "نهاية التاريخ"، دراسة في بنية التاريخ الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢٣.

(٢) بويد شيفر، ترجمة عدنان الحميري، القومية – عرض وتحليل ، (بيروت ، دار مكتبة الحياة،٢٠٠٦م) ص٦٧

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالدولة القومية يكون ولاء الأفراد فيها للوطن فقط للأرض التي يعيشون عليها وقد يكونوا مختلفين في الدين أو في العرق ولكن يكون الولاء للوطن، في الحقيقة أن الدولة الوطنية لها مميزات كثيرة أهمها:

١) كل فرد من أفراد المجتمع يكون له نفس الحقوق والواجبات.

٢) لا يوجد تمييز بين الأفراد على أساس ديني أو طائفي.

٣) في الدول الوطنية المتقدمة نجحت في جعل علاقة الدولة بأفرادها تقوم على الاحترام والاحتياج المتبادل.

وهناك مميزات أخرى كثيرة تتميز بها الدولة الوطنية، ولكن هذا النظام له عيوب قاتلة؛ أهمها:

١) هذه الدولة تفصل الأفراد عن المحيط الدولي الذي تعيش فيه وتجعل صانعي القرار يُفكرون في حدود هذه الدولة.

٢) الدولة القومية يسهل السيطرة عليها من الأنظمة العالمية الأكثر قوة والأكثر تنظيماً بحيث يسهل على القوى الكبرى جعل الدول الصغيرة تدور في فلكها.

٣) الأفكار الوطنية المتطرفة تدعو إلى تقديس الوطن والدخول في صراعات بسبب التقديس الزائد للبلد الذي يعيشون فيه.

٤) بعض العلماء يُحاولون تطويع الدين من أجل تقديس البلاد التي وُلدوا فيها وكأن هذا سيعطيهم ميزة ليست لأبناء البلاد الأخرى.

٥) بعض الوطنيون المتطرفون كالنازية وغيرها ينظرون إلى أهل البلاد الأخرى بنوع من الاحتقار(بعضهم يرفض دراسة سير الأنبياء بحجة إنهم أجانب).

٦) الأفكار الوطنية تفصل الفرد عن التعاون مع أهل البلاد الأخرى وتكون العلاقة قائمة على تبادل المنفعة.

٧) عند دراسة حالة الأمة المسلمة نجد أن خسائر انتشار مفهوم الدولة الوطنية أكثر من أن نحصيها، فنرى قضية مثل احتلال اليهود لأولى القبلتين وثالث الحرمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هي مشكلة سكان فلسطين وليست مشكلة كل مسلم، وعندما غزت جيوش العالم أراضي العالم العربي والإسلامي لم تستطيع دولة من دويلات العالم العربي والإسلامي الوقوف ضد هذا الغزو فجيش الدولة هو للدفاع عن أراضيها فقط. والأمثلة في ذلك كثيرة[١].

على المستوى العربي والإسلامي نجد انتشار مفهوم الدولة القومية كان هو السبب المباشر في الصراعات الحدودية والفكرية بين الدول المتجاورة التي هي في الأصل بلاد واحدة في العقيدة والمنهج والدم وتصورات الحياة. كما أصبحت علاقة بعض دول العالم العربي والإسلامي بدول العالم الغربي أقوى من علاقتها بعضها البعض، فالعلاقة بين الدول تقوم على المصالح وتبادل المنفعة ومن ثم تكون مصالح دول العالم العربي والاسلامي الفقير في احتياج للعالم الغربي بدوله ومؤسساته وهيئاته المالية وغير المالية[٢]. من هنا يسهل على الدول الغربية التي هي في الواقع مرتبطة بنفس المصالح – يسهل على هذه الدول– الإيقاع بقيادات الدول العربية إما إغراءاً أو تخويفاً للدخول في تحالفات مع بلاد خارج المحيط الجغرافي والتاريخي بل والعقائدي هذه التحالفات تستهدف إضعاف الدولة المتحالفة واستخدامها كأداة لتخويف وتهديد الدول المجاورة لها في حالة خروجها عن النص المحفوظ والخطط المزمع تنفيذها في المستقبل القريب والبعيد.

(١) بتصرف، محمد عبدالوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٩ ص ٣٠٢.

(٢) عبد الكريم أحمد، القومية والمذاهب السياسية (القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للنشر ،٢٠٠٠م) ص٨٦

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

اتفاقية سيكس بيكو وتقسيم المنطقة العربية والعالم إلى دول كثيرة

من هو سيكس ومن هو بيكو: سيكس هو العقيد سير مارك سايكس مستشار سياسي ودبلوماسي وعسكري ورحالة بريطاني. كان مختصاً بشؤون الشرق الأوسط ومناطق سوريا الطبيعية خلال فترة الحرب العالمية الأولى(١).

أما بيكو هو فرانسوا ماري دينيس جورج- بيكو فهو سياسي ودبلوماسي فرنسي كان مسئولاً خلال الحرب العالمية الأولى وكان مسئولاً ومندوباً عن الجانب الفرنسي بعد الحرب العالمية الأولى لاقتسام مناطق النفوذ مع بريطانيا في منطقة الهلال الخصيب وأراضي أخرى كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية.

خلال سنة ١٩١٥م وسنة ١٩١٦م دارت هناك مفاوضات بين كل من سيكس وبيكو وبرعاية روسيا كانت هذه المفاوضات تهدف لوراثة أراضي الإمبراطورية العثمانية وتقسيمها بين فرنسا وبريطانيا التي كان سقوطها مسألة وقت حيث كانوا يُطلقون عليها "الرجل المريض". كانت هذه المفاوضات في صورة سرية تامة وفي صورة لتبادل الوثائق بين كل من سيكس كمندوب لبريطانيا العُظمى وبيكو كمندوب لفرنسا النجم الأوربي الصاعد آنذاك؛ ولقد تم الكشف عن الاتفاق بوصول الشيوعيين إلى الحكم في روسيا عام ١٩١٧م فيما عُرف بالثورة البلشفية(٢).

هذه بداية مختصرة لسيكس بيكو تلك الاتفاقية النكدة التي قسمت العالم العربي المسلم الواحد إلى مجموعة من الدويلات المتناثرة؛ متناثرة في الرؤى ومتناثرة في الأهداف ومتناثرة حتى في التفكير في حل المشاكل المتعلقة بأمنها القومي.

---

(١) عبدالعزيز الشناوي، "أوربا في مطلع العصور الحديثة "، جـ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧م، ص ٣٠٤.

(٢) عبدالعزيز سليمان نزار، "أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٤٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وشملت هذه الاتفاقية بلاد أخرى غير بلاد الشرق الأوسط ولكن ما يهمنا هنا هو تقسيم منطقتنا.

أهم الظروف التي هيأت لتوقيع هذه الاتفاقية:

لم تكن لهذه الاتفاقية ولا لغيرها من محاولات تفتيت العالم العربي والإسلامي أن تنجح إلا لوجود أرض خصبة تؤدي لنجاح تلك المحاولات الشيطانية. نحن هنا سنذكر بعض العوامل التي هيأت لنجاح هذه المحاولة:

١) **دخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الأولى إلى جانب دول المحور، وبخاصة ألمانيا:** كان انضمام الدولة العثمانية إلى جانب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى من أهم أبعاد التقارب العثماني الألماني الذي وصل إلى القمة في عهد جمعية الاتحاد والترقي، وقد فشلت بريطانيا في إقناع حُكام تركيا بالوقوف إلى جانبها أو على الأقل الوقوف على الحياد، فكان رد فعل بريطانيا أن اتفقت هي وحليفاتها فرنسا وروسيا القيصرية على إعلان الحرب على الدولة العثمانية، وتوقيع اتفاقية سايكس بيكو بهدف تقسيم أملاك الدولة العثمانية بين الدول الثلاث، وذلك بعد القضاء على الرجل المريض (الدولة العثمانية). نُلاحظ هنا أن بريطانيا تخلت عن سياستها تجاه الدولة العثمانية، وكذلك نست العداء التقليدي بينها وبين فرنسا[١].

٢) **التقارب الفرنسي البريطاني والروسي في أوائل القرن العشرين، وتكوين معسكر الحلفاء كرد فعل على تكوين حلف دول المحور:** هذا الأمر أدى إلى تقارب وجهات النظر بين روسيا العدو التقليدي للرجل المريض وبريطانيا بشان تقسيم أملاك الإمبراطورية العُثمانية.

٣) **تخوف بريطانيا على مصالحها في الشرق الأوسط:** كان ذلك واضحاً وبخاصة بعد المحاولات العثمانية المدعومة من جانب ألمانيا اختراق قناة السويس في

(١)الموسوعة العلمية الميسرة، مجموعة مؤلفين، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ط٣، ١٩٨٥م، ص٨٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بداية الحرب العالمية الأولى، فقد قام الجيش العثماني بمحاولتين فاشلتين لاختراق قناة السويس في عام ١٩١٥م لكن هذه المحاولات فشلت.

٤) **تخوف فرنسا على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط:** كان البترول في بداية ظهوره والثورات في الجزائر تُريد إخراج فرنسا من بلاد المغرب العربي ومناطق أخرى في سوريا ولبنان؛ كل ذلك دفع فرنسا إلى عقد صفقة بريطانية عربية؛ وذلك بسبب المفاوضات البريطانية العربية، لهذا قامت بالاتفاق مع بريطانيا للتأكيد على مصالحها في سوريا ولبنان.

مضمون اتفاقية سايكس – بيكو:

اتفقت كل من فرنسا وبريطانيا وروسيا القيصرية سراً على اقتسام أملاك الرجل المريض (الدولة العثمانية) بعد القضاء عليه، وتم الاتفاق على أن تحصل روسيا على منطقة أرمينيا التركية الغنية بالمعادن، والمناجم، والملح ومناطق حول اسطنبول، أما الأقاليم العربية، والتي تشمل منطقة الهلال الخصيب؛ فقد اتفق على تقسيمها بين كل من بريطانيا وفرنسا، وذلك حسب ثلاثة مستويات: نفوذ مباشر، ونفوذ غير مباشر، ومنطقة دولية، وذلك كما يلي[١]:

نصيب بريطانيا (نفوذ مباشر ونفوذ غير مباشر):

أ) تحصل بريطانيا على القسم الجنوبي من العراق الذي يمتد من شمال بغداد حتى مصب دجلة والفرات بصورة مباشرة، وأطلق على هذه المنطقة اسم المنطقة الحمراء.

ب) تحصل بريطانيا على نفوذ مباشر في ميناءي حيفا وعكا في فلسطين، ويُسمح لفرنسا باستخدام هذين الميناءين.

ج) تحصل بريطانيا على نفوذ غير مباشر في شمال العراق ما عدا الموصل، هذا بالإضافة إلى منطقة شرق الأردن، وتُسمى هذه المنطقة بالمنطقة (ب)، ويحق

(١) خليل علي مراد وآخرون، "دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر" بغداد، ١٩٨٨م، ص٢٠٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للعرب أن يقيموا في هذه المنطقة حكومة أو حكومات، ولكن بالتشاور مع الدولة صاحبة النفوذ غير المباشر التي تستطيع استغلال واستخدام الموارد الطبيعية في هذه المنطقة[١].

نصيب فرنسا (نفوذ مباشر ونفوذ غير مباشر):

أ) تحصل فرنسا على نفوذ مباشر في منطقة سوريا الساحلية، هذا بالإضافة إلى منطقتي أضنة وكليكية التركيتين، وتُسمى هذه المنطقة بالمنطقة الزرقاء. ومن الجدير بالذكر أن ميناء الأسكندرونة الذي يقع ضمن هذه المنطقة أُتفق على أن يكون حراً ومفتوحا أمام السفن البريطانية.

ب) تحصل فرنسا على نفوذ غير مباشر في داخل سوريا، بالإضافة إلى منطقة الموصل في شمال العراق، وتُسمى هذه المنطقة بالمنطقة (أ)، وفي هذه المنطقة يُسمح للعرب إقامة إمارات عربية شبه مستقلة، ولكن بالتشاور مع الدولة الفرنسية صاحبة النفوذ غير المباشر، والتي لا تستطيع استغلال واستخدام الموارد الطبيعية في هذه المنطقة.

المناطق الدولية: اتفقت الدول الثلاث: روسيا، وبريطانيا، وفرنسا على أن تكون فلسطين منطقة دولية ما عدا ميناءي حيفا وعكا، وتُسمى هذه المنطقة بالمنطقة السوداء. نرى جملة هذه التقسيمات في الخريطة الموضحة في الشكل رقم(١)

(١) انثروبولوجيا الحدود في الوطن العربي .المحرر، العدد ٢١٨، العدد ٢١٨ السنة الثالثة عشر ٢٠٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

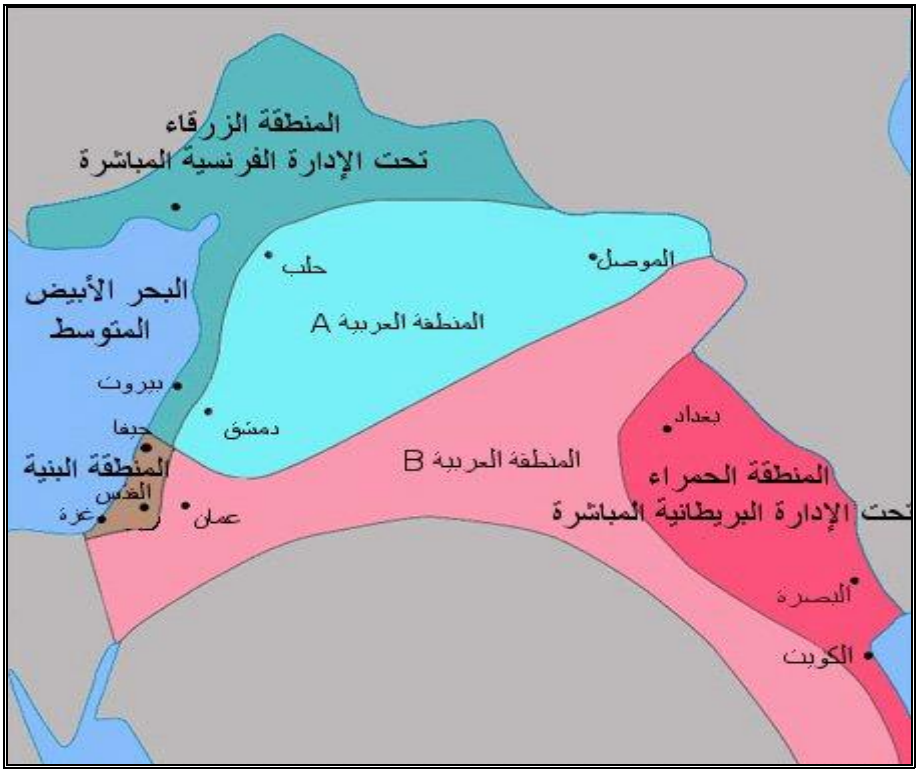

الشكل رقم (١)

نظرة حول المعاهدة:

إذا نظرنا إلى مضمون المعاهدة نستنتج ما يلي:

المعاهدة قسمت الأقاليم العربية التي تقع ضمن الهلال الخصيب إلى مناطق نفوذ فرنسية وبريطانية، ونلاحظ أن هذه الاتفاقية عكست مصالح هاتين الدولتين، فقد اهتمت بريطانيا بالعراق وفلسطين، أما فرنسا فقد اهتمت بمصالحها في سوريا ولبنان.

نلاحظ أن هذه الاتفاقية تتعارض كلياً مع تعهدات بريطانيا للعرب حسب ما جاء في محادثات مكماهون حسين، تتعارض مع الأماني القومية العربية التي تلخصت في إقامة مملكة عربية موحدة على الأجزاء العربية الأسيوية.

التعديل الذي طرأ على هذه الاتفاقية:

انتهت الحرب العالية الأولى عام ١٩١٨م، وعقد مؤتمر فرساي سنة ١٩١٩م، وحضر فيصل ابن الشريف حسين المؤتمر، وطالب بإقامة مملكة عربية على الأجزاء العربية الأسيوية إلا أن هذا المطلب قد رُفض من قِبل فرنسا وبريطانيا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التي لم تفيا بتعهداتهما؛ وأقر المؤتمر فكرة الانتداب، كذلك أقر ميثاق عصبة الأمم هذه الفكرة. وفي سنة١٩٢٠م، وُقعت اتفاقية سان ريمو التي جاءت لتوزيع الانتدابات على بعض الأقاليم العربية والأسيوية، والتي انتزعت من الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، ومن هنا جاءت معاهدة سان ريمو لتكرر ما أُتفق عليه في معاهدة سايكس بيكو مع بعض التعديلات الطفيفة[١].

وعد بلفور: ١٩١٧م

وعد بلفور: هو وعد وتصريح تاريخي قدمه وزير خارجية بريطانيا (بلفور) سنة ١٩١٧م وبالنيابة عن الحكومة البريطانية، التي وعدت بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين مستقبلاً والعمل على حل لمشكلتهم السياسية والتاريخية المتمثلة في التهجير والشتات.

ولكن بشروط:

أ) عدم المس بالحقوق الدينية والمدنية للطوائف الغير يهودية، في الأراضي التي ستُمنح لليهود.

ب) عدم المس بالحقوق الدينية، والمدنية، والسياسية للجاليات اليهودية في دول العالم.

أسباب إصدار وعد بلفور:

عندما ننظر من خلف هذه الفترة المترامية منذ اطلاق هذا الوعد وحتى يومنا هذا يجب أن نُدرك أن هذا الوعد صدر بالتوافق مع مراكز صناعة القرار والأبحاث العلمية في البلاد الغربية أي أنه جاء نتيجة لتوافق المصالح اليهودية الصهيونية والصليبية الغربية في وقت واحد. هذه المصالح مازالت قائمة إلى اليوم؛ ويُمكن إجمال أسباب صدور هذا الوعد فيما يلي:

---

(١) المرجع السابق ص٥٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١) **المصالح البريطانية في الشرق الأوسط:** إذ قال هربرت صموئيل: "نحن لبينا مطالب اليهود في فلسطين بهذا قد أوجدنا بجوار مصر وقناتها دولة موالية لنا". هنا يكمن السبب الجوهري والرئيسي لإصدار وعد بلفور، فقد أرادت بريطانيا المحافظة على مصالحها في الشرق الأوسط وحتى الشرق الأقصى، وأن تضع في منطقة الشرق الأوسط دولة حليفة موالية لها تُحافظ على مصالحها، وبخاصة في منطقة قناة السويس التي تربطها بمستعمراتها في الشرق الأقصى والهند[١].

٢) **الضغوط التي مارسها اليهود:** تركزت هذه الضغوط في بريطانيا وخارجها، وبخاصة ما بذله يهود أمريكا، أصحاب المراكز الهامة في الولايات المتحدة، وهؤلاء قاموا بالضغط على الرئيس الأمريكي (ويلسون) والكونجرس الأمريكي للقيام بالضغط على حكومة بريطانيا لمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين.

٣) **مكافئة لليهود الذين وقفوا إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية:** من خلال دراسة السيرة الذاتية لحاييم وايزمان البروفسور في الكيمياء الذي اخترع مادة الاستون شديدة الانفجار ومنحها لبريطانيا دون مقابل أثر بالغ في وزارة الحرب البريطانية في تعاطفهم مع منح اليهود قطعة أرض يقيموا عليها وطن هو في نفس الوقت امتداد لمصالح بريطانيا في هذه البلاد.

٤) **العطف على اليهود:** حيث يعتقد البعض أن التصريح كان بمثابة تصريح عطف على اليهود، وذلك بسبب تعاظم اللاسامية في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبخاصة في شرق أوروبا وروسيا بخاصة في فترة القيصر اسكندر الثالث ونيقولا الثاني.

٥) **أرادت بريطانيا كسب يهود العالم:** في ذلك الوقت وحتى الآن كان اليهود هم المسيطرون على المؤسسات المالية والاقتصادية ومراكز الإعلام وهذا يعني سيطرتهم على التحركات التنموية في العالم بالإضافة إلى سيطرتهم على نتائج

---

(١) مرجع سابق، عمر عبد العزيز.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الانتخابات عن طريق السماح لمواليهم بالظهور في هذه الوسائل وتلميعهم وإظهارهم بالصورة التي تجعل رعاياهم ينتخبونهم ويصوتوا لصالحهم في أي انتخابات حرة. من هنا نستطيع أن نتفهم سبب رغبة بريطانيا في اجتذاب اليهود لصفهم وللانضمام إلى جانب الحلفاء خلال الحرب العالمية الأولى، أي أنها أرادت تأييد اليهود داخل حلف المحور[1]، ورغبت بتأييد يهود روسيا كذلك، وبخاصة بعد الثورة الشيوعية، كما أرادت أيضا كسب وُد يهود الولايات المتحدة، لهذا أسرعت بإصدار هذا الوعد؛ لأنها كانت تخشى أن تقوم ألمانيا بإصدار وعد مماثل، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان تأييد يهود العالم لها. سبحان الله سباق بين ألمانيا وبريطانيا على إرضاء اليهود فتفوز بهذا السباق بريطانيا العُظمى آنذاك.

أهمية الوعد بالنسبة للشعب اليهودي:

يتلاءم الوعد في نظر اليهود مع الأماني القومية اليهودية، ويُعتبر نقطة تحول في تاريخ الشعب اليهودي، وبداية لتحقيق الأمل اليهودي في إقامة الدولة.

الوعد في نظر العرب:

يتناقض الوعد مع الأماني القومية العربية، ذلك لأن هذا الوعد يتناقض مع محادثات مكماهون حسين في عام ١٩١٥م، ذلك لأن بريطانيا كانت قد وعدت الشريف حسين بإقامة دولة عربية على الأجزاء العربية الأسيوية، واعتبر الشريف حسين أن فلسطين هي جزء من الأقاليم العربية، لهذا اعتبر العرب أن وعد بلفور هو وعد غير شرعي؛ لأنه وعد للأمة والشعب اليهودي على حساب الأمة العربية أو الشعب الفلسطيني.

كذلك نلاحظ أن انجلترا رأت في العرب طوائف وليس شعب كما ظهر في نص الوعد، هذا التصريح (الوعد) تعامل مع العرب الفلسطينيين كطوائف أو أقليات في البلاد وليس شعب، الأمر الذي يُخالف واقع الأمر؛ لان العرب في فلسطين كانوا

---

(١) بيتر تايلور وكولن فلنت، الجغرافية السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة: عبد السلام رضوان وإسحاق عبيد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يشكلون ٩١% من السكان في حين أطلق التصريح عبارة (الشعب اليهودي) على اليهود المشتتين في أنحاء العالم.

نحن نلاحظ في هذا الوعد:

- وجود الكثير من الكلمات المبهمة الغامضة في نص الوعد، ويُظهر أن الغموض وُضع عن قصد، لكي يُفسر بُطرق مختلفة، وذلك حسب رغبات الأطراف المختلفة.
- هناك بعض المؤرخين العرب يرون أن هذا الوعد غير قانوني وغير شرعي؛ ذلك لان بريطانيا لم تكن لها أي سيادة على فلسطين حين صدور الوعد، الأمر الذي يجعل الوعد باطلا قانونيا.

ب- المؤتمرات وتسويات الصلح الخاصة بالأقطار العربية بعد الحرب العالمية الأولى:

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى عقدت دول الحلفاء مؤتمراً دولياً لمعالجة المشاكل التي سببت اندلاع الحرب العالمية الأولى فقد عُقد هذا المؤتمر في قاعدة فرساي في باريس عام ١٩١٩م، حضر هذا المؤتمر كل من رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج ورئيس وزراء فرنسا كليمانصو والرئيس الأمريكي ويلسون. ولقد اختلفت مواقف المؤتمرون حول تقرير مصير الأقطار العربية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية وذلك بسبب مشاكل سياسية تمثلت في التناقض في الاتفاقيات المبرمة بين بريطانيا وحلفائها مثل مطالب اليهود والعرب. علق العرب آمال كبيرة على مؤتمر فرساي إلا إن آمالهم خابت عندما اتضح لهم أن بريطانيا وفرنسا عازمتان على السيطرة على الأقطار العربية[١].

(١) حسن مؤنس "الشرق الإسلامي في العصر الحديث"، مطبعة حجازي القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٣٨م ص ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحدثت مؤتمرات كثيرة كان الهدف الكلي منها هو البحث في سُبل إنجاح اتفاقية سيكس بيكو أي الحفاظ على مصالح الدول الكُبرى آنذاك.

الظروف التي هيأت لعقد هذا المؤتمر:

١) انتهاء الحرب العالمية الأولى بانتصار الحلفاء، وهزيمة ألمانيا، وانهيار الإمبراطورية العثمانية، الأمر الذي ساعد على تنفيذ الخطط التي وضعت خلال الحرب العالمية الأولى، كما ظهر في اتفاقية سايكس بيكو.

٢) عودة الولايات المتحدة إلى سياسة العزلة، والحياد، وفشل الرئيس ويلسون في الانتخابات، الأمر الذي سمح لبريطانيا وفرنسا أن تقوم كل منهما بتنفيذ ما اتفق عليه في سايكس بيكو بالنسبة لمنطقة الهلال الخصيب في الشرق الأوسط.

٣) ظهور عصبة الأمم، وذلك حسب اقتراحات ويلسون في نقاطه الرابعة عشر حيث وضع ميثاق لهذه العصبة، وقد تكلم الميثاق عن فكرة الانتداب.

٤) توتر العلاقات بين سوريا وفرنسا، وذلك بعد نجاح فيصل ابن الشريف حسين بتحرير سوريا، والإعلان عن نفسه ملكا على سوريا مطالبا بتنفيذ الوعود التي قطعتها بريطانيا على نفسها، وذلك حسب اتفاقية مكماهون–حسين، وقد تخوفت فرنسا من هذه التطورات، فأرادت طرد فيصل من سوريا، وتنفيذ مخططاتها الاستعمارية متجاهلة الأماني القومية العربية.

أهم قرارات مؤتمر سان ريمو:

اتفق في سان ريمو على تقسيم منطقة الهلال الخصيب، وتوزيع الانتدابات كما يلي:

١) تحصل بريطانيا على انتداب العراق وشرقي الأردن وفلسطين ولكن مع مراعاة وعد بلفور

٢) تحصل فرنسا على سوريا ولبنان كمناطق انتداب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) تتنازل فرنسا عن منطقة الموصل الغنية بالبترول لصالح بريطانيا بشرط أن تحصل فرنسا على ٢٥% من أسهم أو إنتاج النفط، وتسمح بضخ النفط عبر الأنابيب التي تمر في سوريا ولبنان حتى شواطئ البحر المتوسط.

٤) تم الاعتراف بالشريف حسين ملكاً على الحجاز فقط، وليس على العرب.

التعديلات التي طرأت على اتفاقية سايكس بيكو في سان ريمو:

١) نلاحظ أن منطقة الموصل كانت ضمن النفوذ الغير مباشر الفرنسي حسب اتفاقية سايكس بيكو، أما في سان ريمو فقد تنازلت فرنسا عن هذه المنطقة لبريطانيا مقابل ٢٥% من عائدات البترول في الموصل.

٢) أُتفق على أن تكون فلسطين منطقة دولية حسب اتفاقية سايكس بيكو، وفي سان ريمو وقعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني ولكن مع مراعاة وعد بلفور.

٣) إذا نظرنا إلى اتفاقية سايكس بيكو نُلاحظ أن العراق وشرقي الأردن كانتا تحت النفوذ المباشر والغير مباشر لبريطانيا. أما في سان ريمو فقد أصبحت هذه الأقاليم تحت الانتداب لبريطاني، فالتعديل هنا في كلمة الانتداب فقط.

٤) نلاحظ أيضا أن سوريا ولبنان أصبحتا تحت الانتداب الفرنسي بينما أُتفق في سايكس بيكو على أن تكون هاتان المنطقتان تحت النفوذ المباشر والغير مباشر الفرنسي.

رد فعل العرب على قرارات سان ريمو:

قرارات سان ريمو جزأت وقسمت الأقاليم العربية، هذه القرارات تتنافى مع الأماني القومية العربية، وتتناقض مع اتفاقية مكماهون–حسين. لهذا شعر العرب بالإهانة والغدر، ومن هنا بدأت التمردات، والاحتجاجات، والمظاهرات، والمصادمات، والاشتباكات بين القوى الوطنية العربية، وبين جيوش الانتداب. ففي العراق حدثت مصادمات عسكرية، وكذلك في فلسطين، أما في سوريا فقد تحدى السوريون قرارات مؤتمر سان ريمو، وعينوا فيصل ملكا عليهم، ورفضت فرنسا ذلك،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاءت بجيوشها بقيادة الجنرال جورو، واشتبكت هذه الجيوش مع الجيش السوري في سهل ميسلون بالقرب من دمشق، وانتهت هذه المعركة بهزيمة الجيش السوري، واستشهاد يوسف العظمة وزير الحربية في حكومة فيصل. وهرب فيصل من سوريا إلى لندن، وهكذا انتهى الحكم الهاشمي في سوريا[١].

كانت معركة ميسلون فاتحة لسلسلة من الثورات الوطنية التي قامت في سوريا في فترة الانتداب الفرنسي.

مؤتمر القاهرة ١٩٢١:

نتيجة لتطورات والأحداث التي شهدتها الأقطار العربية بعد الإعلان عن قرارات مؤتمر سان ريمو تخوفت بريطانيا من هذه الأحداث فعلى إثر ذلك عُقد مؤتمر القاهرة سنة ١٩٢١م برئاسة ونستون تشرتشل وزير المستعمرات البريطاني، وحضر هذا المؤتمر بعض القادة العرب.

الأسباب التي أدت لعقد مؤتمر القاهرة:

١) تخوف بريطانيا على مصالحها في منطقة الشرق الأوسط في أعقاب قيام الاضطرابات والعصيان في العراق وفلسطين احتجاجا على قرارات سان ريمو، لهذا أرادت تهدئة العرب بعد أن خسرت بعض من جنودها في العراق وفلسطين.

٢) توتر الأوضاع بين فرنسا وسوريا، وهزيمة فيصل في معركة ميسلون، وهروبه إلى لندن، وأرادت أن لا يحدث تصادم جديد بين فرنسا والعرب الذين كانوا حلفائها في الحرب العالمية الأولى، فكان عبدالله قد جهز جيشاً لمحاربة فرنسا التي طردت أخيه فيصل من سوريا.

٣) أرادت بريطانيا إرضاء أبناء الشريف حسين الذين ساهموا في الانتصار على الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى من خلال الثورة العربية الكبرى.

---

(١)يوسف الثقفي، "دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور"، دار الثقة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ ص٢٠١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قرارات مؤتمر القاهرة[1]:

١) تعيين فيصل ابن الشريف حسين، والذي طرد من سوريا بعد معركة ميسلون؛ ملكا على العراق، واستبدال الانتداب بمعاهدة تحالف تضمن مصالح بريطانيا في العراق.

٢) تعيين عبدالله ابن الشريف حسين أميرا على شرقي الأردن، واستبدال الانتداب بمعاهدة تحالف التي تضمن مصالح بريطانيا في شرقي الأردن.

التعديلات في مؤتمر القاهرة:

١) تقرر في سان ريمو أن يكون العراق تحت الانتداب البريطاني، وفي مؤتمر القاهرة استبدال الانتداب بمعاهدة تحالف، وتعيين فيصل ملكا على العراق.

٢) تقرر في مؤتمر سان ريمو أن يكون شرقي الأردن تحت الانتداب البريطاني، وفي مؤتمر القاهرة تم استبدال كلمة الانتداب بمعاهدة تحالف وتعيين عبدالله أميرا على شرقي الأردن.

من خلال ما سبق يُمكن تقييم تلك الأحداث:

١) نُلاحظ أن اتفاقية سان ريمو واتفاقية القاهرة حسمت كل منهما مصير الأقطار العربية.

٢) نلاحظ أيضاً أن اتفاقية القاهرة عدلت اتفاقية سان ريمو فيما يخص العراق وشرقي الأردن فقط، حيث أصبح فيصل الذي خُلع عن عرش سوريا ملكا على العراق في ١٩٢١م، وأصبح أخاه عبدالله ابن الشريف حسين أميراً على شرقي الأردن.

---

(١)محمد العمروسي "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م ص ١٠٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) صحيح أن الملك فيصل ابن الشريف حسين أصبح ملكا على العراق، ولكن يجب أن نؤكد أن الانتداب أُستبدل بمعاهدة تحالف بين بريطانيا والعراق، وكان فيصل وحكومة فيصل تنفذ أوامر بريطانيا التي احتفظت بقواعد عسكرية ومطارات عسكرية في العراق، كذلك اهتمت بوضع مستشارين بريطانيين إلى جانب وزراء الحكومة العراقية، وكان الوزراء لا ينفذون شيئا إلا بعد استشارة هؤلاء المستشارين الأجانب. وهكذا أيضا بالنسبة لشرقي الأردن، فكان الأمير عبدالله يُنفذ أوامر بريطانيا، ثم إن بريطانيا احتفظت بقواعد عسكرية في الأردن، واستبدل الانتداب البريطاني بمعاهدة تحالف بين بريطانيا وشرقي الأردن.

٤) هكذا استطاعت بريطانيا في مؤتمر القاهرة تهدئة أبناء الشريف حسين الذين ساهموا في الثورة خلال الحرب العالمية الأولى، ومنعت التصادم بين فرنسا وأبناء الشريف حسين حلفاء بريطانيا في الحرب العالمية الأولى.

٥) لم تكن فرنسا شريكة في مؤتمر القاهرة، وتمسكت بقرارات سان ريمو التي تخصها، واستمر الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان، ورفضت أي تعديل بالنسبة لسوريا ولبنان. لكن يجب أن نؤكد أن السوريين استمروا في ثوراتهم ونضالهم من أجل الاستقلال ضد فرنسا وقرارات سان ريمو، وكانت الثورة ١٩٢٥م بقيادة السلطان باشا الأطرش من أهم الثورات الوطنية في سوريا التي استقلت بعد الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٦م.

في الحقيقة ومن خلال ما سبق نرى الوضوح في تصرفات الدول الاستعمارية وما تحمله من عقيدة صهيونية صليبية تهدف إلى هدف واحد وهو تمزيق العالم الإسلامي وتمزيق وحدة الأمة الإسلامية، وتقسيمها إلى دويلات متناثرة لتَضعُف قوَّتها وتذهب ريحها، وتتشتت طاقاتها، ومن ثَمَّ يسهل احتواؤها والسيطرة عليها. نرى فيما سبق كيف تكونت ما أُطلق عليه جمهورية العراق وما أُطلق عليه المملكة الأردنية الهاشمية، وبطرق مماثلة تكونت ممالك ودول أخرى التي في مجملها تُشكل الإمبراطورية العثمانية السابقة. حتى هذه الدول الاستعمارية الاحتلالية لم تكن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لتسمح بوجود دول مناهضة لها ولكنها أوجدت سبب للشقاق في داخل كل دولة وسبب للصراع بين الدولة والدولة المجاورة لاستدعائها وإثارتها، وإذكاء الصراعات السياسية والعسكرية حولها، وذلك من أجل أن تُتَّخذ هذه البؤر الخلافية ذريعة للتدخل في المنطقة متى أرادوا ذلك. ولكي يضمن الغرب استمرار هذا التمزق والاختلاف أثار النزعات القومية ليفصل العرب عن عمقهم المعنوي ومحيطهم الإسلامي، ثم زرع النعرات الوطنية ليعزل الدول والشعوب العربية عن بعضها. ولم يتوقف المشروع الاستعماري عند هذا الحد، فالغرب يستثمر الفرصة تِلْو الأخرى لتمزيق المقسَّم وإنهاكه بالصراعات الانفصالية التي تستنزف قوَّته ومقدَّراته الاقتصادية والتنموية، وتغلق دونه كل أبواب التحضر والنمو(١).

ومن المآسي أن هناك مشاريع أخرى في السلة الغربية تُثار على استحياء من وقت لآخر مثل: مشروع تقسيم الخليج، ومشروع إنشاء دولة قبطية في جنوب مصر، ومشروع انفصال الصحراء المغربية، ومشروع تقسيم دولة باكستان. والسلسلة طويلة.

وهذا الغرب الذي قام بالتقسيم وأشرف عليه ونفذه جعل هناك نقاط حدودية بين كل دولتين عبارة عن منطقة غير محددة المعالم؛ هذا جعل هاتين الدولتين المتجاورتين إما يدخلان في مباحثات تستغرق عشرات السنين لترسيم الحدود أو الدخول في صراع مسلح تستعين فيه كل دولة بأصدقائها من الغرب لكي تمدها بالسلاح لمواجهة الأخوة الأشقاء في الدولة المجاورة؛ ومن هنا حدثت مشاكل حدودية بين كل دولة عربية والدولة المجاورة لها إلا ما رحم ربي(٢).

---

(١) المرجع السابق ص٥٥.

(٢) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

فشل تطبيق القومية على أرض الواقع

حتى بعد أن قبل العالم العربي والإسلامي بهذا التقسيم النكد. هذا التقسيم الذي حول الاسرة الواحدة إلى دولتين متجاورتين يفصل بين كل منهما سلك شائك وفي بعض الأحيان لا توجد حدود معروفة. إذاً لماذا قبل العرب بهذا التقسيم؟ العرب قبلوه كأمر واقع وكنوع من الاقتداء بالدول الغربية التي وردت إلى البلاد العربية مجموعة كبيرة من المفكرين العرب والمسلمين الذين تربوا في مدارس الغرب/وجاءوا إلى بلادنا كمبشرين بأن العدالة الاجتماعية والرحمة تكمن في دولة قومية كما يعرضها الغرب علينا؛ كانت كل العوامل تُبشر بنجاح النموذج الغربي هنا، وزاد من قبول الشارع العربي لهذا الوهم هو انهيار الخلافة العثمانية وتحول الممالك الأوربية إلى ممالك دستورية يكون للشعب فيها الصوت الأعلى والنصيب الأكبر في إدارة مؤسسات البلاد[1].

كانت البعثات التي بدأت برحلات المتفوقين من أبناء المملكة المصرية في عهد محمد علي إلى فرنسا لكي يتعلموا العلوم الغربية ويأتون إلى مصر مرة أخرى لتحقيق تنمية داخلية في المملكة المصرية، كان لهذه البعثات دور كبير في احداث تقارب وقبول للفكر الغربي والثقافة الغربية على الأراضي العربية المسلمة بعد ذلك.

وبعد حركات التحرر التي تلت غياب مظلة الخلافة العثمانية تولدت مجموعة من الدويلات تسمت بأسماء مختلفة من أهمها: جمهورية العراق، الجمهورية العربية اللبنانية، المملكة الأردنية الهاشمية، الجمهورية العربية السورية، المملكة العربية السعودية، الكويت، الإمارات العربية المتحدة، قطر، مملكة البحرين، سلطنة عمان، جمهورية مصر العربية، جمهورية السودان العربية، ليبيا، تونس، المغرب، وموريتانيا، وغيرها. أصبحت هذه الدويلات لكل دولة رئيس أو ملك وجيش ونظام وعلم، وعمله ومؤسسات خاصة بها ومستقلة عن الدول المجاورة.

(1) Tishkov, Valery (2000). "Forget the 'nation': post-nationalist understanding of nationalism". Ethnic and Racial Studies. 23(4): 625–650 (p. 627)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الحقيقة هذا الوضع الغير طبيعي أدى لتولد مشاكل لا يُمكن حصرها فما زالت الجماهير العربية تتناقل من بلد إلى بلد لا تعترف بهذا التقسيم المزعوم وما زالت حركة التزاوج بين الجاليات العربية تحدث كل يوم وهذا أدى إلى ميلاد أجيال لا تعترف بهذه الحدود الوهمية إذ رأينا الأب سوري والأم لبنانية ورأينا الأب مصري والأم مغربية وهكذا. هذا الوضع الشاذ كان لا بُد أن يولد رغبة في عودة هذه اللحمة من جديد فكان هذا سبب في تولد فكرة القومية العربية[1].

في الحقيقة الذين دعوا للقومية العربية نسوا أو تناسوا أن العرب لم يكونوا عرب إلا بعد أن كانوا مسلمين فلا يُمكن أن تقوم وحدة عربية قبل إعلاء سبب وجود العرب إلى هذه اللحظة. نحن نعلم أن أصل الفكرة فكرة القومية العربية وهدفها في الحالة العربية كان سياسياً بامتياز، لذا لم تبحث بما يكفي عن المقومات الأخرى وما إذا كانت تصلح لخلق قومية مستقلة أو متميزة أم لا، وافترضت مسبقاً أن الشعوب العربية تشكل معاً وبالضرورة قومية واحدة لمجرد أنها تتحدث العربية ويجمعها نطاق جغرافي واحد. وفي هذا مغالطة كبيرة ومتعددة المستويات، فالقواسم المشتركة بين العرب كلها ناقصة أو جزئية؛ في بعض الفترات كان للعرب حضور وامتداد ثقافي متميز وله خصائص متفردة، لكن قوامها الأساسي كان الارتباط بالدين الإسلامي وليس بالعروبة. كما أن الخصائص الاجتماعية والثقافية _ بعد استبعاد البُعد الديني _ ليست متطابقة أيضاً، فالعادات والتقاليد تختلف من الخليج إلى المغرب ومن الجزائر إلى السودان إلى الشام بل إن اللغة نفسها، إذا تحرينا الدقة، سنفاجأ أنها تقريباً ليست لغة واحدة، فالعربية في الخليج والعراق بعيدة تماماً عن تلك المستخدمة في الجزائر والمغرب (بافتراض أن تلك اللغة هناك عربية من الأساس!) والأمر أوضح كثيراً بالنسبة للصومال وموريتانيا وجيبوتي؛ بل داخل الدولة الواحدة توجد

(1) Peter Radan (2002). The break-up of Yugoslavia and international law. Psychology Press 2010, p92.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أكثر من لغة وليس فقط أكثر من لهجة، معتبراً أن التجاور الجغرافي لم يفلح وحده في تجميع العرب في أي مرحلة تاريخية لا في الماضي ولا في الحاضر[١].

افتقاد المقومات

ومن خلال النظرة المتفحصة نصل إلى أن القومية العربية تفتقد للمقومات الضرورية لوجود "القومية" . لكن هذا لا يمنع أن المحاولات التي جرت لخلق تلك القومية أو بلورة فكرة يجتمع العرب حولها، وقوبلت بعراقيل وجهود لإفشالها، من داخل المنطقة ومن خارجها. من داخلها لأن بعض الدول ترفض الانخراط في كيان أو منظومة جماعية تفقدها تميزها وموقعها ونفوذها. ومن خارج المنطقة لأنه ليس من المُتصور أن الدول غير العربية سواء في العالم أو في المنطقة (إسرائيل وإيران) سترحب بكيان عربي واحد ستتعارض بالضرورة مصالحه مع مصالحها وأهدافها. لكن يظل السبب الجوهري في الإخفاق هو افتقاد الجذور الحقيقية والأسس الكافية لما يسمى بالقومية العربية. فرغم هذه الرغبة المحمومة ومحاولة حشر هذا المفهوم في المناهج الدراسية في كثير من البلاد العربية والتغني بأمجاد العرب على المستوى الإعلامي إلا أن كل تلك المحاولات باءت بالفشل فما هي أسباب هذا الفشل؟

وجواباً على هذا السؤال لا بُد من التوقف أمام جملة معوقات داخلية وخارجية، ذاتية وموضوعية حالت، وما تزال، دون قيام أي شكل من أشكال الوحدة العربية، بل لعبت دوراً في تحطيم كل ما قام من صيغ وأشكال ومبادرات، بما فيها صيغ التضامن العربي نفسه وهو أدنى أشكال العمل العربي المشترك ناهيك عن إسقاط أول تجربة وحدوية معاصرة قامت عام ١٩٥٨م بين مصر وسوريا، وإجهاض كل المحاولات الوحدوية الأخرى وفي مقدمها وحدة مصر والعراق وسوريا في ميثاق ١٧ أبريل ١٩٦٣م، ثم اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة عام ١٩٧١م، ثم لقاء

(١) بتصرف: عصمت سيف الدولة، "عن العروبة والإسلام" مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الثانية، ٢٠٠٤. ص ١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العراق وسوريا في ميثاق العمل القومي في نوفمبر ١٩٧٨م. فما هي أسباب هذا الفشل[١]:

١) يجب على كل دارس للوضع العربي وخاصة لرغبات الوحدة المحمومة أن يتأكد من التلازم القوي بين العوامل الخارجية المتمثلة في المشروع الاستعماري الصهيوني بكل تعابيره وكل جوانبه؛ وبين العوامل الداخلية، كي لا نقع في خطأ انزلق إليه كثيرون حين ركزوا على دور الاستعمار والصهيونية متجاهلين الثغرات الكامنة في واقعنا من تخلّف، واستبداد، واستغلال واحتكار، وفساد، وانقسامات أهلية متعددة الأشكال والمظاهر؛ فهذا الفريق يُركز على في الحديث عن العوامل الداخلية ويُهمل بالكامل دور القوى الاستعمارية القديم المتجدد هذا الدور الذي فرض سيطرته على طريقة وادوات صناعة القرار في العالم العربي والإسلامي أمس واليوم وإلى ما شاء الله. تحكم القوى الاستعمارية في صناعة القرار نعني بها مُدخلات ومخرجات القرارات المصيرية في كل هذه الدويلات العربية والإسلامية بحيث أن صانع القرار يجد أمامه خيرات محدودة وطُرق متفرقة متناثرة كلها تُؤدي إلى الدوران في فلك القوى العالمية الواقعة بدورها تحت سيطرة الصهيونية العالمية. حدث ذلك في الماضي في معاهدة سايكس بيكو سنة ١٩١٦م وفي وعد بلفور سنة ١٩١٧م الذي أسس لقيام الكيان الصهيوني كحاجز يمنع وحدة المشرق العربي مع المغرب العربي. هذا الفريق الذي يُركز على العوامل الداخلية ينسى أو لا يعلم أو يتجاهل جملة توصيات استعمارية قديمة أبرزها رسالة رئيس وزراء بريطانيا السابق بالمرستون (Palmerston)[٢] في أواسط القرن الثامن عشر الذي تبنى توصية قنصله العام في فلسطين بضرورة قيام كيان

(١) للمزيد، د. خير الدين حسيب، "آراء نقدية للمعالم الوحدوية في فكر ساطع الحصري"، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨١م.

(٢) هو سياسي بريطاني (١٧٨٤ إلى ١٨٦٥م) تولى مناصب عديدة في الحكومة البريطانية من بينها وزير الخارجية ورئيس الوزراء لدورتين غير متتاليتين..

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يهودي عازل في فلسطين كي لا تتكرر تجربة توحيد مصر وبلاد الشام على يد محمد علي حاكم مصر آنذاك وابنه إبراهيم باشا في العصر الحديث أو تكرار الممالك المصرية التي قامت في عهود مختلفة مثل مملكة صلاح الدين وغيرها وحتى الممالك التي قامت في عهد الفراعنة أبرزها مملكة تحتمس ورمسيس، والتاريخ يحكي لنا ما يشيب له الوليد أن حدود المملكة المصرية لم يكن بهذا الحجم الصغير إلا بعد أن تخلينا عن القومية المصرية ثم الإسلامية ثم العربية أخيراً؛ الحقيقة أن المعوقات الخارجية كثيراً ما كانت تُغذي المعوقات الداخلية، وكانت المعوقات الداخلية في ذات الوقت تسمح للفتن المستوردة من النمو والازدهار لكي تقف كحائط الصد الذي يمنع قيام أي وحدة عربية من الممكن أن تطور لوحدة إسلامية.

٢) العناصر الخارجية العاملة على تجزئة الأمة وتفتيتها أصبحت معروفة، ما يجعلنا نعود بضرورة التأكيد على العوامل الداخلية التي يُمكن أن تتوزع على عدة مستويات بعضها يتصل بقضايا ثقافية وفكرية، وبعضها بقضايا الدولة والمجتمع، والبعض الثالث يتصل بالمصالح الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى أمور أُخرى لا يتسع المجال للوقوف عندها. في المجال الثقافي والفكري لا بُد من الوقوف أمام تنظيرات فكرية، تأخذ أبعاداً ثقافية، تشن منذ عقوداً حروباً عسكرية وثقافية واعلامية على الوحدة العربية، وعلى مرتكزاتها الموضوعية المتمثلة بالقومية العربية لصالح الكيانات القطرية والعصبيات الطائفية والعرقية، والمتمثلة أيضا بالهوية العربية الجامعة لصالح هويات فرعية أو صُغرى متناحرة، علماً بأن الوحدة العربية لم تقدم نفسها يوماً على الصعيد الفكري كإلغاء للوحدة الوطنية، بل اعتبرت هذه الوحدة الأصغر ضمانة للوحدة الأكبر، تماماً كما لم ينف الفكر الوحدوي العربي احتمال أن تكون وحدة العرب خطوة على طريق الوحدة الإسلامية الأوسع وصولاً للوحدة الإنسانية الأشمل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٣) نحن هنا عندما نتكلم عن العالم العربي أو الوحدة العربية نتحدث عن هذه الوحدة على اعتبارها النواة الأولى لوحدة الأمة الإسلامية. فالأمة العربية هي حاملة القرآن تجويداً وترتيلاً وكتابة وحفظاً وما يتعلق به من مختلف علوم الأمة الواحدة. من هذا المنطلق نجد أن الحرب على اللغة العربية، هي الأشرس، لان اللغة تُشكل عنصراً جامعاً لأبناء الأمة، بل هي الحاوية لكل ما جاء على لسان الرسول العربي الكريم صلى الله عليه وسلم، بل هي عنصر حاسم في تحديد الهوية العربية للإنسان، كما نجد، تبعاً لذلك أن الحرب على الثقافة العربية الإسلامية الجامعة هي أيضاً حرباً من أشرس الحروب لأننا نرى أن هذه الثقافة إنسانية وجامعة، إنسانية لانبثاقها من أرض هي مهد الرسالات السماوية ذات البُعد العالمي، وجامعة لأن هناك عرباً، مسلمين وغير مسلمين، وعرباً وغير عرب، شاركوا في بنائها لبنة لبنة، وصرحاً صرحاً. فنحن نرى الشعر العربي في كل مدارسة كتبه العرب وغير العرب، حتى هؤلاء الذين هاجروا إلى بلاد الغرب ظلوا على ثقافتهم وحبهم لهذه اللغة، بل إننا نرى السواد الأعظم من علماء الأمة من غير العرب فنجد النيسابوري، والخوارزمي، والبخاري، وابن رُشد، والقرطبي... إلى أخر هذا الرهط الكريم، لم يولدوا في بلاد أو قبائل هي في الأصل عربية.

٤) هناك جانب أخر لا يُمكن إهماله وهو العلاقة بين الدولة والمجتمع؛ نحن نلاحظ ان الحرب على الوحدة العربية، تأخذ شكلاً متزايداً في تعميق الحواجز بين الدول العربية، كما نجد داخل كل دولة زيادة المسافة باستمرار بين الحكومة والشعب وهذه الفجوة بين رغبات وطموحات الشعوب واصرار الحكومات على البقاء في حالة الدوران في نفس فلك الحكومات والأنظمة الغربية باستسلام مهين أدى وسيؤدي حتماً إلى احتقانات تأخذ أشكالا عرقية ودينية وطائفية ومذهبية، وحتى سياسية وحزبية، وهي الاحتقانات التي تتحول بسرعة مذهلة لتُصبح صراعات أهلية دموية تُفجر المجتمعات من داخلها، فيصبح توحيد الكيان الوطني ذاته مستحيلاً فكيف بوحدة الأمة كلها!!!.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالفساد الذي وصلنا إليه لا يجب أن ننظر إليه على أنه فساد مالي أو ثقافي وفقط لكنه الفساد المقرون والمرتكز بالتبعية للخارج وفي أغلب الأحيان، لا يكون ضمن عيوبه محاربة الحرية وحقوق الإنسان فقط، بل إن هذا الفساد يُشكل تهديداً للوحدة الوطنية والقومية على حد سواء، وهذا ما يجعلنا نميل إلى الاعتقاد ان الديكتاتوريات العربية هي حارسة أمينة للتجزئة، اذ يخشى المتربعون فوق عروشها من وحدةٍ تُهدد تسلطهم، كما يجنّدون كل طاقاتهم للحيلولة دون قيامها ويجهدون في إثارة كل النعرات والعصبيات المُمَزِقة لوحدة الأمة حتى لو أدى الأمر إلى الفوضى العارمة.

٥) ومن غرائب الأقدار أن الأنظمة التي حملت لواء الوحدة العربية والقومية العربية لم تنجح في تقديم نماذج ديمقراطية جيدة فكانت تلك الأنظمة كمثل من ينعق بما لا يسمع صُراخ هنا وهناك ودعوات إلى التحرر من الاستعمار؛ وهذه الأنظمة في ذات الوقت ترفض المسألة من شعوبها أو السماح بأضعف درجات الحكم الرشيد والشورى أو الديمقراطية على الأنماط الغربية، هي فقط كانت أنظمة مستبدة تُسيطر على شعوبها بالحديد والنار؛ وهذا الأسلوب الفرعوني في الحكم أدخل الأمة العربية بعد كارثة سقوط الخلافة في حروب كانت الانتصارات مجرد أغاني وأفلام في وسائل الإعلام أما الشعوب بعد انقضاء عقود على هذه الصراعات الوهمية فما زالت تبحث عن الحد الأدنى من الحياة الكريمة.

٦) من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، فليس سراً على أن هناك فوائد عديدة أكثر من أن تُحصى التي يقدمها أي شكل من أشكال التعامل أو الوحدة من مكاسب وانجازات على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي، إلا أن أحداً أيضاً لا يستطيع أن يُنكر إن التجزئة التي فرضها المستعمر على بلادنا، والتي وصلت إلى حد إقامة دويلات غاية في الصغر حتى إن بعض هذه الدويلات لا تتعدى مساحتها أو عدد سكانها مساحة أو عدد سكان حي من أحياء المُدن الكبيرة وهي على هذا الوضع تمتلك ثروات قارونية، وهذه الدويلات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نجحت في أن تقيم لصالحها بمرور الوقت مصالح وطبقات وعائلات وحتى أحزاباً سياسية ومرتكزات تُدافع عنها بكل شراسة، وتسعى لتدمير كل مقومات الوحدة في الأمة، بما فيها تدمير الدول العربية الكُبرى التي حاولت الإفلات من قبضة الهيمنة الاستعمارية والصهيونية سواء بالاستقلال الوطني أو القومي، أو بالتنمية المستقلة، أو بالعدالة الاجتماعية، أو بالتجديد الحضاري، أو بشكل خاص بالتوجه نحو التكامل العربي. فمن المعلوم أن التكامل العربي مرفوض من قوى الهيمنة الغربية لأنه معلوم أن هذه هي الخطوة الأولى نحو توحد صف الأمة الإسلامية وهذا يُناقض السياسات الغربية على المستوى الاستراتيجي.

٧) من خلال فهم الواقع ودراسة التاريخ القريب، يُمكن القول إن التجزئة العربية هي البنية التحتية الحقيقية في بلادنا العربية التي قامت فوقها بُنى اقتصادية وثقافية واجتماعية ترعاها وتحميها تلك القوى الغربية، كما يُمكن القول أن الطبقات الإقطاعية والرأسمالية في بلادنا هي في الواقع لم تنمو ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بفضل علاقات وصِلات مع القوى الخارجية المُهيمنة، بالضبط مثل الاقطاع الذي ظهر في نهاية زمن الخلافة العثمانية؛ وبالتالي فإن ثرواتها لم تأت استجابة لتطور في ادوات الانتاج المحلية أنتج تطورات في علاقات الانتاج. كما كان الحال في أوروبا حيث ولِدت مرحلة الاقطاع من رحم مرحلة الرق وحيث ولدت الرأسمالية من رحم مرحلة الاقطاع، فكان التخلص من الرق والإقطاع سبب لتطور ونمو صناعات ورأسماليات محلية في أوربا، أما الوضع في البلاد العربية فيختلف فالرأسمالية أو التطور الصناعي إذا رأيناه فإنه قائم ومستمر بفضل تمسكه بحبل من البلاد الغربية والمؤسسات المالية العالمية.

٨) هذه المصالح الاقتصادية لهذه الوحدات البرجوازية المُرتبطة بحبائل الغرب تعمل راضية أو مكره ضد أي مشروع وحدوي عربي لأن مصالحها مرتبطة بالنظام العالمي. نحن نرى ذلك بوضوح في فشل الدعوات الشعوبية والنداءات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجماهيرية لمقاطعة بعض السلع أو المنتجات التي تنتجها دول أو شركات بعينها. كما رأينا فشل عدة مشاريع تقوم بهدف التعاون الاقتصادي؛ فمجلس التعاون العربي الذي قام بين مصر والعراق واليمن والاردن في اواخر الثمانينات من القرن الماضي ، سُرعان ما إنهار مع أول زلزال اقليمي عام ١٩٩٠م، والاتحاد المغاربي العربي بقي محتجزاً في إطار الخلافات الثنائية بين دول لا تجد أدنى مشكلة في أن تُلقي بنفسها في أحضان الاتحاد الأوربي في إطار ما سُمي بتعاون دول الجنوب الاوروبي (٥+٥) لكنها تجد الف مبرر ومبرر لعدم انعقاد اجتماعات متواصلة بين خمسة دول من دول المغرب العربي الكل يعرف حجم المشتركات التي بينها؛ حتى مجلس التعاون الخليجي، الذي أفلت من الانهيار كما كان حال مجلس التعاون العربي، ومن التعثر والجمود كالاتحاد المغاربي العربي، لم ينجح رغم التماثل في طبيعة الحكم في كل دول المجلس في أن يُحقق انجازات ملموسة في العلاقات بين أطرافه، اللهم إلا اذا كان "الانجاز" موقفاً سلبياً من دولة عربية أو اقليمية أخرى، بل اننا لم نر خط سكة حديد يربط بين دولهِ رغم تصاغر المسافات وعدم وجود حدود جغرافية طبيعية تحول دون ذلك، حتى لم نرى عملة واحدة يتداولها أبناء هذه الدول، أو مشاريع واحدة كُبرى يتعاونون على تنفيذها فترى تبعاً لذلك مشاريع اقتصادية كُبرى تؤدي لقوة هذه الدويلات.

في نهاية هذا المبحث رأينا كيف أن العالم العربي بوضعه الحالي وحتى في المستقبل المنظور غير مهيأ لقيام أي مشروع نهضوي وحدوي يربط بين دويلاته من المحيط إلى الخليج؛ في الحقيقة هذه ليست دعوة لليأس بقدر ما هي دعوة لرؤية الواقع كما هو دون تجميل أو تهويل ليسهل علينا التماس طريق النجاة. هذا الطريق لا يكون إلى بالعودة إلى الأسباب والمنابع التي جعلت العرب كعرب اسم ومكانة على المحيط الإقليمي وعلى المحيط الدولي وهو العودة إلى أصول الاسلام شرعة ومنهاجاً وليس مجرد طقوس تعبدية وأذان يُردد هنا وهناك دون رؤية ذلك الدين واقع في الحياة كسلوكيات وقوانين وأنظمة تعامل في شتى المؤسسات ﴿ولقد أنزلنا إليكم

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ [1]، فيه ذكركم أيها المؤمنون أي عزكم ومجدكم، وعندما تركنا مصدر العز والمجد أصبحنا كهشيم تذروه الرياح فلا يستطيع هذا الهشيم حتى المقاومة ضد هبات النسائم البسيطة. فالذي يدعو إلى توحد الأمة العربية في ظل أنظمة سياسية واقتصادية وحتى اجتماعية هي بالأساس تشرب وتترعرع في ظل علاقات قوية مع أعداء الأمة هو واهم، فالحق الحق بالعودة لإصلاح النفوس من الداخل والاعتماد على الذات وتوليد مؤسسات وسياسات ووشائج اجتماعية وسياسية تكون نابعة اساساً من الكتاب والسنة، وعندما تتوحد القلوب سيكون من السهل توحيد الأبدان والبلدان تحت دعوى استووا....، وسدوا الفرج.....واستقيموا يرحمكم الله ..... كلمات بسيطة لكنها منهج حياة. هذه الدعوة لا تعني الدخول في الصراعات مع الذين يعيشون بين المسلمين سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين ويختلفون مع منهج وحدوية الأمة المسلمة لأن الإسلام كدين وكمنهج حياة يستطيع أن يحتوي ويحتضن كل المخالفين لمنهجه. ولكن الإسلام يهدف لتجييش كل طاقات المجتمع بهدف زيادة النمو والتطور الاجتماعي ليشعر بهذا الرخاء كل الذين يعيشون على الأرض، والأمثلة على ذلك كثيرة فقد استعان صلى الله عليه وسلم في رحلة الهجرة بعبدالله ابن أُريقط وهو من اليهود، وأقر بوجود المخالفين في الدين داخل المدينة في مجتمع يقوم على التعاون وليس التناحر بين الأفراد؛ نفس الشيء فعله عمر بن الخطاب في عهده لنصارى بيت المقدس، وغيرها من النماذج الزاهرة.

(١) الأنبياء آية رقم (١٠)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

السمات العامة في الفكر والشخصية الغربية ونماذج من السنوات العجاف من الحروب الغربية الغربية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تمهيد:

في الحقيقة يجب أن نُشير هنا إلى أن عموم الناس يعتقدون أن البلاد الغربية أصحاب دين أو كتاب مُنزل أو مسيحيون، ولكن في الحقيقة الدين الأساسي في هذه البلاد هو المصلحة الذاتية فقد تخلصوا من الدين بالكلية منذ بدايات عصر الثورة الصناعية فالدين عندهم مجرد أعياد أو طقوس لا يفهم هؤلاء القوم مدلولها أو ما ترنو إليه وفرق شاسع بين مسيحي الشرق ومسيحي الغرب. هذا التخلص من الموروثات الدينية جعلت هذه البلاد ذات طبيعة مختلفة. مختلفة في تقبل الأمور، مختلفة في تصور الأشياء، مختلفة في العقيدة الداخلية التي تجعل الفرد يرفض أو يقبل شيء ما. هذا حدث من البداية في أوربا ثم انتقل هذا الفكر إلى امتدادات أوربا في أمريكا واستراليا وغيرها.

نحن نرى اليوم البلاد الغربية ونقصد بها تحديداً الدول الغربية أو دول الاتحاد الأوربي تتحرك ككتلة واحدة في شتى المحافل الدولية والمناسبات. هذا التكتل الذي اقترب من نموذج وحدوي في مناهج التعليم والمصطلحات العلمية بل ووصل الأمر إلى وحدة القوانين الجمركية وإزالة الحواجز بين هذه الدول فينطلق القطار من عاصمة احدى الدول فلا يتوقف إلا في الدولة الأخرى. هذا النموذج نجح إلى هذه اللحظة. ونحن هنا يهمنا أن نعلم سبب نجاح هذا الشتات في الالتقاء على غير منهج فكري واحد أو لغة واحدة، نحن هنا نبحث عن الأسباب التي ولدت هذا النموذج الوحدوي الأوربي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

سمات الفكر والشخصية الغربية

مما لا شك فيه أن المجتمع هو مجموعة من الأفراد التي تُشكل فيما بعد مجموعة الأسر وفي النهاية نجد نسيج مجتمعي كامل فتصرفات الأفراد نابعة من طريقة تفكيرهم فلكي نفهم النمط العام المُسيطر على هذا المجتمع الأوربي هناك سمات عامة في هذه الشخصية يجب أن ننظر إليها نظرة عميقة أهمها:

أولاً: تقديس الذات

في الحقيقة أن تقديس الذات صفة أساسية من صفات الشخصية الأوربية لها جذورها في الفكر الأوربي منذ عصر النهضة، حيث كان التركيز على الفردية وتأكيد الذات، ومنذ أن قال ديكارت: (أنا أفكر فأنا موجود)[١]، كان الالحاح على (الانا) (Ego) و(الفرد) (Individual) ورفع الشعور بالذات على كل الأصعدة هذا الذي ترتب عليه شعور الفرد بوحدانيته وجبروته، وسقط الآخرون من الميزان، وكان من نتيجة هذا أن أصبح الإنسان مركز كل شيء ومقياساً لكل شيء، وتحول مركز الكون من الله إلى الإنسان في تكوين الوعي الاوربي الحديث[٢].

ومن هذه المركزية كان فهم الكون، وكان تقويم الآخرين، فالفرد ثم الغرب هو محور الدُنيا كلها، والعالم كله والآخرون معه أطراف للمركز الاوربي، ومن هنا كانت الهيمنة الاوربية والاستعلاء الاوربي. ومن هنا كانت دراستهم لتاريخ الحضارات الانسانية. فالتاريخ عندهم يبدأ في أوربا، والعصور الانسانية تبدأ في أوربا، فهي تقسم إلى ثلاثة عصور: العصور القديمة والوسطى والحديثة. والانسان الاوربي هو محور حركة هذه العصور، فهو الإنسان اليوناني والروماني والمسيحي والحديث، فيقولون ان الحضارة الغربية هي وليدة ثلاثة منابع:

أ) المجال السياسي والحقوقي، وهو خاضع لتأثير القانون الروماني.

---

(١) د. مصطفى، شاكر، مقال (عالم الثقافة المتخلفة)، مجلة عالم الفكر مج١٩، ع١، ٢٠٠٤م ، ص٨

(٢) د. حسن حنفي، "مقدمة في علم الاستغراب"، الدار الفنية، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٦٢٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب)المجال الاخلاقي، وهو وليد الديانة المسيحية.

ت)المجال الفكري والفني، وهو ثمرة التقليد لحضارة الاغريق[١].

بل ان (لسنج) تتم عنده تربية الجنس البشري على ثلاث مراحل تقوم بالأساس على المرتكزات الثلاث السابقة، فمن خلال قراءة هذه الينابيع الثلاث[٢] كما أوردها جارودي نجد أن الأوربيين بهذا ينكرون انجازات الحضارات الأخرى، أو يلحقونها بالتاريخ الأوربي، فلا أثر عندهم لحضارات ما بين النهرين، ولا لحضارة الهند، ولا لحضارة مصر أو الصين أو الحضارة الإسلامية، فهي عندهم هوامش، أو أطراف، ربما تكون وجدت بتأثير أو إيحاء من إنجازات الإنسان الاوربي الذي لم يكن موجوداً أو فاعلاً خلال فترة نهضة تلك الحضارات، فلا الفلسفة ولا المنطق ولا العلم ولا المنهج عُرف في تلك الحضارات إلا بعد فتوحات الاسكندر الأكبر، أو الثورة العلمية في العصر الأوربي الحديث[٣]، حتى الفن الإسلامي في الاندلس، وفي قصر الحمراء خاصة، هو أثر من آثار الرومان. يقول أحد المستشرقين: "الحمراء"، ماذا تكون الحمراء؟. ان قواعد فن العمارة فيها قد دخلت شبه جزيرة ايبيريا منذ قيام روما وبيزنطة!!"[٤] أي قبل مجيئ المسلمون لبلاد الأندلس، ويرى ان زخرفة المساجد في الحضارة الإسلامية ذات أصول افلاطونية.

وبهذا يكون الغرب قد أجاز لنفسه تقويم الآخرين من خلال ذاته وتأريخه الخاص، وغاياته ومعاييره الخاصة، فكل الشعوب والحضارات والثقافات والتقنيات تبدو بدائية متخلفة اذا قيست بمسيرة الغرب أو قورنت بحضارته وثقافته وعلومه. من خلال ذلك نستبين طريقة نظرة البلاد الغربية أو المواطن الغربي الذي رضع هذه

---

(١) روجيه جارودي، حوار الحضارات، منشورات عويدات، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣، ص١٧.

(٢) تربية الجنس البشري، ترجمة د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٨٤

(٣) نرى ذلك بوضوح في كتاب (تاريخ علم المنطق) للمؤلف الروسي الكسندر ماكوفلسكي، وهو يختصر تاريخ هذا العلم دون أن يشير إلى انجازات المسلمين في هذا العلم، ويقول: (إن الهنود لم يعرفوا المنطق اليوناني القديم إلا بعد فتوحات الاسكندر الأكبر)، ص١٤. ترجمة نديم علاء الدين وإبراهيم فتحي، دار الفارابي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٤م.

(٤)روجيه، جارودي، ما يعد به الإسلام، ترجمة قصي الاتاسي، وميشل الحكيم، دار الوثبة، دمشق، طبعة بيروت ص١٨١، ١٨٢ ٢٠٠٦م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العلوم في التعليم من مرحلة رياض الأطفال وحتى مراحل التعليم ما بعد الجامعي. نرى نظرة لأهل الشرق عامة والمسلم خاصة نظرة استعلاء، فهم . بناءً على هذه النظرة . سُذج، غافلون، محرومون من الحيوية والابداع، خُلقوا لأن يكونوا محكومين للغرب. والغربيون يتساوون في هذه النظرة، سواء أكانوا رأسماليين أو شيوعيين، فهذا كارل ماركس وهو مَنْ هو، كان يرى (أن الشرقيين عاجزون عن تمثيل أنفسهم، ينبغي أن يُمثلوا) [١]، وكان يرى أن الفضل لإنجلترا في تصفية نمط الانتاج الآسيوي القديم وارساء الأسس المادية للمجتمع الغربي الحديث.

وهذا الموقف لا يُمكن أن يُؤدي إلى الاعتراف بفضل المسلمين في إرساء قواعد الحضارة الإنسانية عموماً، فضلاً عن الاعتراف بدورها في النهضة الأوربية الحديثة، بل على العكس من ذلك يتوارث الاوربيون جيلاً بعد جيل أحكاماً مشوهة عن الإسلام وأهله، وكان ذلك قبل الحروب الصليبية وبعدها، وحتى اليوم. وتستطيع أن تقرأ هذا النص الذي دوّن في الكتب المدرسية التي يتلقاها الاطفال في أمريكا في هذا العصر: (إن دين المسلمين الذي يُعرف باسم الإسلام بدأ في القرن السابع على يد تاجر غني من شبه جزيرة العرب اسمه محمد، وقد زعم محمد أنه كان نبياً رسولاً، واستطاع أن يجمع أنصاراً وأتباعاً من بين العرب والآخرين، حيث أقنعهم بأن الله قد اختارهم لكي يحكموا العالم) [٢].

لقد بلغت هذه النظرة الاستعلائية حدّا تجاهلت فيه كل قيمة انسانية للآخرين، فمن كان خارج التمركز الاوربي لا يعني شيئاً، ولا يمثل شيئاً، وربما خرج عن دائرة الامكانات البشرية. فهذا وفد من (سيام) يأتي إلى فرنسا فيجيد التعبير عما يريده في بلاط (لويس الرابع عشر). فيدهش الفرنسيون، كيف يستطيع غيرهم الافصاح وعرض الحجج، وكأنهم ليسوا من جنس البشر!! [٣].

---

(١) د. علي القريشي، بحث: نحن والغرب، قراءة في التمركز الأوربي وتجلياته في المجال العربي والاسلامي، مجلة المستقبل العربي، ع١٩٦، ١٩٩٥، ص١٤٥.

(٢) د. أحمد ابو زيد، مقال (التجربة الإسلامية)، عالم الفكر، مج١٠، ع٢، ١٩٧٩، ص٩

(٣)محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، ط٣، دار العالم العربي، القاهرة، د.ت، ص١٨ ١٩٩٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في هذا الركام المتراكم وهذه الظلمات التي بعضها فوق بعض نجد في الحقيقة منصفون وهم أقل من القليل ولكن للأمانة يجب ذكر بعض هؤلاء الباحثون المنصفون حيث يقولون كلمة الحق المجردة من الاغراض السياسية، مثل جوستاف لوبون، وتوينبي، وغيرهما، وربما تعرض بعض هؤلاء المنصفين للأذى كما حدث لوليام ونستون الذي خلف (نيوتن) في جامعة كمبردج، حيث طُرد من الجامعة عام ١٧٠٩م.

على كل حال كما يرى روجية جارودي إن الثقافة الأوربية لا يرجع تفوقها إلى تفوق الإنسان الغربي نفسه، بل إلى استخدام تقنيات السلاح والبحر لأهداف عسكرية وعدوانية[١]، ولم يكن هذا الإنسان الأوربي انساناً فوق العادة أو سوبرمان حقاً، ولا يملك قوى خارقة تؤهله لأن يكون سيد هذا الكوكب بثقافة، ولكن باستخدامه لوسائل وطُرق هي غير انسانية في التعامل تُعلي من قيمة الفردية أو الأنانية.

ثانياً: المكر والخداع

في الحقيقة ومن خلال الواقع المشاهد أن الغربيين يتعاملون فيما بينهم بالمكر والخداع وذلك حدث خلال الحروب القومية في العصر الحديث فيما بين المانيا وفرنسا، وفرنسا وبريطانيا، فهم يسلكون كل سبيل من أجل الوصول إلى أهدافهم بكل أثرة وأنانية، (وسيأتي تفصيل لهذه الحروب في المبحث التالي) وما كلمة السياسة عندهم إلا تعبير ملطف عن الحيلة والدناءة والبهتان والزور ونكث العهود والمخاتلة والخيانة وكل أنواع اللامعقول واللاأخلاقي. يقول احد ساستهم، وهو (بسمارك): (لا يوجد على الأرض إلا نفاق وكذب) [٢] ، وهو يريد سياسات الدول الغربية، ولكنه لا يعفي نفسه من مدلول هذه المقولة. ولقد سن لهم (ميكافيلي) الايطالي سنّة الكذب والخداع السياسي، سواء في تعامل الحاكم مع شعبه، أو تعامله مع غيره من الدول والحكومات، وجاء بمقولة الغاية تبرر الوسيلة، فكل ما في رؤوس الأوربيين من

---

(١) مرجع سابق "ما يعد به الإسلام"

(٢)أحمد رضا بك "الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق"، ترجمة محمد بورقيبة، ومحمد الصادق الزمرلي، دار بوسلامة، تونس، ط٢، ٢٠٠٦م ص١٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غايات نهب وسلب واستحواذ على مقدرات الشعوب، يُمكن اللجوء لكل ما هو غير أخلاقي من أجل تحقيقها واللجوء إلى الوسائل الشيطانية الدنيئة، وعن (ميكافيلي) هذا أخذ (هوبز) فهمه للعلاقة بين الحاكم والمحكوم على انها علاقة بين الذئب والحمل!! أي علاقة عداء متبادل.

وعلى هذه الخُطى وبنفس هذا الفكر المتدني سار الأوربيون في تعاملهم مع شعوب الشرق خاصة، ومع كل الشعوب التي قهروها، وعدوها من أملاكهم لمجرد أنهم كانوا في موضع قوة، وغيرهم في موضع ضعف. فقد قال نابليون للمصريين لما احتل الاسكندرية عام ١٧٩٨م، (اننا نحن المسلمون الحقيقيون) [١]، في محاولة للتمويه بأن العثمانيين لا يمثلون الإسلام، والذي يمثله تمثيلاً حقيقياً هم الغزاة الفرنسيون!!، وما هي إلا فترة وجيزة، حتى قلب نابليون ظهر المجن للمصريين فأعمل بقادتهم السيف، ودخلت خيوله الأزهر، وعاثت فساداً بمصر كلها، فكان مسلماً حقيقياً!! كما قال، ولم يخرج منها إلا ذليلاً بعد ثلاثة أعوام من الفساد والتدمير، ولكن لا أدري كيف اعتبرت الحملة الفرنسية تباشير خير، وعلامة بارزة من علامات الخروج من الظلمات إلى النور، فعدها المغرمون بالحضارة الأوربية بداية لعصر العلم والتنوير والحداثة!!

وأثناء الحرب العالمية عندما دخل الجنرال (مود) بغداد عام ١٩١٧م، قال انه جاء محرراً وليس فاتحاً، وانه جاء ليخلص أهل العراق من ظلم العثمانيين، ولكن الانجليز نكّلوا بالعراقيين بعد عام واحد، واعدموا أبطال ثورة النجف عام ١٩١٨م في وسط المدينة، وكانت جرائمهم بشعة عندما أخمدوا ثورة العشرين ١٩٢٠م بالحديد والنار.

وهذا ديدنهم مع كل الشعوب التي خدعوها باسم التحضر والتحرير وتقرير المصير، ولكن وعودهم هذه، ذهبت ادراج الرياح، وحُكّم منطق السلاح والدمار، فلقد طلعوا على العالم ابان الحرب العالمية الأولى بمصطلحات غامضة انطلت على

(١) المرجع السابق، ص ٢١٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعض الناس من قبيل الحماية والوصاية والانتداب، وكأن الشعوب أطفال قاصرون يحتاجون إلى من يرعى أحوالهم ليصلوا إلى سن الرشد والبلوغ. ولكن أولياء الامور هؤلاء من الانجليز والفرنسيين كانوا لصوصاً وقطاع طرق قد استحوذوا على كل ما يملك أولئك القاصرون، ومسخوا حاضرهم، وشوهوا تاريخهم، وحاربوا دينهم وقضوا على تقاليدهم، ونسبوهم بالقسر والاكراه إلى آباء ليسوا آباءهم، والى حضارة لا تعرف الرحمة، بل هي حضارة استئصالية تقضي على الحرث والنسل وتترك الأرض بواراً إلا من مفاسد الغزاة. هنا نلاحظ فرقاً بصورة لا تدعو للمقارنة بين فتح المسلمين للبلاد ونشرهم لمبادئ العدل والرحمة واحتلال الأوربيون للبلاد فماذا فعلوا في تلك الشعوب المستضعفة غير الإبادة ولا شيء غير الإبادة.

الأوربيون تحت سيطرة هذا الفكر دخلوا في حروب لم تنتهي حتى يوم الناس هذا لا هدف لهم إلا السيطرة على الثروات وإبادة أصحابها؛ وخلال هذه الحروب تحالفوا مع اليهود، ووعدوهم بأرض ليست لهم لقاء أموال ومساعدات قدمها اليهود لهم في حملتهم على ديار الإسلام. ولقد انتهت سنين على هذه الحملة والوصاية دون ان نبلغ نحن المسلمون أجل الرشد بعد، حتى اذا ما كان ضغط وتململ وخوف من تمرد هذا الجسد المتهالك الذي يُقال له جسد الأمة المسلمة، خرجوا على العالم بمسرحية جديدة أكثر كذباً وتمويهاً، هذه المسرحية اسمها الاستقلال، وهو في الواقع كان عصر بداية تكوين الدويلات، ولم يرى المسلون تحت حكم هذه الدويلات استقلالاً ولا حرية، ولكنها العبودية والاستعمار بوجه جديد؛ وسرعان ما جاء حكام محليون منصبون من وزارات المستعمرات ووزارات ما وراء البحار، وكانوا أكثر قسوة على شعوبهم من المحتلين أنفسهم، حتى صار الناس يتمنون عودة الاحتلال الأجنبي على ذلك الاستقلال المموه. وما زالت اللعبة تُمارس حتى يوم الناس هذا وبأسماء جديدة وبرموز جديدة. ولولا نجاح الأوربيون في خداعنا لكانوا هم العدو الأول ولكنهم فضلوا أن يحركوا القيادات من بعيد راضية أو مكرهة، ونحن بدورنا نرى العدو الظاهر ولا نرى ذلك المحرك من خلف الستار فإذا سقط هذا المتحرك جاءوا بدُمية أخرى لتُمارس نفس الدور المرسوم. ومن صور خداع الأوربيون ما نراه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من احتلال العراق والصومال وإذكاء نار الفتنة تحت دعاوي نشر الديمقراطية واستئصال الحكام الفاسدين. فهم يحرقون الأرض ويقتلوا الأطفال ثم يسمحوا للجان الإغاثة بالتحرك إذا شاءوا يسمحون بالتدمير ثم يعقدوا مؤتمرات لإعادة الإعمار، وإذا قلبت في صفحات الحاضر ستجد من هذه المضحكات المُبكيات ما يشيب له الوليد.

نفس هذا الدور المخادع الماكر تُمارسه أوربا على مستوى المؤسسات الدولية يمارسون الخداع والكذب، فما المؤسسات التابعة للأمم المتحدة إلا ادوات من أدوات مكرهم واستحواذهم، وهذه المؤسسات تُعلن أنها ادوات للسلم وتطوير اقتصاد البلدان النامية والفقيرة، وما هي في الواقع إلا أدوات تجارية تُشعل الحروب ..... ثم تبيع السلاح ..... ثم مؤتمرات الإعمار ثم الديون.... ثم، ثم.. إلى آلاف المرات. وما حديث صندوق النقد الدولي وقروضه عنا ببعيد، فهو وسيلة تركيع الدول للسياسة الامريكية التي هي في الأساس تنتمي للفكر الأوربي، ووسيلة لمسخ الشخصيات الوطنية للدول وفرض السيطرة عليها. بل إن أموال القروض التي يقدمها هذا الصندوق غالباً ما تذهب إلى رؤساء الحكومات والسماسرة من الموظفين، وإلا كيف نُفسر الإعانات التي تتلقاها مصر على سبيل المثال منذ توقيع اتفاقية السلام حتى يومنا هذا فلم نرى تنمية ولا ازدهاراً ولا نعلم كيف تأتي هذه الأموال ولا أين تذهب. وما مصر إلا نموذج للدولة التي تتلقى المعونات فلم نرى بلد واحد حقق تنمية حقيقية من خلال هذه المؤسسات الدولية وخاصة البنك الدولي.

ثالثاً: الحقد

لا يتولد الحقد وهو سلوك وفكر دفين في النفس البشرية إلى بكراهية الأخر ورؤية الأخر غير مستحق لما هو فيه من خير وعافية، ولا يتولد هذا الشعور إلا بعد نسيان أن هناك لهذا الكون ربٌ عادل وإلهٌ كريم يُعطي ويعدل في العطية. من خلال ذلك نستطيع أن نُفسر الحقد المتدفق بغزارة من سلوكيات الغرب وما رأيناه من سلوكيات الخداع والمكر وما ترتب عليه من حروب ودمار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه الأخلاقيات تولد سلوك حاقد معادي لا محالة للإسلام الوضيء فكان هذا الدين بما يُمثله من طُهر وعفاف مصدر رعب للمفكرين والساسة والقيادات الغربية وصدمة مستمرة كلما ظهر في أي صورة من صور الظهور، ولذلك تعاملت معه بصور شتى من التعصب والكراهية والهمجية والحقد. فالخوف من الإسلام هو القاعدة في تفكيرهم وفي ثقافتهم. وإن القارئ للأدب الغربي يرى ذلك واضحاً في أدبهم فهذا دانتي في الكوميديا الإلهية وهي تُعد من روائع الأدب الغربي يضع النبي سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم في عداد الهراطقة الذين وضعهم في الدرك الثامن من جحيمه المزعوم!! وكانت التهم الموجهة له أنه ادعى كذباً[١]. حدث ذلك من كاتب أوربي يعدوه من كُتاب عصر النهضة الذين ثاروا على الفكر التقليدي الأوربي وعلى فكرة سيطرة الكنيسة على كل أوجه الحياة هناك فكيف يكون حال رجال الكنيسة الذين ينظرون إلى الدنيا من سم الخياط ومن خلال ما تعلموه من كذب وبهتان عن الإسلام ورسوله؟! بل كيف يكون حال الغوغاء والدهماء والعامة التي لا تعرف غير ترديد مقولات رجال الكنيسة حتى لو كانت عارية من أية حقيقة أو خاضعة لأي منطق، فقط نرى الحقد الأعمى والكراهية بدون سبب. ولا يكاد الباحث يجد في كُتب هؤلاء مقولة واحدة لكاتب أوربي يذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم تحمل معاني إيجابية إلا بالقدر القليل الذي لا يكاد يبين.

وعندما نعود إلى شيء من التاريخ لنرى نتيجة الاحتكاك بين أوربا والمسلمين لنذهب إلى أفعالهم في الأندلس؛ فقد قامت محاكم التفتيش بتنفيذ أحكام الموت حرقاً بـ(٧٠٠ شخص في اشبيلية، و١١٣ في أبلة، وفي مدينة طليطلة مثل أمام المحكمة ألف ومائتا شخص حُكم عليهم بالإعدام في جلسة ايمان واحدة. وكان يُطلب من المتهم الذي هو بطبيعة الحال كان مسلم أن يترك الإسلام ويعتنق المسيحية، أو الموت حرقاً، ومن هنا جاءت التسمية بجلسات الإيمان) [٢]. ولم يكفهم الانتقام من المسلمين كأشخاص، بل بلغ حقدهم حد الانتقام من الإسلام . الحضارة حيث أمروا

---

(١) مرجع سابق "ما يعد به الاسلام"

(٢) زريق قسطنتين،"في معركة الحضارة" ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ٢٠٠٦م ص٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحرق المصاحف وكتب العلوم المختلفة في مشهد همجي لا مثيل له في تاريخ البشرية.

أما عن الهجمات الأوربية العسكرية على العالم الإسلامي فنرى الإسراف في التدمير بدون مبرر هو القاعدة التي تعامل بها الغرب المحتل لأراضي المسلمين. نرى ذلك بوضوح حتى بعد الأسر أو الإخضاع، في الحروب الصليبية وغيرها. حتى بعد استقلال المسلمون شكلياً وتحويل البلاد المسلمة إلى دويلات صغيرة رأينا هذا الحقد حتى في مناهج التعليم لدينا وما تُوحيه من تقديس الغرب واحترام معتقداته،. ورغم الحقد الأوربي الظاهر للعيان نرى تاريخ الإسلام مليء بالتسامح في التعامل مع الأوربيين سواء في مرحلة تفوق المسلمين في عصر الفتوحات والانتصارات فلم يقتل المسلمون أحد في غير ميادين القتال ولم ينصبوا محاكم لإكراه الناس على الدخول في الدين أو تغيير معتقداتهم ومازالت الكنائس والمعابد عامرة في البلاد التي سيطر عليها المسلمون إلى يوم الناس هذا.

رابعاً: اللادينية

ليست مصادفة أن نجد ارتباط بين كلمة ثقافة (Culture) وبين كلمة الزراعة (Agriculture)[1] فكلاهما محسوس فالأوربيون يميلون لكل المحسوسات ويبتعدون بطبيعتهم عن العلوم اللامحسوسة مثل الغيبيات وقد يكون ذلك هو سبب رفضهم لفكر الكنيسة في القرون الوسطى الذي كان يعتمد على المنهج الاستقرائي القادم من الكتاب المقدس واتباعهم على المنهج التجريبي. وقد يكون هذا التحول ناتج من فرط سيطرة رجال الدين طوال القرون الوسطى على المجتمع الأوربي ما أدى لثورة الأوربيين على الفكر الديني القادم من السماء ونبذ كل أشكال الدين وما تحتويه الأديان قاطبة. وهكذا نبتت الثقافة الغربية الحديثة وترعرعت!!. هذه الحضارة الحديثة وهذا التقدم هو نابع من تلك المادية على الرغم من وجود بعض المحطات التأمُلية

(١) محمد عبدالسلام الجفائري "مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي"، الدار العربية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م، ص١١٣

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المثالية لدى بعض الفلاسفة اليونانيين. وعند النظر لمراحل التدين في التاريخ الأوربي نجد أن مرحلة الديانة المسيحية في العصر الروماني والعصور الوسطى عندهم، كان فيها إفراط مبالغ فيه في الروحانية كما أسلفنا هذا الإفراط وصل إلى حد الانحراف لدى طبقة محدودة من الناس، وقد صاحب هذه المرحلة تقييد لحركة العقل واستغلال الدين لصالح طبقات الأثرياء، وتقليب العامة ضد الديانات الأخرى في صور بشعة من الحقد والكراهية والبغضاء والتعصب. وبالجملة لم تستطع المسيحية تغيير الطابع المادي والنفعي في الشخصية الأوربية، بل استطاع الاوربي أن يوظف الدين نفسه لمصالحة المادية ونزعاته العدوانية بإلباس تلك النوازع ثوباً من القداسة الدينية أو الشعارات الإنسانية، رأينا ذلك في الشعارات التي أُطلقت خلال الحروب الصليبية وجعلها حروب مقدسة وهي في الأصل تهدف للسيطرة على بلاد المشرق العربي المسلم ولم يكن لها أي بُعد ديني.

هذا التطرف في الروحانيات والدعوة إلى الرهبنة أدى بدوره لردة فعل عنيفة ضد الأديان بصفة عامة في عصر النهضة وعصر التنوير حيث استهدف الدين كسبب مباشر رآه الأوربيون سبب التخلف، فكانت ، الثورة على الاقطاع والكنيسة، وكان الرفض شاملاً ليس للإقطاع والكنيسة وحدها بل لدينهما الذي كبل الحريات وقيد العقل، ووقف حائط منيع في طريق التطور البشري، وكانت الثورة عارمة ضد التفكير المتوازن، وهكذا تكون ردود الأفعال الثورية في كل زمان ومكان تكون غير محسوبة وتكون قوية بقوة الفعل نفسه أو أشد، فبمقدار ما أُستغل الدين لأغراض الكنيسة والاقطاع، كان الرفض للدين بكل مكوناته شديداً، وشيئاً فشيئاً قطع الأوربيون علاقاتهم بالسماء ولجئوا لفلاسفة الأرض ليرسموا لهم طريقتهم المُثلى في الحياة.

كانت مرحلة التخلص من الدين وتحجيمه ليظل في الكنيسة أولاً، ثم تطور الوضع إلى النظر والربط بين الدين والتخلف الحضاري والفكري زاد من التأكيد على هذه النظرة لرجال الدين المسيحي التقدم الإسلامي واجتياح المسلمون لأجزاء كبيرة من أوربا. حيث الأوربيون ينظرون إلى المسلمين ككفار احتلوا ارضهم حسب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عقيدتهم وكانت المقارنة حتمية بين الكفر المنتصر والدين الذي عندهم تسبب في السيطرة ثم القتل لكل عوامل الإبداع. هذه وأسباب أخرى كثيرة أدت لمعاداة الدين ومحاربة مظاهره في المجتمع والسخرية من تأثيره في سلوك الانسان، فصار التفسخ والظهور بمظهر الرافض للمبادئ الدين عموماً هو عنوان التنوير والتحضر. والشخص المتحضر هو الذي يولي للدين دبُره وليس لدين المسيحي فقط ولكن لكل من يُحاول ربط الإنسان بموضوعات غيبية تحت أي مُسمى. الفرد صار على هذه الحالة وذهب للمجتمع بدون قيم دينية ذهب ليصوغ معايير تفكيره وأخلاقياته في ضوء الواقع الاجتماعي، بعيداً عن أية نظريات مُسبقة أو أي هيمنة لسلطة اجتماعية أو دينية، وصارت نسبية الحقائق مظهراً من مظاهر التفكير، فليس هناك حقيقة مطلقة، بل هي قدر مشترك لدى المتأملين جميعاً، فلا مُصيب ولا مُخطئ في مجال الاستنتاج وصياغة النظريات، فاختلط الحق بالباطل، وضاعت الحقيقة نفسها. حدث هذا لعموم الناس؛ وللحقيقة ظهرت في أوقات مُبكرة من ظهور الأفكار التحررية وعبادة العقل ظهرت أصوات تحاول الموازنة بين ذلك وذاك وبدأت ضعيفة ولكنها تقوى يوماً بعد يوم[١]. نقول هذه الأصوات بدأت ضعيفة تحت وطأة عصر النهضة والتنوير وما تلاهما من فلسفات حتى الآن ولكنها لا زالت موجودة.

في مؤسسات الحكم ومراكز اتخاذ القرار نجد أن "العلمانية" هي طابع العصر الحديث في أوربا، والعلمانية في هذا المجال تعني اللادينية تعني المساواة في كل الأمور الكونية أو العالمية، ومفهوم العلمانية ليس مظهراً من مظاهر التفكير الفلسفي فحسب، بل مظهر لكل سلوك في مجالات الحياة العامة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية. فالدين مُستبعد من كل هذه المجالات، ولا يتعدى مجاله الخاص غير الأمور اللاهوتية الطقوسية التعبدية، فنحن نجد التفكير العلماني سيطر

(١) للمزيد ينظر، "في الفكر الغربي المعاصر"، د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على كل مناهج الحياة، ومناهج العلوم الطبيعية، وحتى العلوم الانسانية[١]؛ فكان البُعد عن الدين هي سمة من سمات الفكر الأوربي الحديث[٢].

ومع التقدم الأوربي الحديث وحيث أن الدين يُمثل حقيقة من حقائق الإنسان واحتياج لا يُمكن نكرانه فنجد العديد من الفلاسفة الغربيون يتأثرون بالأفكار الدينية بصورة مباشرة أو غير مباشرة خاصة عندما يقترب الكلام من الأهمية الواقعية للصدق ومحاسن الأخلاق في المجتمع.

هذا الإنسان الغربي الذي رأى دينه سبب التخلف هو في الحقيقة ينظر لكل الأديان الأخرى بصورة أشد احتقاراً من نظرته إلى دينه؛ فهو لا يرى في هذه المظاهر الدينية إلا رواسب بالية يتمسك بها المصرون على التخلف. ومن الغرائب التي لا يكاد يُصدقها عقل أو يقبلها منطق هي تعامل أوربا مع الأديان فهي تؤمن بحرية التدين وحرية الاعتقاد وهذا أمر مقدس عندهم، ولكن عندما نأتي إلى الإسلام نرى التفرقة والازدواجية فحرية العقيدة عندهم لا تعني ترك الهاربين من جحيم المادية في أوربا يدخلون في دين الله أفواجا، ولا تعني حرية الفرد عندهم أن تنزل امرأة مسلمة بلباس يُغطي جسدها البحر أو ترتدي الحجاب وتدخل مؤسسات الدولة بالصورة التي تجعل كل من ينظر إليها يعلم أنها مسلمة؛ هذه الحرية لا تعني أن تُرفع المآذن في بلادهم. بل إن الدولة عندهم لا تتدخل في الشؤون الدينية الخاصة بالفرد عندهم، ولكنها تتدخل في الشؤون الدينية الخاصة بحياة الفرد المسلم، فتسن القوانين المستوحاة من القوانين الفرنسية أو الإنجليزية والتي تتعارض مع الشريعة الإسلامية؛ ومن أوضح الأمثلة على هذه الازدواجية ما فعلته فرنسا أو دولة طبقت العلمانية في فكرها ومؤسساتها إبان احتلالها للجزائر المسلمة في الفترة من ١٨٣٢م وحتى ١٩٦٢م. كان نظام الحكم الجمهوري العلماني في فرنسا لا يتدخل في المؤسسات الدينية ولا يحد من نشاطها، ولكنه يُحارب النشاط الديني، ويحظر

---

(١) للمزيد يُرجع إلى، د. محمد عمارة، "الغزو الفكري وهم أم حقيقة"، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط٤، ٢٠٠٤م.

(٢) معن زيادة "معالم على طريق تحديث الفكر الاوربي"، عالم المعرفة، الكويت عدد١١٥، ١٩٨٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التدريس الديني والمدارس الدينية ويتدخل في التصرف الديني للأفراد لأنه يرى أن الدين في الجزائر يُهدد وجوده كمستعمر في البلاد المُستَعمَرة كلها وليس الجزائر (أو فرنسا عبر البحر كما كانوا يُطلقون عليها). كان النظام الفرنسي يرى أن التدين في الجزائر يؤدي لظهور شخصية مستقلة تُهدد الفكر الغربي برمته[١]. وما زالت هذه الطريقة وهذه النظرة هي المسيطرة على الفكر الغربي إلى الآن.

خامساً: اللاأخلاقية

لا يُمكن لأي عاقل أن يرفض الدين ويقبل الأخلاق فالدين والأخلاق صنوان لا يفترقان ولا يزدهر أحدهما إلا في وجود الآخر. من هنا نفهم أن رفض الأوربيين للدين سيؤدي حتماً لانهيار أخلاقي. الفرد الأوربي مُحب لذاته ينظر للأخرين نظرة دونية. هذا الكلام تؤكده حروبهم وسلمهم فهم في الحرب يقتلون حتى الأطفال والنساء دون تمييز ودون مراعاة عهد أو ميثاق وما حدث لهيروشيما ونجازاكي خير دليل على اللاأخلاقية الغربية، وليس ما حدث لفيتنام والهنود الحُمر من نجازاكي وهيرشيما ببعيد فكلها ظلمات غربية بعضها فوق بعض. هذا ولا يُمكن أن ننسى هؤلاء السود من البشر الذين كانوا يُخادعونهم حتى يصطادونهم كما الحيوانات ثم يُرسلونهم إلى العالم الجديد في أمريكا في تجارة الرقيق طيلة عشرات السنين ولما ذهب الأوربيون إلى أمريكا أبادوا الهنود الحُمر فكانوا أثر بعد عين[٢]. والكلام في هذا يطول فمن اليابان إلى فيتنام إلى العراق وأفغانستان والعراق نجد أن الغربيين لم ينزلوا بواد إلا وكان معهم الدمار وبعد أن يُدمروا ما استطاعوا يتركون مشاكل من العصبيات والاقتتال على الحدود في البلاد التي دمروها؛ ويجدر بنا هنا أن ندرج شهادة بعض من خبروا هذه الحضارة عن قُرب وعاشوا بين الأوربيين. الشهادة الأولى للشاعر المسلم الباكستاني، محمد إقبال حيث تنقل بين الدول الأوربية يقول "صدقوني اذا أكدت لكم أن أوربا اليوم هي أكبر عائق في سبيل رقي الأخلاق

---

(١) للمزيد يُنظر في، د.شلتاج عبود "أثر القرآن في الشعر العربي الحديث"، دار المعرفة، دمشق، ط٤ ٢٠٠٤م.

(٢) للمزيد: شفيق، منير، الإسلام في معركة الحضارة، دار الكلمة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣م ص ١٤٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإنسانية"[١]. ويتفق مع كلمة إقبال كلمة المناضل الأفريقي (فرانز فانون) الذي عاش في فرنسا ودرس فيها، وشهد جرائمها في الجزائر، فتطوع للقتال مع الجزائريين حتى مات بين أيديهم في الجبال. يقول فانون في كتابه (معذبو الأرض): "إني أبحث عن الإنسان في التكنيك الأوربي والأسلوب الأوربي، فلا أرى إلا سلسلة من الإنكارات للإنسان، وإلا مواكب من جرائم قتل الإنسان"[٢] [٣٤]؛ ولا يجب هنا أن نغتر بما وصلت إليه أوربا من تقدم تقني فالرؤية من الداخل تختلف عن هذا المظهر الكذوب.

سادساً: العدوانية والدموية

إذا ابتعد قوم عن الدين والأخلاق فماذا تنتظر من أفعالهم، غير العنف والعدوانية؟ الشعب الأوربي هو ناتج من سلالة القبائل الجرمانية التي كانت تُغير على البلاد المتحضرة من وقت لأخر فتُهلك الحرث والنسل ولم يكن لهم حضارة معروفة قبل عصر النهضة. هذه الدموية لم تُفرق بين قريب أو بعيد فخلال الحروب الصليبية كما يقول، كافين رابلي "وهم في طريقهم إلى القدس لم يكن يأبهوا أن ينهبوا القسطنطينية أو القدس[٣]. في الحقيقة كانوا ينهبون ويسلبون ويسفكون الدماء وهم في اجواء حرب مقدسة!! هكذا كانوا مع اخوانهم وأبناء جلدتهم، ويتحدث التاريخ عن هذه الدموية بين شعوبهم لأسباب طائفية ودينية، "إنهم استباحوا الجرائم الواحدة تلو الأخرى لتحقيق أفضلية إله الكاثوليك على إله البروتستانت، على الرغم من إيمان أغلبهم بأنه إله واحد؛ وهذا طبيعي، فإن الكنيسة قضت سبعة عشر قرناً في تدبير

(١) للمزيد انظر: عبدالإله بلقزيز، محاور. الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي: حوارات فكرية. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤م. (سلسلة حوارات المستقبل العربي: ١).

(٢) محمَّد محمَّد حسين. الإسلام والحضارة الغربية. ـ ط ٥. ـ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م. ـ ٢٧٨ ص.

(٣) مرجع سابق، روجيه جارودي، "حوار الحضارات" منشورات عويدات، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م ص ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفتن الرهيبة التي زلزلت الغرب، فكانت منبع الحروب والعنف والاضطهاد، وفرقت بين الأمم"[١].

هكذا كانوا فيما بينهم، حتى صار يضرب المثل بحرب المئة عام بين فرنسا وبريطانيا (تحسبهم جميعاً، وقلوبهم شتى) [٢].

وإذا كان الأمر كذلك مع بعضهم البعض، فهم أكثر عنفاً ودموية وعدوانية وانتقاماً في علاقتهم مع غيرهم من الأمم ومع المسلمين خاصة، فقد قتلوا مئة الف، أو سبعين ألفاً من المسلمين، وكان معظمهم من الشيوخ والنساء والاطفال، وذلك حين دخلوا القدس لأول مرة في حروبهم الصليبية[٣]، وكانت فظائعهم وجرائمهم يندى لها جبين البشرية في كل أرض وطأتها أقدامهم من ديار الإسلام، فقد كانوا يدمرون موانئ المسلمين في سواحل إفريقيا وآسيا بمدافعهم قبل أن يحتلوها وينهبوها في مرحلة ما سُمي بالكشوفات الجغرافية، وما هي بالكشوفات، بل كانت حروباً استعمارية غايتها نهب خيرات الأمم والشعوب وتحويلها إلى أوربا، علماً بأنهم قد استفادوا من البحارة المسلمين وتجاربهم في البحار الإسلامية، واستفادوا من تجارب المسلمين في رسم الخرائط وبعض الآلات التي تُحدد الموقع في البحار. وكانت السُفن الغربية تغدوا إلى أفريقيا فارغة ثم تروح إلى شواطئ أمريكا وأوربا محملة بألاف من العبيد لكي يعملوا هناك في المزارع والمصانع ومن يرفض فلا دين ولا أخلاق يمنع من قتله أو تشويهه. هذه هي الحضارة التي يدعي أهلها إنهم جاءوا نعمة من السماء لتحضير الجنس البشري ونقله من الظلمات إلى النور! وتخليص البشر مما هم في من تخلف ووضاعة. وليس سراً ما فعله الأسبان في قبائل الهنود الحمر من الانكا والمايا والأزيتك (ممن حطم الاستعمار الاسباني حضارتهم القديمة، ولم يعطهم بديلاً عنها، لأن الاستعمار الأسباني استخدمهم عبيداً له في المزارع

---

(١)انظر: جلبير الأشقر. صدام الهمجيات: الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل ١١ أيلول وبعده. نقله إلى العربية: كميل داغر، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٢م،١٥٧ ص.

(٢) سورة الحجر آية (١٤)

(٣) "الغرب والعالم"، سلسلة عالم المعرفة، ع٩٠، ١٩٨٥م، حـ١، ص١٩٧، ترجمة د.عبدالوهاب محمد المسيري ود.هدى عبدالسميع حجازي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمصانع والموانئ والمُدن، وأدخلهم القساوسة في المسيحية بالاسم، دون أن تدخل المسيحية قلوبهم) [1]. إكراه الناس على الدخول في دين الكنيسة كان من الطقوس المعروفة. نرى في كل المحافل تغني بهذا الصنم الجديد المسمى بالحضارة الغربية وهذا الإله الذي أنزل شرائع .....حقوق الإنسان..... حقوق الطفل.... تكريم المرأة..... الديمقراطية...، وغيرها من المصطلحات التي يُظهرون القليل من معانيها ويخفون الكثير من أغراض ترديدها بل ومحاولتنا تطبيقها على مجتمع شرقي مسلم. فعندما نتكلم عن حقوق الإنسان نجد كُتب كثيرة يُمكن جمعها في كلمات بسيطة هي من موروثاتنا الثقافية مثل.... كلكم من آدم وآدم من تراب..... لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح... إلى أخر تلك الكلمات الزاهرة التي تنظر إلى الإنسان كإنسان بغض النظر عن الدين أو اللغة أو الجنس أو أي فروقات أخرى الإنسان هو الإنسان وفقط. وفي هذا السياق لا يجوز لنا أن نسأل أين حقوق الإنسان في فيتنام؟ أو في العراق؟ أو في غيرها..... عندها لن تجد إجابة غير مط الشفاه وهز الأكتاف.

(١) د. حسين مؤنس، "الحضارة"، سلسلة عالم المعرفة، ع١، ط٣، ٢٠٠٤م، ص٣٧٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

الحروب الغربية الغربية في القرون الوسطى والعصر الحديث

حرب الثلاثين عاماً

من خلال التحليل السابق للشخصية الأوربية نستطيع أن نتوقع بسهولة كيف تكون العلاقات البينية بين الأفراد والجماعات في المجتمع الأوربي الكبير؛ ونحن هنا لن نبحث في التاريخ الأوربي البعيد فالقارة الأوربية لم تكن شيئاً مذكورا في العصور القديمة، ولا يهمنا هنا البحث في التاريخ الأوربي ذاته بقدر ما يهمنا من النظر في السنوات القليلة أو في المئة سنة التي سبقت نشوء الاتحاد الأوربي الذي نراه اليوم؛ ذلك لأن الهدف الكلي للبحث معرفة كيف تجاوز الأوربيون مرحلة الصراع على ما بينهم من اختلاف والدخول في مرحلة الوحدة والاندماج بشكل شبه كامل. من خلال ذلك سنعرج إلى الأسباب التي يُمكن أن نستفيد بها في ضوء استعادت المفاهيم الوحدوية في الأمة الإسلامية.

في الحقيقة أنه في مرحلة قبيل العصر الحديث، اندلعت سلسلة من الحروب التي كانت مغلفة بغلاف الدين منذ بدايات القرن الخامس عشر[١]، بلغت ذروتها في القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي، كانت هذه الحروب في الغالب الأعم تتوشح بلباس الدين من أجل تحقيق أهداف سياسية، ومصالح شخصية واقتصادية واجتماعية، لم تكن مفاجئة ولا وليدة العصر الحديث؛ ولكنها كانت حروب مستمرة منذ عصر ما قبل الحداثة غير أنها أصبحت أكثر فتكاً وتدميراً بسبب ما تفتقت عنه العقول من انتاج أسلحة مدمرة لم تستخدمها أمة من الأمم في حروبها من قبل. كما لا يجب أن ننسى هنا البُعد الديني في الصراعات الداخلية في القارة الأوربية لأن ذلك يُسهل علينا فيما بعد كيفية تسليم عموم الأوربيون في بداية عصر النهضة وحتى يومنا هذا بأن الدين ضره أكثر من نفعه. هذه الحروب اتسمت بالتعصب

---

(١) هنا يجب الإشارة أن بدايات عصر النهضة في أوربا كانت منذ القرن الرابع عشر واستمرت حركة التنوير والصراعات الداخلية إلى أن تبلورت في نهايات القرن السابع عشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الشديد بشتى أشكاله: الديني والقومي والعنصري، واختفت فيها روح التسامح الديني بكافة أشكاله، وتلاشى مصطلح التسامح من قاموس الغرب الأوربي؛ إلا في فترات قليلة، ولم يظهر مجدداً إلا بعد نهاية الحروب الدينية وبداية عصر النهضة الأوربية الحديثة. كانت الحروب في القارة الأوربية صراعاً طاحناً، ومعارك دامية، وصراعات وانقسامات واتهامات بالكفر والزندقة والإلحاد، وأحكاماً بالقتل والتعذيب والحرمان، أدت إلى هدم جسور الثقة، وساد الشك والريبة في علاقات الدول، بين الأفراد والجماعات، واختفى الحوار الهادف والاحترام المتبادل والسلام والتعاون، وعصفت بأمان الناس، وخلفت الكثير من الدمار والخراب، وساد الاضطراب والفوضى في شتى الأرجاء، وانتشرت الاضطهادات الدينية واضطرب المناخ الديني، وعجز الكثير عن تأدية شعائرهم وطقوسهم في أمان، وتم إجبار الناس على اعتناق مذاهب تُخالف عقيدتهم الدينية، وراحت أفئدة الآلاف من المضطهدين والمعذبين في الأرض الأوربية من خيرة العقول، ومن العمال والحرفيين المهرة يبحثون عن ملاذ آمن، وراحوا يلتمسون أماكن يجدون في رحابها الأمن والأمان والملاذ والتسامح، وذلك مع انتشار ثقافة اضطهاد المخالفين للعقيدة كشكل قبيح من أشكال اللاتسامح. هذه الحروب أنتجت آلاف القتلى والعديد من الأزمات الداخلية، فارتفعت الأسعار، وتضور الناس جوعاً، وزادت الضرائب بشكل يفوق طاقة البشر، وانتشر القمع والترويع، والإرهاب والتخويف، وعمت الفوضى أرجاء البلدان خاصة في بلاد الغرب الأوربي، وزاد الاستياء بعد أن عاث الجنود المرتزقة في بلدان الحروب فساداً، فقطعوا الطرق، ودمروا، وسلبوا ونهبوا، ولحقت بالمجتمعات التي كانت ميدان المعارك – مثل ألمانيا – أضرار بالغة فقد تعطلت مصالح الناس وأرزاقهم، وخربت قراها قبل مدنها، وعمتها الفوضى، وتصاعدت موجات الحقد والحسد والعداء المستحكم بين شعوب الغرب الأوربي، وكانت تلك الحروب مصدراً للرعب والهلع، وكانت صراعاً دموياً بين الكاثوليك والبروتستانت، أريقت فيه دماء الآلاف من البشر. اختفى الهدوء والسلام من بقاع الغرب الأوروبي طوال فترات طويلة من الزمان، إلا من بعض الهدوء والسلام المؤقت غير ثابت الأركان، وأصبح الغرب الأوربي عالم لا سلام فيه، مع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انتشار المذابح والقتل والإعدام، وإبادة العديد من بني البشر، وانتشار السلب والنهب والتشريد، وموت وهلاك وإبادة الكثيرين، وإحراق الناس المخالفين للعقيدة أحياء وقطع الرؤوس، وانتشار المكائد والمؤامرات، والخيانة والخديعة، واختفاء الحريات وحرق الكُتب والمكتبات، والكنوز الفنية والأدبية الثمينة أدت إلى محاكمة وإحراق علماء الدين، وأرباب الفكر والعلم، وتكميم الأفواه، والرقابة على الصحف والمطبوعات وانتشرت الممارسات الهمجية، والبربرية والوحشية، وصعد المتعصبون للحكم. ليت الأمر توقفت أثاره المدمرة على بلاد القارة الأوربية ولكنه امتد إلى قارات أخرى، فمع الاتشاح برداء الدين خرج الأوربيون إلى ما وراء البحار، وأبادوا باسم الدين ملايين البشر في القارة الأمريكية والأفريقية والآسيوية، ومارسوا تجارة النخاسة بوحشية، ونهبوا ثروات تلك القارات(١).

ونحن هنا نرغب في دِراسة الحروب الأوربية من الداخل حيث أن هذه الحروب لم يكن المسلمون طرفاً فيها إلا إذا قلنا أنه بعد الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس ورؤية رجال الدين المسلمين وهم يسيرون في غبراء الناس فهم لا يملكون منح الغفران لأحد أو منع البركة الإلهية عن أحد؛ فقط كانوا يرددون كلام ربهم..... إذا سألك عبادي عني فإني قريب..... ما أنا إلا بشرُ مثلكم... هذه الأفكار جعلت المواطن الذي يعيش في ظل كنيسة لا يستطيع أن يخطب فتاة للزواج بها إلا بموافقة الكنيسة!... وإذا وافقت وتبين للفتاة أو للشاب عدم إكمال هذا الزواج فلا يستطيع أي منهما الفكاك من تلك الخِطبة إلا بالعودة إلى الكنيسة! حتى الاختراعات والبحث العلمي والسماح بنشر أي كتاب كان لابُد أن يمر من خلال فلتر الكنيسة فما رأته صالح سُمح بنشره وما ارتأته غير ذلك فلن يتم تداوله بين الناس، وقد يتعرض الكاتب أو الباحث للموت دون سقوط دماء وهو ما يعني في عُرف الكنيسة القتل

---

(١) زينب عصمت راشد، "المختصر في تاريخ أوربا الحديث"، ص١٤٤-١٥٥ عبد العزيز نوار، وعبد الحميد البطريق: تاريخ أوربا الحديث، ص١٦٠، ١٨١، السعيد رزق حجاج: التاريخ الأوربي الحديث، ص٣١-١٨٠، مايكل أنجلو ياكوبتشي: أعداء الحوار، ص١٣، ١٦٢، هـ.ج. ويلز: "موجز تاريخ العالم"، طبعة بيروت، ص٢٥٨-٢٦١.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حرقاً؛ ناهيك عن الضرائب التي تذهب إلى رجال الكنيسة وحالة الرضا والوئام بين ملوك أوربا وباباوات الكنيسة.

هذه الأفكار أدت إلى تململ الفلاح والصانع، وهذه الحالة تسللت شيئاً فشيئاً إلى بعض رجال الدين الذين مازال فيهم بقية من تعاليم عيسى المسيح عليه السلام.

بدأت حركة الإصلاح داخل الكنيسة الكاثوليكية نفسها، ففي ٣١ أكتوبر ١٥١٧م، قام أستاذ اللاهوت الراهب مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦م) بالإعلان عن مبادئه التي هاجم بها صكوك الغفران، وفضح فيها مفاسد الكنيسة؛ وأعلن أن الإنسان يمكن أن ينال الخلاص من خلال الإيمان بالمسيح. وهو اعتقاد يُناقض تعاليم الكنيسة بشأن الفضل الإلهي، والعمل الصالح طريقًا للنجاة والخلاص، ونتيجة لذلك أعلن البابا ليو العاشر، طرد لوثر وعدَّه مارقاً؛ وتبعاً لذلك أمر الإمبراطور شارل الخامس وأعضاء مجلسه لوثر بالرجوع عن آرائه، فأجاب لوثر في خطاب شهير قائلا: "إذا لم تقنعوني بالنصوص المقدسة أو العقل والمنطق الواضح، فأنا ملتزم بالنصوص المقدسة التي ذكرتها سابقاً وبما يُمليه عليّ ضميري الذي هو أسير لكلمة الله لأني لا أثق في البابا أو المجالس وحدها، فهؤلاء غالبًا ما يخطئون ويناقضون أنفسهم[١]. توالت محاولات الإصلاح للكنيسة من الداخل ولكن المستفيدين والمتكسبين من الفساد كانوا يقفون بالمرصاد رافضين عودة الدين للسبب الذي أُنزل من أجله وهو اصلاح شئون الناس والحكم بالعدل في حالة تصاعد الخلاف إلى مستوى الكنيسة، إلى مستوى علماء الدين.

نحن هنا سنرصد فترة عُرفت في التاريخ الأوربي بصراعات الثلاثين عاماً التي امتدت في الفترة من ١٦١٨م وحتى ١٨٤٨م، فقد كان الشقاق بين الشعب الأوربي الذي يدين أغلبه بالدين المسيحي ومعه قلة من علماء الدين من أمثال مارتن لوثر من جهة ومن جهة أخرى ظلت أغلب الرؤوس الكنسية على ما كانوا عليه كانت الهوة تتسع يوماً بعد يوم مما يُنذر باندلاع صراع حتمي بين المعسكرين. كان

(١) يوسف الحسن "البعد الديني في السياسة الامريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني"، ط٤، لبنان:مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠١م، ص ص٦٤، ٦٥.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المعسكر التقليدي يُعرف بالكاثوليك وهم أهل الدين التقليديين والمعسكر الإصلاحي يُقال له معسكر الإصلاحيين أو البروتوستانت بقيادة لوثر كينج ومن على شاكلته. وبعد صراعات جانبية كانت الإمبراطورية الألمانية صاحبة الجزء الأكبر في هذا الصراع جاء الإمبراطور فريدينالد وواجه تلك المشكلات على أساس الأمر الواقع، وعلى أساس الشجاعة الأدبية، سلم بالانقسام الديني كحقيقة لا سبيل إلى إنكارها أو تجاهلها، كما أنه كان في حاجة إلى معاونة الشعب كله من كاثوليك وبروتستانت للتغلب على هجمات العثمانيين، وارتقاء عرش الإمبراطور دون مقاومة، وعلى هذا الأساس وضع تسوية نهائية في أوجزبرج سنة ١٥٥٥م وهذه التسوية سُميت بصلح أوجزبرج أو صوت العقل. وأهم بنود هذه التسوية:

أ) قرر صلح أوجزبرج الحرية الدينية للإمارات اللوثرية أو التي تدين بالمذهب البروتستانتي، فقد تعهد الإمبراطور والمنتخبون (الحكام) والأمراء بأن يتركوا الولايات البروتستانتية تؤدي شعائرها الدينية بكل حرية، وبأن لا يتعرضوا لهم بأي أذى. في الحقيقة أن هذا المبدأ لم يكن جديداً؛ وذلك لأن مجلس سبير سنة ١٥٣٦م قد نص على إعطاء الحرية الدينية لكل أمير في أن يختار المذهب الذي يروق له في إمارته، ويرى بعض المؤرخين أن هذا المبدأ كان من أخطر سلبيات صلح أوجزبرج؛ أنه أعطى للأمراء حرية التصرف في أخطر المسائل شأناً وقتئذ، وهي المسألة الدينية، ونتج عن ذلك ازدياد نفوذ الأمراء على حساب الإمبراطور والكنيسة الكاثوليكية، إذ أصبح لهم حق تقرير المصير الديني في ولاياتهم، وحرم منها الأفراد وجمهور الناس.

ب)على الرعايا الذين يريدون البقاء حيث هم أن يدينوا بالمذهب الذي اختاره الحاكم في ولايته، وإلا فلهم الحق في مغادرة الولاية التي يعيشون فيها، ولكل شخص منهم الحق في أن يأخذ معه أمواله وممتلكاته، دون التعرض له بأي أذى، ويرى بعض المؤرخين أن الصُلح بهذا الشكل قد اعترف ببعض الحرية للفرد عندما نص على عملية تسهيل انتقال الفرد من ولاية إلى أخرى دون مشاكل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رأى بعض المحللون أن هذا الصلح كان إجحافا بحرية الفرد رغم إعطائه حرية الانتقال؛ وذلك لأن مبدأ الحرية الدينية كان مقتصراً على الحكام، ولم تمتد هذه الحرية لتشمل الأفراد، الذين كان عليهم الهجرة إذا اختلف مذهبهم مع مذهب الولاية، أي أن المواطن البسيط أمامه أحد خيارين إما أن يدين بمذهب الأمير أو يُهاجر من هذه البلاد.

حرب الثلاثين عاماً (١٦١٨-١٦٤٨)

كما رأينا أن هذه التسوية بين الفريقين المتصارعين كانت غير عادلة فهي رغم إقرارها بأن كل فرد من أفراد الولايات الألمانية حُر في اختيار المذهب الديني إلا أنه لكي يُمارس شعائره فعليه أن يُهاجر من الولاية التي يحكمها أمير يُخالفه في المذهب. من هنا نجد أن هذه التسوية لا تُرضي كل الأطراف. فلقد فشل الإمبراطور في فرض الكاثوليكية في ألمانيا، وترك الحرية للحكام في اختيار المذهب، ولم ينصف الصلح البروتوستانت رغم كثرتهم في ألمانيا(١).

في هذا الوقت قامت الثورة الكاثوليكية الإصلاحية المضادة، الأمر الذي بعث الأمل في احتمال القضاء على البروتستانت، وعودة ألمانيا إلى كنف الكنيسة الرومانية، وقد كان صلح أوجزبرج فرصة لالتقاط الأنفاس لمدة ٦٣ سنة، وتفجرت بعده المشاكل سنة ١٦١٨م في حروب الثلاثين عاماً التي انتهت بصلح وستفاليا.

وقد كان الأمراء الكاثوليك في ألمانيا يكرهون البروتستانت، لكنهم كانوا يكرهون وجود إمبراطور قوي كذلك، وهذا جعل مواقف الأمراء الكاثوليك يتغير خلال حرب الثلاثين عاماً، وفي سنة ١٦٠٨م تكوّن الاتحاد البروتستانتي من الأمراء البروتستانت في الشمال والجنوب، وفي مقابل ذلك تكوّن الحلف الكاثوليكي سنة ١٦٠٩م، فتهيأ بذلك الجو لاندلاع حرب دينية في ألمانيا، وبدأت حرب الثلاثين عاماً، وكانت بوهيميا أول مسرح دارت عليه تلك الحروب.

---

(١) زينب عصمت راشد: "تاريخ أوربا الحديث"، ج١، بيروت-٢٠١٣م ص ٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا ويُمكن تقسيم هذا الصراع الدموي إلى أربعة مراحل هي [1]:

أ) الحرب البوهيمية ١٦١٨-١٦٢٥م

ب) الحرب الدنمركية ١٦٢٥-١٦٢٩م.

ت) الحرب السويدية ١٦٣٠-١٦٣٥م.

ث) الحرب السويدية الفرنسية ١٦٣٥-١٦٤٨م.

مرحلة الحرب البوهيمية ١٦١٨-١٦٢٥م:

انطلقت الشرارة الأولى في بوهيميا وهي أحد معاقل البروتستانت، ففي سنة ١٦١٨م انتخب فرديناند أمير النمسا من أسرة هبسبرج إمبراطوراً باسم فردنياند الثاني، وكان في الوقت نفسه ملكاً على البوهيميين، وكان فردنياند الثاني من غلاة الكاثوليك، وعندما أمر بهدم بعض الكنائس البروتستانتية، تظلم الناس وثار الشعب البروتستانتي في ولاية براج، وألقى الناس ثلاثة من رجال الحكومة كانوا مبعوثين من قبل الإمبراطور من نافذة البلدية، وكانت هذه الحادثة فاتحة الحرب الطاحنة، حيث تحركت قوات فردنياند لقمع الثورة. في نفس الوقت اتجه البروتستانت إلى فريدريك حاكم ولاية البلاتين، وهو اصلاحي (كالفيني) فلبى دعوتهم وتزعّم حركتهم، وقبل التاج البوهيمي، ولُقّب فريدريك الخامس، واستقدم قوات من الاتحاد البروتستانتي لتحارب مع القوات البوهيمية.

فمن جهة أخرى؛ الإمبراطور فرديناند فقد تلقى عوناً مالياً من البابا، واستقدم قوات إسبانيه من ميلان، وقوات كاثوليكية من بافاريا، ثم اجتاح بوهيميا بجيش تعداده ٥٠ ألف مقاتل، وانتصر جيش فرديناند في موقعة الجبل الأبيض بالقرب من براج، وهرب فريدريك تاركاً قواته لأسوأ مصير، وأُطلق على فريدريك "ملك الشتاء" لأنه لم يتمتع بتاج بوهيميا إلاّ فترة الشتاء. استخدم فرديناند البطش ونفي عدد كبير من أمراء البروتستانت، وحاول إرغام الناس على اعتناق الكاثوليكية، فهاجرت آلاف

(1) Murdoch, S.; Zickermann, K.; Marks, A. (2012). "The Battle of Wittstock 1636: Conflicting Reports on a Swedish Victory in Germany". Northern Studies. 43: 71–109

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأُسر البروتستانتية، وتدفق اليسوعيون على البلاد، وأنشئوا إرساليات ومدارس، وأُخمدت أنفاس البروتستانت في النمسا عندما ثار أهلها انتصاراً لبوهيما، وأدت النكسة إلى انحلال الاتحاد البروتستانتي سنة ١٦٢١م، وانتقال زعامة البروتستانت إلى يد ملك الدنمرك، وانتهى الدور الأول من حرب الثلاثين سنة. وكانت الجولة الثانية.....

مرحلة الحرب الدنمركية ١٦٢٥-١٦٢٩م[١]:

كانت الدنمرك وألمانيا تُتابعان سير الحرب البوهيمية بكل قلق واهتمام، وكان لكرستيان الرابع – ملك الدنمرك ودوق إمارة هولشتين التابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة – هنا نجد أن الحرب على وشك الانفجار لأهداف سياسية ولأهداف مذهبية بين أبناء الدين الواحد، فقد كان دوق إمارة هولشتين يريد الاستيلاء على بعض الأبرشيات الألمانية ليجعلها مملكة باسم ولده. ودخل كرستيان الرابع الحرب اعتماداً على تحالفه مع إنجلترا وأمراء شمال ألمانيا، وعلى ما بذله له الوزير ريشليو من وعود بالمساعدة، وهكذا بدأ الدور الثاني من حرب الثلاثين عاماً، وعين الإمبراطور على رأس جيشه أعظم قواد ألمانيا آنذاك والنشتين واضطر لجمع المرتزقة لكسب المعركة. ولقد كان له ما أراد فقد انتصر والنشتين على كرستيان الرابع، واحتل معظم أراضي الدنمرك، وأراد التوسع نحو الساحل ليستغل الموانئ بفرض الضرائب لإعالة المرتزقة، وقد رفضت مدينة سترالسند الإذعان واستبسلت في المقاومة، فحاصرها خمسة أشهر سنة ١٦٢٨م، وساعدها في الاستبسال أن المساعدات كانت تصلها من البحر عن طريق الأسطولين الدنمركي والسويدي، فاضُطر لرفع الحصار الذي كان برياً فقط؛ واقتنع الإمبراطور، وكرستيان ملك الدنمرك أنه لا بد من الصلح لأن الأخير يئس من المساعدة التي وعده بها شارل الأول ملك بريطانيا، أما الإمبراطور فخشي تدخل ملك السويد في الحرب لصالح البروتستانت، فعقد الطرفان صلح لويك

---

(١)موريس كروزيه، " تاريخ الحضارات العام ، ترجمة عويدات،ج١، (بيروت، دار الكتاب العربي)، ١٩٦٤م، ص ١٥٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سنة ١٦٢٩م على أن يتنازل كرستيان عن كل ما يدعيه في الأسقفيات الألمانية على شرط أن يسترد أملاكه الوراثية وهي هولشتاين وشلزويج وجتلند.

المرحلة السويدية ١٦٣٠-١٦٣٥م:

كان جوستاف أدولف ملك السويد من أمراء أوربا المشهود لهم بالكفاءة في القرن السابع عشر، وجهّز جيشاً قوياً، وقام بمغامرته الحربية ضد الإمبراطور للأسباب التالية[١]:

١) غيرته على طائفة البروتستانت الذين كانوا يعيشون في مأساة كبرى عقب هزيمتهم في ألمانيا.

٢) كان جوستاف أدولف يهدف إلى حماية بحر البلطيق والسيطرة عليه، حيث كانت الممتلكات السويدية تمتد على ساحله الشرقي، وكان جوستاف أدولف يعتقد أن انتصار الإمبراطور في ألمانيا قد يدفعه إلى القيام بمغامرة حربية ضد دولة السويد البروتستانتية في شمال ألمانيا.

ودارت عدة معارك على أرض ألمانيا، وانهزم فيها الجيش الإمبراطوري بقيادة والنشتين سنة ١٦٣٢م، وفي نفس الوقت قُتل ملك السويد، وحاول والنشتين التوصل إلى اتفاق سري مع السويد فغضب منه الإمبراطور وأرسل من قتل والنشتين. وعيّن الإمبراطور ابنه فرديناند (الذي كان ملكاً على المجر) قائداً للجيش وقاتل السويديين وهزمهم في مدينة نوردلنجن: ونتج عن الهزيمة خروج سكسونيا من الحرب، وعقدت صلحاً منفرداً مع الإمبراطور في مايو سنة ١٦٣٥، وحذت حذوها الولايات البروتستانتية الألمانية الأخرى، وسحبت تأييدها من التدخل السويدي، ومقابل ذلك ألغى الإمبراطور معظم بنود مرسوم الإعادة، لتهدئة روع البروتستانت وتأمينهم على حياتهم الاقتصادية، وهكذا تخلى الألمان البروتستانت عن مساعدة من جاء

(١) المرجع السابق كروزيه موريس....الخ، ص ١٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لمساعدتهم؛ وهنا قررت فرنسا تلبية طلب الوصي على عرش السويد بالتدخل وأصبح دور فرنسا في حرب الثلاثين سنة إيجابياً بعد أن ظل سلبياً عدة سنوات.

المرحلة الفرنسية السويدية ١٦٣٥-١٦٤٨م:

قرر ريشليو إرسال جيش لمحاربة آل هبسبرج، وهكذا دخلت الحرب طورها الأخير والحاسم، وتوحد البروتستانت والكاثوليك ضد الإمبراطورية الرومانية، وحاربت كل من السويد وفرنسا على الأرض الألمانية، وكان ريشيلو يهدف إلى إضعاف سيطرة إسبانيا على الأراضي المنخفضة لأن وجود إسبانيا هناك يعتبر تهديداً دائماً للعاصمة الفرنسية؛ وفي سنة ١٦٣٥م قرر ريشيليو مشاركة السويد في الحرب، وكذلك دعم الثوار الهولنديين الذين جددوا حرب الاستقلال، بعد انتهاء هدنة الاثنا عشر عاماً سنة ١٦٢١م، وقد أصبحت الحرب في هذه المرحلة صراع على السيادة بين آل البوربون وآل هبسبرج بفرعيهم الألماني والأسباني؛ وتوالت الهزائم على الجيش الألماني، وفي هذه الأثناء مات الإمبراطور سنة ١٦٣٧م وخلفه ابنه فرديناند الثالث (سنة ١٦٣٧م – سنة ١٦٥٧م).

ونحن نتصفح هذه الصفحات السوداء من تاريخ القارة الأوربية نجد أن هذه حرب كانت من أطول الحروب عمراً في القارة الأوربية ولم تنتهي إلى شيء فولايات قد أُحتلت وولايات تحررت وبقي الصراع في النفوس بعد سنوات من الإرهاق وإزهاق الأرواح في المعارك. فماذا يستفيد عموم البشر من قتل ظالم لظالم وقتل طاغوت لطاغوت في النهاية يجد عموم الناس أنفسهم واقعين تحت سيطرة سلطان غشوم يبدأ صغيراً ثم يُصبح فرعون جديد. ولقد كان سبب الصراع واضح وهو الصراع الديني المذهبي. من هنا يجب أن نُشير إلى حقيقة أن الصراع في أوربا لم يكن بهدف نشر العدل والسلام في ربوع القارة الأوربية ولكنه كان صراع على حطام الدنيا بل وعلى حطام الفكر الغربي المسيحي الذي هو في حقيقته بعيداً كل البُعد على الأقل في الجوانب التطبيقية عن روح الوحي أو الكتاب الذي أنزله الله على نبيه عيسى بن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مريم عليه السلام، فلولايات التي أُحتلت من هذا الجيش وتحررت من هذا لا نجد في المصادر التاريخية أي نشر للأمن أو التقدم الحضاري فيها[١].

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م-١٩٤٥م)

نحن هنا آثرنا الدخول في أحداث الحرب العالمية الثانية مباشرة حيث اعتبرنا أن الحرب العالمية الثانية هي امتداد للحرب العالمية الأولى والتي كانت بين دول أوربية وأخرى أوربية ولم يكن لدول الشرق الأوسط أو الدول المسلمة يد فيها وإن لم يسلموا من نتائجها المدمرة المخربة. هذه الحرب كانت الحرب الأضخم والأكثر تدميراً عبر التاريخ البشري بل إن الحرب العالمية الثانية كانت هي أكثر الحروب انتشاراً من حيث عدد الجيوش المحاربة وعدد المدن المدمرة والأنفس التي زهقت وكأن القارة الأوربية على اتساع مساحتها وعدد ملوكها ورؤسائها لم تكن كافية لاحتواء هذه الحرب الضروس فامتدت لتشمل بقية قارات العالم من أسيا شرق مروراً بأفريقيا وحتى الأميركتين في أقصى غرب الكرة الأرضية. هذه الحرب أودت بحياة أكثر من ١٧ مليون جُندي، وهذا العدد الضخم من القتلى لهو نافذه ليتخيل الفرد العادي حجم الدمار الذي لحق بالبلاد التي امتدت إليها هذه الحرب وحجم التدمير الاقتصادي بل وحجم الذين خرجوا من هذه الحرب وهم مشوهين معاقين (٢٥% من سكان فرنسا أُصيبوا في هذه الحرب) [٢].

فبعد أن انتهت الحرب العالمية الأولى، أنشأت البلدان المنتصرة في هذه الحرب ما أُطلق عليه "عُصبةَ الأمم"، والتي تهدف إلى حماية السلام العالمي على حد زعمهم، كان الهدف المُعلن من إنشاء عُصبة الأمم هو منع الصراعات المسلحة بين الدول. في ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة الأمريكية بعيدة عن هذا الصراع فلم تُشارك في إنشاء عصبة الأمم. كما هو معلوم من تجارب التاريخ أن المنتصر يفرض شروطه ومن ثم فإن المهزوم يظل في حالة من الغليان التي لا تنتهي إلا بحرب

(1) Wallenstein Palace Gardens". prague-guide.co.uk. Archived from the original on 5 April 2008. Retrieved24 May 2008,p420.

(٢) عفت الشرقاوي، " في فلسفة الحضارة الإسلامية"، ط٤ ، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م، ص٢٠٦.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أخرى يأخذ فيها ما يراه حقاً من حقوقه – كانت الحروب الاسلامية استثناء من هذه القاعدة فلم يكن فيه مهزوم– وكأول تجربة لهذه المنظمة الدولية أو عُصبة الأمم في سنة ١٩٣١م قام اليابانيون بعمليات عسكرية غير شرعية ضد دول مجاورة وبالتحديد في منطقة منكوريا (Manchuria) فقامت عُصبة الأمم سنة ١٩٣٣م بمناداة اليابان بالانسحاب لكن اليابان لم تستجب للانسحاب بل قررت الانسحاب من منظمة عُصبة الأمم وأعلنت منطقة منكوريا ولاية تابعة لها، وخوفاً من تفسخ وتحلل هذا الكيان الوليد الذي هو عُصبة الأمم لم تتخذ عُصبة الأمم أي قرار ضد اليابان وسكتت عن ضم منطقة منكوريا.....!!، في هذه الأثناء نجح أدولف هتلر في انتخابات ألمانيا سنة ١٩٣٣م وأصبح مستشار لألمانيا. وللنظرة الحيادية هتلر كان يُحب بلاده فقد نادى بضرورة إعادة تسليح ألمانيا وضرورة أن يعود لألمانيا عزها ومجدها القديم في دعوة عُنصرية تميز الجنس الألماني عن غيره من شعوب الأرض. دعوة هتلر لتسليح ألمانيا ضد شروط إنهاء الحرب العالمية الأولى لذلك فمن الطبيعي أن تُلاقي هذه الدعوة عداوة من الدول المنتصرة في الحرب الأولى التي هي في الواقع تُشكل عُصبة الأمم.

في نفس الوقت قام الديكتاتور الإيطالي " بينتو موسيليني " بتطبيق فكرته القديمة، وحلم إيطاليا منذ زمن بعيد بغزو أثيوبيا! التي كانوا يُطلقون عليها "المستعمرة الاقتصادية". عُصبة الأمم بدورها قامت بالتصويت ضد غزو إيطاليا لأثيوبيا. وعبثاً حاولت كل من فرنسا وبريطانيا في محاولة جعل ايطاليا تتراجع عن قرار الغزو، وفي سنة ١٩٣٦م، أصبحت أثيوبيا مستعمرة إيطالية بشكل تام. في تلك الأوقات كان تسليح الجيش الألماني يزداد قوة يوماً بعد يوم من حيث العدد والتسليح، وسعت فرنسا لعقد حلف مع الاتحاد السوفيتي لتحجيم الخطر الألماني في نفس الوقت تحالفت فرنسا مع انجلترا لنفس الهدف، لكن كانت تكاليف الحرب مع ألمانيا من جديد غير محدودة مما جعل هذه الدول تؤثر حالة السلام في أوربا. كان الزعيم النازي أودلف هتلر يرى ذلك ويرقبه من بعيد فشجعة حالة حرص الدول الأخرى على حالة السِلمْ فاحتل النمسا في مارس ١٩٣٨م، وهدد تشيكوسلوفاكيا وأصبحت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحرب بين الجيوش الألمانية وتشيكوسلوفاكيا قاب قوسين أو أدنى. هنا قامت فرنسا وبريطانيا بعقد مؤتمر مع هتلر وموسيليني في مدينة ميونخ. في هذا المؤتمر وافق المجتمعون على السماح لألمانيا باحتلال اقليم سيودنتلاند (Sudetenland) وهو جزء من دولة تشيكوسلوفاكيا، لكن لم يكن لشخصية مثل هتلر أن يرضى بهذا الجزء الممنوح ففي مارس من سنة ١٩٣٩م، احتلت الجيوش الألمانية كل تشيكوسلوفاكيا ومن تشيكوسلوفاكيا إلى بولندا ورغم مقاومة البولنديين إلا أن الجيوش الألمانية نجحت في احتلال كافة الأراضي البولندية. في نفس الوقت نجح هتلر في عقد ما يُشبه اتفاقية سلام مع الاتحاد السوفيتي عدوه القديم، لكن فرنسا وانجلترا أعلنت وقوفها بجوار بولندا في حربها ضد ألمانيا سنة ١٩٣٩م، وأعلنتا الحرب على ألمانيا.

لم يكن السلام المؤقت بين روسيا وألمانيا يهدف إلى مهادنة ألمانيا بقدر ما كان الروس يريدون التفرغ هم الأخرين لأطماعهم القديمة فقد تحركوا لاحتلال الجزء الشرقي من أوروبا فقد احتلوا ولاتفيا، واستونيا، وليثونيا، كما امتدت أطماعهم إلى فنلندا، ورغم المقاومة العنيفة التي واجه بها الفنلنديون الجيش الأحمر في حرب شتاء ١٩٣٩م إلا إن النصر كان لروسيا. لم تكن الإمبراطورية اليابانية للترك هذا العالم المتصارع وتقف مكتوفة اليد فقد تحركت الجيوش اليابانية لاحتلال أجزاء كبيرة من الصين وسعت حثيثاً لإسقاط الصين تماماً، وسعت اليابان لتوسيع إمبراطوريتها شمالاً في آسيا ونجحت في ضم مجموعة جزر غنية شمال غرب المحيط الهادئ. في خلال هذه الصراعات كان الزعيم الإيطالي يُخطط للانضمام إلى صديقه هتلر في تلك الحروب. فقد نجحت ألمانيا في احتلال بولندا في سنة ١٩٤٠م ولم تجد عناء في احتلال النرويج والدنمارك. كان الجيش الألماني أكثر الجيوش تنظيماً وتسليحاً ما جعله يُحقق هذه الانتصارات الأسطورية في زمن قياسي أفاقت توقعات هتلر نفسه[١]. وفي أقل من شهرين انسحبت القوات البريطانية من القارة الأوربية،

(1) Axelrod, Alan (2007) Encyclopedia of World War II, Volume 1. Infobase Publishing. Pp420.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستسلمت القوات الفرنسية، سرعة الأحداث، فاجأت هتلر نفسه كما قلنا، حتى أنه لم يكن مستعداً لكل هذه النجاحات في احتلال الجُزر البريطانية. كانت القوات البريطانية في هذه الوقت متمركزة في الجزيرة البريطانية ونجح الطيران الملكي البريطاني في إلحاق هزيمة بجيوش المانيا هذه الهزيمة البسيطة منعت المانيا من احتلال الجزيرة البريطانية. وفي هجمة خاطفة نجح هتلر في مخادعة الروس واستطاع اختراق دفاعات روسيا حتى وصل إلى أسوار موسكو في يونيه سنة ١٩٤٠م. تحرك في هذا الوقت موسيليني لتحقيق حلم الإمبراطورية الإيطالية فتحركت الجيوش الإيطالية ونجحت في احتلال ليبيا، بذلك امتدت الحرب إلى أفريقيا وآسيا.

ما فعله اليابانيون في شرق آسيا مهد لهم لكي يطمعوا في توسيع نفوذهم فضربوا ميناء بريل هاربر الميناء الأمريكي الشهير ما أجبر الولايات المتحدة الأمريكية في الدخول في الحرب. تحركت روسيا ضد ألمانيا وكما كان الانتصار الألماني سريعاً كانت الهزائم المتلاحقة سريعة أيضاً، أولاً من الروس، وحتى ايطاليا، وتراجعت الجيوش الالمانية حتى ظلوا يدافعوا حول برلين. أما عن اليابان فقد تضافرت عليها كل الجهود التي انتهت بضرب أكبر مدينتين في اليابان بقنبلتين ذريتين أدتا لتدمير المدينتين بالكامل وانتهت باستسلام اليابان وألمانيا وإنهاء هذه الحرب الطويل الضروس.

ملاحظات حول أحداث الحرب

نحن هنا لا يهمنا سرد الأحداث التاريخية بقدر ما يهمنا من تحليل الشخصية الغربية ورؤية هذه الصراعات الأوربية وما هي أخلاقيات الحرب هناك فنحن رأينا حروباً بلا أخلاق رأينا بأس المتحاربين بينهم شديد وإذا نزلوا بقرية فساء صباح هذه القرية فلن ينجوا من الموت لا حجر ولا شجر لا طفلٌ رضيع ولا امرأة عجوز، لن ينجو من الموت طائر ولا شجر، رأينا ذلك في فيتنام وفي اليابان سواء كانوا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منتصرين أو منهزمين في هورشيما ونجازاكي. الحرب هناك تهدف إلى التدمير والسيطرة على ثروات البلاد المهزومة ولا شيء غير ذلك.

وعندما ننظر إلى الحرب العالمية الثانية من وراء تلك السنون نرى مجموعة من خصائص لا يُمكن إهمالها فهذه الحرب امتدت من أوربا إلى بلاد العرب وإلى قارة أفريقيا وآسيا وأستراليا والولايات المتحدة الأمريكية، هذا الاتساع في الميادين أدى لزيادة حجم الخسائر البشرية والمادية عند مقارنتها بخسائر أي حرب سابقة أو حتى لاحقة إلى يومنا هذا. من خصائص هذه الحرب أنها استخدمت أسلحة حديثة لم تكن موجودة قبل ذلك وكانت هذه الأسلحة أكثر قدرةً على الدمار وأهما السلاح الذري الذي استخدمته الولايات المتحدة الأمريكية في اللحظات الحاسمة والذي أدى لإخضاع اليابان؛ كانت هذه الحرب مدمرة بشكل جنوني بسبب طبيعة الأسلحة الجديدة وأسلوب الحرب الذي اعتمدته ألمانيا، إذ اعتمدت على استهداف المُدن في قصفها لإلحاق أكبر عدد من الخسائر البشرية والمادية وإجبار الدول على الاستسلام؛ مما اضطر الدول الأخرى إلى الرد بنفس الخِطة والأسلوب. استمر الدمار لمدة تزيد عن ثماني سنوات؛ فبدأت الحرب في آسيا سنة ١٩٣٧م وانتهت في عام ١٩٤٥م؛[1] حيث شملت قارة أوروبا وشمال أفريقيا وباقي دول العالم. عدد القتلى في الحرب حوالي ٦١،٨٢٠،٣١٥ أي ما يقرب من الاثنين والستين مليون !!!! بين مدني وعسكري من مختلف الدول المتحاربة فكانت خسائر دول الاتحاد السوفيتي الأكثر من بين الدول المتحاربة حيث قدّرت خسائرها البشرية بحوالي ٢٧٠٠٠٠٠٠ قتيل بين مدني وعسكري، وتأتي في المرتبة الثانية بعدد القتلى دولة الصين حيث خسرت حوالي ١١،٣٢٤،٠٠٠ قتيل بين مدني وعسكري، أما ألمانيا والتي كانت هي بطلة الحرب في بداياتها والخاسرة في النهاية فقد خسرت ٧،٠٦٠،٠٠٠ قتيل، تأتي من بعدها بولندا حيث قدّر عدد قتلاها بحوالي ٦،٨٥٠،٠٠٠ قتيل، واليابان ٢،٠٠٠،٠٠٠ قتيل، يوغسلافيا كانت خسائرها البشرية

(1) James A. Tyner (March 3, 2009). War, Violence, and Population: Making the Body Count, The Guilford Press; 1 edition.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بحدود ١،٧٠٦،٠٠٠ قتيل، وتتوزع باقي الخسائر على ما مجموعه ٢٧ دولة شاركت بهذه الحرب، هذه هي الخسائر البشرية، أما الخسائر المادية فقد كانت أكبر؛ حيث دُمرت المصانع، وتوقف الإنتاج، وكثرت البطالة، وحدث كساد اقتصادي تأثرت به جميع دول أوروبا.

هذه هي الحرب العالمية الثانية لم يكن المسلمون طرفاً فيها وإن جرت في بعض بلادهم لكن لم يقل أحد من الباحثين أن هناك قوة اسلامية شاركت في هذه الحرب من قريب أو من بعيد. هذه هي الجيوش الأوربية رأينا عندما دخلت الجيوش الالمانية بولندا ماذا فعلت؟، وماذا فعلت جيوش اليابان عندما احتلت مناطق في شرق آسيا؟، وماذا فعلت اليابان في ميناء بريل هاربر؟، وماذا فعلت الولايات المتحدة الامريكية في اليابان؟ وفي فيتنام وفي غيرها. لم تنشر دولة منتصرة العلم هناك ولم تحكم بالعدل ولكنه كان صراعاً بين الظالمين بعضهم وبعض فقتل بعضهم بعضاً شر قِتلة دون مراقبة لحقوق انسان أو حتى رفقاً بالحيوان؟. حتى خرجت أوربا من هذا الصراع منهكة القوى لا تقدر حكوماتها حتى على الإنفاق على الشعوب وتوفير لهم المأكل والملبس والعلاج، ولكن العقل الأوربي ظل كما هو متأمر مُحب لذاته يختلفون حتى يصل الخلاف إلى حد القتال فيما بينهم لكنهم يتفقون في كراهية الإسلام والمسلمين والخوف الذي يصل لحد الرعب من هذا الفكر الإسلامي الذي يدعو لاحترام الأخر ورفع مستوى الأخلاق، هذا الاسلام الذي يتسلل في هدوء فينتشر بين أبنائهم ومواطنيهم فيدخلوه مقتنعين غير مكرهين.

ومن المضحكات المُبكيات أن نجد من مثقفي ومتعلمي بل وعلماء المسلمين مَنْ يتغنى بأخلاق الأوربيين وحفاظهم على حقوق الإنسان والحيوان هناك، يتغنى هذا المتُغني ناسياً ما يراه بعين رأسه من أفعالهم حتى في البلاد التي احتلوها ولم يكن يومئذ اسلام هناك يدافع أو يُعلن الجهاد ضد الغاصب المحتل. فأخلاقهم هذه لم تمنعهم من قتل الأسرى البولنديين وحرق الفلاحين في فيتنام وغيرها من مخازي التاريخ التي لا تزال مستمرة حتى يوم الناس هذا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

دعوة المفكرين الغربيين لنبذ أسباب الحروب والاتجاه إلى التوحد

تمهيد

كما رأينا هذا الصراع الدامي بين البلاد والممالك الأوربية فيما بينها فلم يكن ليدور بخلد أحد أن ينتهي هذا الصراع في أربعينات القرن الماضي لينتهي خلال سنوات قلائل بإعلان الوحدة الأوربية. هذا الكيان الأوربي الضخم الذي يضم ٢٥ دولة من الدول الأوربية نسيت الخلافات التي بينها وهذا التاريخ الدموي لتستبدل ذلك بالتعايش والالتئام فيما بينها؛ ولقد نجحت هذه التجربة في صناعة نموذج وحدوي بعد مراحل كثيرة تراكمت فيها الأحداث والتفاعلات السياسية والاجتماعية والثقافية. إذ كان من الصعب على أكثر المتفائلين أن يتصور أن التوقيع على اتفاق لتأسيس سوق اقتصادية تضم ست دول أوروبية فقط في عام ١٩٥٧م، أي بعد انتهاء الحرب العالمية بأقل من عقد من الزمان ومازالت الجروح تنزف لم يكن لأحد أن يتخيل أن مجرد اتفاق بين ست دول في موضوعات اقتصادية سينتهي بالتوقيع اتفاقية الاتحاد الأوربي، هذا الاتحاد الذي يُراعي الفروق القومية بين كل دولة وأخرى ولا يُحاول إلغاء هذه الخصوصيات بل يقوم بدمجها في ظل دستور واحد.

لم تكن المؤشرات الأولى أو السوابق التاريخية تؤكد على إمكانية قيام اتحاد أو حتى تعاون بين بلاد القارة الأوربية ولكنه حدث ومثّلَ نموذجاً مختلفاً وفريداً في تاريخ التجارب الوحدوية في العالم أجمع، في مقابل نماذج الفشل في العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى نماذج تكوين الإمبراطوريات على النسق القديم مثل اتحاد الجمهوريات السوفيتية الذي ظل قائماً لما يقرب من نصف قرن ثم تفسخت دوله إلى دويلات صغيرة، وغيره من النماذج الوحدوية. أضف إلى ذلك أن أحد مصادر تميز التجربة الأوروبية يتمثل في بناء صيغة للاختيار الحُر، تسمح لكل دولة بالاندماج في مشروع الوحدة الأوروبية، والمساهمة في بنائه بإرادتها الحُرة، أو التوقف عند مرحلة معينه من مسيرة تطور هذا البناء، أو حتى الخروج منه إذا أرادت. فنجد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المثال الواضح هنا مبدأ الاختيار الحُر وهو هنا يُمارس الحقيقة القائمة على الواقع فلا داعي لوجود دولة أو كيان داخل أي نظام وحدوي وهي تعلم أن هذا الكيان لا يُمثلها فالتخلص منها أو إبعادها إذا جاز التعبير أفضل من الوجود القسري داخل الكيان الوحدوي، فضلاً عن أن مبدأ الاختيار الحُر يسمح بمبدأ الشفافية ومبدأ المسائلة بالتأكيد قبل أن تأخذ دولة قرارها بالابتعاد.

هناك سمة أخرى من سمات الاتحاد الأوربي وهي عملية التطور البناء الهادف في التجربة الأوروبية، والتي تحولت فيها من سوق تجارية إلى مجموعة اقتصادية سياسية ثم إلى اتحاد. ونجحت في تقديم رؤى سياسية قادرة على التأثير في كل مرحلة، ودفعها إلى الأمام بصورة لم تكن نقطة البداية التي انطلقت منها تُبشر بالوصول إلى الخطوة التالية.

ونحن هنا سنحاول أن نعرف أو نُحلل بشيء من التفصيل الأسباب الداخلية التي أدت لنجاح نموذج الوحدة الأوربية. ذلك بصرف النظر عن الوزن الدولي للاتحاد الأوروبي، ومدي قدرته على منافسة الولايات المتحدة الأمريكية ككيان موازي. هذا وقد ارتينا تقسيم هذا المبحث إلى ثلاث نقاط النقطة الأولى تتكلم عن تجربة الوحدة الأوروبية، والنقطة الثانية تتكلم عن استراتيجيات صناعة الوحدة الأوروبية، أما النقطة الثالثة فتتكلم عن التحديات التي تواجهها تجربة الوحدة الأوروبية[1].

أولاً: هل أوروبا الموحدة؛ واقع صنيع اللحظة أم عملية تطورية؟

١) الخلفية الثقافية لتجربة الوحدة الأوروبية

عندما نتحدث عن البُعد الثقافي فإننا نعني الخلفية الفكرية التي يتحرك من خلالها الفكر الأوربي فمكونات الشخصية الأوربية التي ذكرنها في مبحث سابق تكاد تكون متوفرة في أغلب الشخصيات الأوربية. كما إن المجتمع الأوربي اشترك في نوع واحد من الظلم وهو ظُلم الكنيسة ورجالها في القرون الوسطى فمن هنا كانت هناك

(1) Wells, Anne Sharp (2014) Historical Dictionary of World War II: The War against Germany and Italy. Rowman & Littlefield Publishing. Pp160.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قاعدة فكرية وثقافية واحدة أدت لوجود العديد من القواسم المشتركة بين الأوربيين. كما إن العديد من قادة الفكر الأوربي ناضلوا كثيراً ضد هيمنة الكنيسة، وضد الأفكار الظلامية المعادية للعلم والتقدم والتي أنتجت الفكر العلماني الذي يفصل الدين عن الحُكم وبين الدين ومجريات الحياة؛ كما أن الثورات البرجوازية التي شهدتها أوروبا بصور مختلفة قبل وبعد الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م والتي كانت في مجملها تهدف لبناء نموذج ليبرالي عصري كانت من السمات العامة التي شهدتها معظم بلدان القارة الأوروبية منذ القرن السابع عشر وحتى القرن التاسع عشر. حيث رأينا كل الثورات الأوربية نابعة في الأساس من مبادئ الثورة الفرنسية حتى أنظمة الحُكم والممالك الأوربية غيرت وضعها لتتوافق مع موجة التحرر القادمة من فرنسا فأصبحت الملكية إما مَلكية برلمانية أو مَلكية دستورية وهذه المستجدات في مُجملها تحد من سلطات الملك فنرى الملك له بعض السلطات ويتقاسم الحكم مع آخرين هم في الواقع مُختارين من الشعب. ومن هنا، يمكن القول إن الغرب الأوروبي قد امتلك مكونات ثقافية مشتركة منذ ظهور المسيحية، ومروراً بهيمنة رجال الدين والملكيات المُطلقة في القرون الوسطي، وانتهاء بسيادة الثقافة الفردية والقيم الليبرالية في العصور الحديثة، والتي شكلت القاعدة الثقافية المشتركة في المجتمع الأوربي(١).

هذه المكونات والقاعدة المشتركة كانت نقطة الانطلاق الأولي نحو تاريخ التطور الحضاري والثقافي الأوروبي، وفي الحقيقة هذه التجارب اختلفت بين دولة وأخرى فالانتقال إلى العلمانية أو تقديس الحرية اختلفت وسائلة وأدواته في المجر أو الدنمارك عنه في فرنسا ولكن تظل هناك مشتركات كثيرة؛ هناك عامل أخر وهو التقارب بين اللغات الأوربية فكل اللغات الأوربية لها أصول مشتركة مثل اللاتينية، والجرمانية...الخ. هذا جعل الشعوب الأوربية تتقارب في أغلب الجوانب الفكرية. من خلال هذا المفهوم وبعد العصور الدامية التي مرت بها الشعوب الأوربية كانت فكرة الاتحاد الأوربي الذي يترك لكل بلد هويته وثقافته وطريقة حكمه ثم يكون هناك إطار عام للتوحد لا يتم فيه انكار هذه الخصوصيات وتكون كل دولة داعمة للأخرى بدلاً

(1) Michael Meyer , The Death (and) Birth of Europe , Newsweek ,23/12/2002 p140.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من أن تكون كل دولة منافسة ومتصارعة مع الاخرى؛ هذه المشتركات الثقافية تم حجبها عن المجتمع الأوربي بفعل حروب لم يكن هناك مبرراً لها غير تحقيق رغبات وطموحات الحكام والملوك. لذلك كان من أهم نتائج الحرب العالمية الثانية هي انهاك الشعوب الأوربية وجعل كل الأفراد يتسألون لماذا نحارب وما هي نتائج الصراعات؟ لتكون الإجابة لا شيء ثم يعرج الجميع للسؤال لماذا لا نتعاون.

من خلال هذا المنظور الثقافي يُمكن فهم حالة الانهيار السريع للقطيعة بين بلدان أوروبا الشرقية والغربية بعد سقوط حائط برلين لأن عدم وجود القطيعة (حالة الانفصال) معناه العودة إلى الوضع الطبيعي الذي كان سائداً بين الجانبين قبل تقسيمات الحرب العالمية الثانية، والتي تصور البعضُ أنه يُمكن فقط للحقل أو المناخ الأيديولوجي . المتمثل في الماركسية . أن يمنع تلك البلدان من تطورها الطبيعي والتاريخي، الذي لم يختلف كثيراً قبل الحرب العالمية الثانية عن باقي البلدان الغربية في أوروبا خاصة في جوانبه السياسية، حيث كانت الأحزاب الشيوعية في بلدان أوروبا الشرقية تحصل علي نسب قريبة من تلك التي يحصل عليها رفاقها في فرنسا وإسبانيا وغيرها من دول أوروبا الغربية قبل أن يفرض الجيش الأحمر وصول هذه الأحزاب إلى حُكم تلك البلاد.

بالفعل عادت دول أوربا الشرقية إلى الحاضنة الأوربية بعد انهيار حائط برلين لتعود برلين كما كانت برلين واحدة وتجر معها بقية الدول الأوربية إلى التوحد الطبيعي.

٢) طبيعة الوحدة الأوربية في مقابل النماذج العربية

نحن العرب والمسلمون نعتقد أن الوحدة تعني بلد واحد ودولة واحدة وجيش واحد إلى بقية هذه المفردات ولكن الفكر الأوربي كان مختلفاً كثيراً في هذه النقاط؛ فمن الصعب اعتبار تجربة الوحدة الأوروبية تجربة وحدوية بالمعنى الذي عرفناه في بلاد العرب، تماما مثلما يصعب وصفها بأنها نتاج للفكر القومي الأوروبي كما حدث

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أيضا في الحالة العربية؛ فقد انطلقت الوحدة الأوربية من الواقع العملي والمؤسسي الموجود والمُعاش في المجتمع الأوربي من أجل بناء هرم الوحدة الأوربي من القاعدة إلى القمة؛ لتكون المؤسسات هي الأم والوالد الطبيعي للمؤسسات الأوربية الوحدوية؛ كانت المؤسسات الأوربية رغم وجود الحدود الجغرافية إلا أنها تعمل من منطلقات فكرية واحدة.

من هذا المنظور ومن هذا المنظور تحديداً يُمكن فهم سبب النجاح هناك وسبب الفشل هنا سبب نجاح أوربا وفشل البلاد العربية في إيجاد نموذج وحدوي تحت أي راية من الرايات. فأوروبا لم تتعال عن تفاصيل الواقع المُعاش، ولم تتجاهل منذ البداية التباينات، بل وأحيانا التناقضات، الموجودة بين كل دولها تحت شعارات الأخوة الأوروبية أو المصير والتاريخ الأوروبي المشترك، إنما اعترفت بها واعتبرت التعامل الواقعي معها هو نقطة الانطلاق لتأسيس مشروع الوحدة الأوروبية، الذي لم يحكمه الشعار الأيديولوجي إنما الإنجاز الاقتصادي والاجتماعي والثقافي الذي حكمه إطار وتصور سياسي واسع، وليس نصاً أيديولوجيا مغلقاً. أي أن الجانب الاقتصادي العملي هو الذي كان يغلب على دعوات الوحدة الأوربية وليست شعارات القومية العربية الفارغة من أي مضمون عملي حقيقي؛ ونحن نعلم مدى أهمية العامل الاقتصادي كدليل كبير إن لم يكن هو الدليل الوحيد على نجاح أي نظام للحكم منذ القدم وحتى يومنا هذا.

لم يُنكر المؤسسون لهذا الكيان الأوربي الضخم منذ البداية وجود هذه الاختلافات أو حتى التناقضات بين الثقافات الأوربية ولكن تعاملوا معها كأمر واقع موجود؛ والمهارة يجب أن تنصب في التعامل معه، وليس لإبراز هذه الخلافات حتى تُخفي خلفها كل نقاط التوافق؛ ولعل هذا ما جعل مشروع الوحدة الأوروبية منذ انطلاقه في عام ١٩٥٧م، وهو وحتى هذه اللحظة يُحاول صياغة واقع أوروبي جديد ومن ثم فنحن نراه يتجه نحو الصعود والتطور بشكل متدرج وبناء معايير أوروبية شبه موحدة تُحاول كل دولة أوربية أن تُكيِّف نُظمُّها الاجتماعية والاقتصادية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسياسية وفقاً لهذا المشترك الرحب المتسع[١]. تميزت تلك المعايير بأنها تدخل مباشرة في نسيج المجتمع، وتعمل على ضبط أداء مؤسساته وفق معايير تفصيلية شارك في صياغتها خبراء ومتخصصون من الدول الأوروبية، فهناك معايير سياسية تخص قضايا الديمقراطية وحقوق الإنسان، وأخرى اقتصادية لا تتعلق فقط بمستوى معين من النمو الاقتصادي، وإنما أيضا بقوانين تخص الإعفاءات الجمركية بين الدول الأعضاء والسوق المشتركة، وبقوانين تنظيم تصدير الحاصلات الزراعية بين الدول الأعضاء وعملية صيد الأسماك، وأخيراً قوانين تُنظم حرية المعلومات والإعلام والأنشطة الثقافية والتعليم. هذا النجاح في البداية شجع على نجاحات أخرى لاحقة. من هنا أصبحت مسألة الوحدة مسألة مجتمعية وليست مسألة نخبوية؛ أي أن مسألة الوحدة تُخاطب الشعوب ومصالح الشعوب فشعر بها المجتمع وأقبل عليها وتعامل معها. أي أن الإطار العام للاتحاد الأوربي أصبح مطلب شعبي وليس مطلب نخبوي أو اغاني تُمجد فترات سابقة أو بطولات لا يرى الناس لها أثر في واقع الحياة.

رغماً عنّا ننظر هناك ثم نعود للنظر هنا ونسأل السؤال المعهود لماذا فشلنا؟ فقد بدأت تجارب الوحدة العربية، والخطاب القومي العربي أيضاً، وكأنه قضية نخبوية تُعالج القضايا الكُبرى للأمة العربية كالنهضة وتحرير فلسطين وبناء دولة الوحدة؛ هذه الشعارات الجميلة بعيدة كل البُعد عن مصالح ومشاكل الناس اليومية، فهذه القضايا تهم فئة قليلة من كل المجتمع العربي. وذرونا نزعم أن فشل تجربة الوحدة المصرية السورية يعكس هذه الأزمة بوضوح، فرغم اكتمال كثير من المعايير السياسية لهذه التجربة، ومن بينها الشعبية الهائلة للراحل عبد الناصر في مصر وسوريا ووجود مخاطر حقيقية تحيط بالبلدين، أهمها الخطر الصهيوني المُعلن بأرض الميعاد من النيل إلى الفرات؛ إلا أن الذين صاغوا هذه الوحدة تجاهلوا عن عمداً أو عن جهل الواقع الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي الذي يعيشه الشعبان، والتعامل معهما كأنهما شعب واحد وكيان واحد في أمة عربية واحدة جزأها

(١) محمد مصطفى كمال، ومحمد نهرا، "صُنع القرار في الاتحاد الأوربي والعلاقات العربية الأوربية"، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤م ص٦٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستعمار، هذا الأمر أدى لاختزال مشروع الوحدة في جوانبه النخبوية وظل يُخاطب مجموعة من الجالسين في قمة الهرم الاجتماعي ولم يرى رجل الشارع البسيط من تأثير هذه الوحدة على حياته شيء.

لقد اعترف المؤسسون هناك بالاختلافات بين الدول الأعضاء كحقيقة واقعة ولم يُنكروها بالضبط كضرورة الاعتراف بين الزوجين الذكر والأنثى أما إذا انكرنا هذا الاختلاف فلن نستطيع أن نوجد أبسط أنواع التعاون بين النوعين فضلاً عن التعاون بين هذه الأنظمة العربية المُحتَضَرة التي توشك أن تموت وتُصبح أثر بعد عين. هذه المفاهيم هي التي أجهضت المشاريع القومية العربية المتتالية، وأدت بها إلى الانتكاس والتراجع، لأنها اختزلت نفسها في الأدبيات الأيديولوجية دون أن تُحاول الاقتراب من الواقع، لتعرف أن العالم العربي به تباينات كثيرة على المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وأن الاعتراف بهذه التباينات يفتح الباب أمام اكتشاف الوسائل المناسبة لتقليصها.

في الحالة الأوروبية كان الوضع مختلف تماماً فكما يرى جين مونت (Jean Monnet)، فقد تم صناعة الوحدة من خلال صناعة الوعي بها مع البدايات المُبكرة للحديث عن الوحدة الأوروبية والوعي الأوروبي. ووفق تعبير مونت فإن أوروبا لم توجد أبداً، فليس انضمام دول كاملة السيادة للاجتماع في داخل هيئة هو الذي يصنع هويتها. فالهوية الفردية لكل بلد أوربي محفوظة[١]. وهذا ربما ما حدث مع تجربة الوحدة الأوروبية التي صنعها الساسة والاقتصاديون الأوربيون، وعرفت تحولات متعددة منذ انطلاق قطار الوحدة الأوروبية في سنة ١٩٥٧م وأدت في النهاية إلى وجود كيان ما يُسمي بالاتحاد الأوروبي الذي وضع معاييره الثقافية والاجتماعية والاقتصادية الخاصة به، ويسعى أيضا لوضع معايير أوروبية موحدة في التعامل مع الأقطاب والدول الأخرى؛ فالهوية المحلية كانت تطور مع خلق الهوية الأوربية؛ وقد تميزت تلك المعايير بالمرونة والديناميكية، حيث تغيرت من

(١)محمد سعيد عميرة ، "واقع وآفاق ماسترخيت"، عمان ٢٠٠٢م، ص ٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرحلة إلى أخرى، ومن عصر إلى ثان دون أن تفقد جوهرها ودون أن تقف عند نقطة تاريخية محددة.

ثانيا: استراتيجيات صناعة الوحدة الأوروبية

كما رأينا في النقطة السابقة أن الوحدة الأوربية كان لها مرتكزات انطلقت منها وهذا الانطلاق كان منضبط بمعايير حتى لا يشطط يميناً أو شمالاً وكانت لهذه الانطلاقة أهداف استراتيجية قابلة للتغير وفقاً لمتطلبات كل مرحلة تأتي في قابل الأيام. من هنا يجب التأكيد على أن استراتيجيات بناء الوحدة الأوروبية له ثلاث خصائص رئيسية. تمثلت الأولى في الانطلاق من القضايا الصغرى والجزئية إلى القضايا الكبرى والاستراتيجية، بكل ما يشتمل عليه هذا التوجه من خلق ثقافة نسبية لا تنتمي إلى اللغة المطلقة التي سادت تجارب وحدوية أخرى. والنقطة الثانية تمثلت في عدم النظر إلى قضية الوحدة كمُعطى أو كنتيجة يجب التسليم به منذ البداية، وأمر كريه يجب على كل المنضويين تحته التحرك وفق إطاره العام في ممارسة الحياة اليومية، بقدر ما ظل قيمة عُليا يُمكن للدول الأعضاء أن تصل إليها بمحض إرادتها ومن خلال تفاعلاتها البينية. أما الثالثة في اعتماد استراتيجية الدمج التي تميزت بها تجربة الاتحاد الأوروبي، ونجاحه في امتلاك هذا القطب المغناطيسي الجاذب والقادر على دمج دول داخل قطار الوحدة الأوروبية، يُبذل في هذه العملية جهداً متبادلاً بين الدول التي أسست الاتحاد الأوروبي وبين الدول المرشحة للانضمام إليه. فكانت النجاحات المتتالية لنموذج الاتحاد عامل جذب للدول الأخرى للدخول تحت هذه المظلة راضية مُختاره.

من خلال هذه الخصائص الثلاث يُمكن التحدث بصورة أكثر تفصيلاً عن سبب النجاح هناك في الاتحاد الأوربي:

أ) بناء مؤسسات الاتحاد الأوربي كانت من القاعدة إلى القمة:

قلنا إن تجربة الوحدة الأوربية هي تجربة شعبية ولم تكن يوماً تجربة نخبوية فأهم ما ميز تجربة الوحدة الأوروبية أنها بدأت من أسفل بدأت من القاعدة الشعبية، ووضعت

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أهدافاً متواضعة لم يتوقع كثير من المراقبين أن تكون هي الطريق نحو إنجاز الوحدة، فلم تبدأ بالتوقيع على اتفاقات وحدة بين عدد من الدول الأعضاء، ولم تطرح قضايا السياسة الخارجية والدفاعية المشتركة كأهداف فورية للدول المنضمة للوحدة الأوروبية، إنما تركت التفاعلات الاختيارية بين دول الوحدة حول قضايا جزئية هي التي تقود الدول الأعضاء أو معظمها إلى خيار الاتحاد، الذي ظل منذ البداية هدفاً وليس قانوناً جبرياً يُفرض من أعلى أو بقرار سيادي من زعيم أو من حتى نخبة حاكمة.

نرى ذلك بوضوح من خلال مستوى وعي المسئولون الأوروبيون لهذه القضايا منذ البداية. فعلى سبيل المثال صرح وزير الخارجية الفرنسية الراحل روبرت شومان في ٩ مايو ١٩٥٠م بأن أوروبا لن تُصنع دفعة واحدة، ولا ببناء تكتل موحد، إنما من خلال إنجازات واقعية، تخلق أولا تضامن الواقع، معتمداً على المنهج الوظيفي وليس الدستوري الذي يعتمد على دستور فيدرالي في بناء تجربة الوحدة الأوروبية. ويضيف المسئول الفرنسي فكرة أخرى على قدر كبير من الأهمية، وذات دلالة، فيشير إلى أن الدول الأوروبية التي عادت لتحصل على سيادتها كاملة بعد الحرب العالمية الثانية، لا يجب أن تتركها بصورة فورية لصالح وحدة فيدرالية أوروبية، إنما يجب أن تتعود الدول الأوروبية على التخلي الطوعي عن بعض جوانب سيادتها في بعض القضايا، فالمطلوب هو التقليص المتصاعد في التناقض بين الاندماج الأوروبي والدولة[١]. هذه الرؤيا لم تكن رؤية المسئول الفرنسي وحدة بل كانت شبه عقيدة عند غالبية المسئولين الأوربيين الخارجين من حرب مدمرة لم تندمل جراحها بعد والجسد الأوربي الدامي المتهالك ينظر إلى بعضه البعض نظرة التوجس والخوف فكان التعاون الذي

(١) للمزيد حسن نافعة، أوربا في مطلع قرن جديد: القضايا والآفاق، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان ٢٠٠٤م ص٢٠٤.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يضمن عدم الاقتتال من جديد هو الحد الأدنى المطلوب هذا التوجه هو الأقرب للواقع وليس الدمج العنيف[١].

هذه الرؤى انعكست إلى حد كبير في مسار تجربة الوحدة الأوروبية، والتي أكدها كثير من السياسيين الأوروبيين في فترات زمنية مختلفة، وعبرت عن وعي كامل بتفاصيل الواقع المُعاش، وجعلت التعامل مع هذا الواقع هو المدخل لإنجاز الأهداف الكبرى المتمثلة في الوحدة، بما يعني أن الغاية ظلت قيمة عُليا يجب العمل على الوصول إليها عبر حل الإشكاليات الفرعية والجزئية لا تجاهلها لصالح عموميات وغايات كُبرى لا يوجد لها تجليات ملموسة في الواقع العملي أو في محسوسات الرجل البسيط؛ ومن ثم، لم يكن غريباً أن تبدأ رحلة الوحدة الأوروبية من خلال التوقيع على اتفاقية الفحم والصلب بين عدد من الدول الأوروبية في ١٨ أبريل سنة ١٩٥١م في العاصمة الفرنسية باريس. فقد كان الهدف من هذه الاتفاقية هو تسهيل الاستثمار في هذا المجال، وتسهيل حرية حركة رأس المال والعمالة التي تعمل في مجالي الفحم والصلب، لكي تعتاد الدول الأوروبية الثلاث التي وقعت على هذه الاتفاقية على فكرة الاستثمار المتبادل، وعلى الحركة الحرة لرأس المال؛ ولم تتطرق لأي اتفاقيات اقتصادية مشتركة أو حتى لسوق واحدة تجمع الدول الأوروبية لذلك العدد المحدود الموقع على الاتفاقية.

لكن نجاح هذه الخطوة شجعت الدول نفسها على التوقيع على بيان الاتحاد الأوربي في روما سنة ١٩٥٧م، والذي يعتبره الكثيرون البداية الحقيقية لتبلور مشروع الوحدة الأوروبية؛ فقد جاء بدوره ترجمة لاتفاق ما سُمي بالمجموعة الأوروبية للطاقة الذرية، والذي سهل تبادل الخبرات والمعدات في مجال الطاقة النووية، وكان الغطاء الذي خرجت منه السوق الأوروبية المشتركة التي وقعت عليها ست دول أوروبية. فكان النجاح الاقتصادي الملموس هو الطريق للانتقال نحو نجاحات أخرى؛ وللحقيقة أن الأساس الاقتصادي في تجربة الوحدة الأوروبية كان رئيسياً، بل هو المحور الذي

---

(١) عبد الهادي البكار، مقال " ملف أسرار الانفصال، أربعون سنة علي فشل أول نموذج لوحدة بلدين عربيين " صحيفة الزمان العراقية اللندنية، ٢٠٠٢/١/١م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تدور عليه كل البلاد الأوربية رغم أنه لم يكن العامل الوحيد ولكنه كان العامل الأهم. فقد حرصت التجربة على أن تؤسس نموذجا أوروبياً يقوم على نسج شبكة مصالح مشتركة بين الشعوب الأوروبية، دون أن يعني ذلك اختفاء صراعات المصالح بين هذه الدول أو بين شرائح مختلفة من شعوب كل دولة.

إن تجربة الوحدة الأوروبية قد دلت على أن الوصول إلى الأهداف الكبرى لن يتم إلا بإنجاز الأهداف الصغرى، وأن شبكة التفاعلات الأفقية بين الشعوب والتي تحقق لهم جانباً من مصالحهم الاقتصادية وطموحاتهم المادية، وتسمح باستقلالية العمل الأهلي وفاعليته، وتُتيح له حرية الرأي والتعبير المستقل، والقدرة على النقد، بما يعني أن أي انتقاد لدولة أوروبية جارة في ظل مناخ وطني يسمح بالنقد والتنوع لا يؤخذ بحساسية كما في حال غياب هذا المناخ(١).

ومن المؤكد أن العرب يعيشون في ظل أجواء تتغنى صباحا ومساء، بعبقرية الحاكم والدولة والشعب، وبالتالي، أو بالنتيجة، يصبح اندماجه في علاقات وحدوية مع دولة أخرى شقيقة مجرد مسألة رمزية على السطح لأن كل البُنى والمؤسسات الأفقية داخل هذه البلدان قائمة على تقديس من هو على قمة الهرم الإداري والسياسي في كل دولة على حدة، ويغيب عنها ثقافة النقد الذاتي وقبول التنوع الداخلي وقيم الديمقراطية. ولذلك، عندما تدخل دولة في علاقة تضامنية أو وحدوية مع دولة عربية شقيقة يصبح الحديث عن الوحدة والسوق الاقتصادية المشتركة مجرد حديث رأسي للاستهلاك المحلي، لأن البُنى الأفقية المعنية بإتمام هذه العلاقة لا علاقة لها عملياً بمشاريع الوحدة، بل وتعيش عادة في حالة تربص داخلي تجاه البلد أو البلاد العربية الأخرى خاصة في حالة إقدام بلد أو منظمة أو كاتب عربي على نقد دولة أخرى أو الإشارة إلى بعض السلبيات الموجودة، فيتحول هذا التربص إلى سلوك عدواني قد يؤدي إلى قطع العلاقات بين هذه الدول. فأصبحت حتى العلاقات الثنائية هي مجرد لقاءات بين زعامات هذه الدول وتغني كل منهما بصداقته للآخر

(١) سليمان تقي الدين، مقال "العناصر التأسيسية للفكر القومي العربي" نُشر في ٢٦ يوليو ٢٠٠٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولم تنجح هذه اللقاءات في بناء روابط اقتصادية وشبكة من المصالح بين الشعوب العربية وبعضها البعض. هذا لا يمنع من وجود مشاريع بين أفراد هذه الشعوب ولكنها جهود فردية ولا تحدث على مستوى المؤسسات الرسمية، فلا يوجد تعاون أو توحيد في القوانين بين وزارات التعليم في البلاد العربية على سبيل المثال فضلاً عن توحيد المناهج الدراسية كهدف استراتيجي نحلم به ويجب أن نسعى إليه[١].

وعندما نترك الزعماء العرب وشأنهم وننخفض قليلاً من قمة الهرم نجد في موقع قريب من القمة نرى النُخب العرب ينادون بأشياء بعيدة عن الواقع فيطلقون شعارات عامة كالسوق الاقتصادية المشتركة، والدفاع المشترك وهذه أهداف جميلة ولكنها بعيدة المدى، يجب أن يسبقها تفاعلات أفقية بين مؤسسات صغيرة ذات أهداف محدودة، كبناء تجمع لخطوط الكهرباء العربية، أو للغاز أو حتى للهاتف المحمول، أو توحيد المناهج التعليمية ثم تصبح هذه التجمعات نواة لشبكة أكبر من المصالح الاقتصادية تكون في النهاية بدورها نواة لوحدة لها جذور في الواقع وليست مجرد شعارات تهبط من السماء.

بنفس هذه الرؤية يُمكن أن نفهم الفشل على المستوى السياسي، فالقوميون العرب انشغلوا بقضايا أيديولوجية وسياسية ذات طابع كُلي وضيق من نوع بناء تنظيم قومي يضم كل الثوار العرب المؤمنين بالوحدة العربية، ويصبح هذا التنظيم هو الطريق الوحيد لإنجاز الوحدة بصرف النظر عن موقف باقي الأطياف السياسية من أبناء الشعب العربي؛ فكان هؤلاء القوميون يتعاملون وكأنهم هم الشعب وفي الواقع هناك أناس لا يعرفون معنى القومية العربية من الأساس.

ب) الوحدة كانت من السوق إلى الاتحاد:

كانت المصالح الاقتصادية هي المحرك الاساسي في مشروع الوحدة الأوربية وكانت هذه الرؤية واضحة منذ البداية في ذهن مَنّ عقد الاتفاق الأول في سنة

---

(١) منيف الرزاز "الوحدة العربية هل لها من سبيل؟" مقال نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٩٥٧م، وبدأت البلاد الأوربية تتوافد على باب الرخاء هذا؛ راضية وراغبة فقد انضم إلى هذا البناء الجديد في سنة ١٩٧٢م ثلاث دول أوروبية جديدة هي بريطانيا وإيرلندا والدانمارك، ثم اليونان في سنة ١٩٨١م، ثم أسبانيا والبرتغال في سنة ١٩٨٦م، وأخيراً جاء دور السويد والنمسا وفنلندا لينضموا في سنة ١٩٩٣م ليرتفع عدد الدول المشاركة من اثنتي عشرة دولة إلى خمس عشرة. أما ما حدث في سنة ٢٠٠٤م، فقد كانت طفرة كبيرة فقد ارتفع عدد الدول الأعضاء إلى خمس وعشرين دولة بانضمام كل من إستونيا ولاتفيا وليتوانيا وبولندا وجمهورية التشيك وسلوفاكيا وسلوفينيا والمجر ومالطة وقبرص.

مرة أخرى نرى الرجوع إلى أهم خصيصة من خصائص هذا الاتحاد وهي المعايير فقد وضع الاتحاد الأوروبي مجموعة من المعايير المؤسسية والتقنية المتفاوتة لقبول دول الشمال الأوروبي التي انضمت إلى مسيرته، كما وضع مجموعة من المعايير الاقتصادية والثقافية لضم دول الشرق الأوروبي، وأخرى أكثر تعقيداً لاستيعاب تركيا. فبينما قبلت الجماعة الأوروبية في عضويتها وفي فترة لم تتجاوز العام طلبات العضوية التي قدمتها كل من السويد والنمسا وفنلندا من أوروبا الشمالية بسبب التوافق مع المعايير التي وضعتها الجماعة الأوروبية لقبول الدول الجديدة، حيث قدمت النمسا ملف طلب العضوية في يوليو سنة ١٩٨٩م، ثم تبعتها كل من السويد وفنلندا في عامي ١٩٩١م و ١٩٩٢م على التوالي؛ وبعد أشهر قليلة من فحص تلك الملفات أصدرت المفوضية الأوروبية عده تقارير على مدار عام وافقت بعدها على انضمام الدول الثلاث، استنادا إلى أن أوضاعها الاقتصادية تسمح لها بالانضمام الفوري إلى الاتحاد بعد انتهاء المفاوضات الثنائية بين المفوضية والدول الثلاث؛ أيضاً لا يفوتنا هنا تسجيل أن المحادثات التي أُجريت بين الدول الثلاث وباقي دول الجماعة الأوروبية تركزت حول مسائل تقنية بالأساس، في ضوء انطباق المعايير الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المطلوب استيفاؤها على تلك الدول. وعلى سبيل المثال، طلبت السويد مساعدات من أجل تحسين أوضاع منتجاتها الزراعية وحماية ثرواتها السمكية من مثيلاتها الأوروبية، دون أن تتطرق المفاوضات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأي شروط أخرى ذات طابع سياسي أو ثقافي كما هو الحال مع تركيا ذات الاغلبية المسلمة والمرجعية الثقافية الاسلامية التي لم تستطع العلمانية الأتاتوركية إخفائها أو قتلها طوال العقود الماضية[١].

الوضع كان به بعض الاختلاف لدول أوروبا الشرقية فقد طرحت دول الاتحاد الأوروبي معايير أخرى ذات طابع اقتصادي أساساً لدمج هذه الدول داخل الاتحاد من خلال ما عُرف ببرنامج المشاركة مع بلدان أوروبا الوسطى والشرقية، والذي ضم بلغاريا والمجر وبولندا وجمهورية التشيك ورومانيا وسلوفاكيا، إضافة إلى بلدان البلطيق الثلاثة وسلوفنيا ومالطا وقبرص. وفي المقابل، رفضت دول الاتحاد الأوروبي في قمة سالونيك في ٢٣ يونيو ٢٠٠٣م، تحديد جدول زمني لانضمام ألبانيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا وصربيا، مؤكدة على أن الجدول الزمني المحدد هو لتأكد من مدى التزام هذه الدول بالإصلاحات السياسية والاقتصادية المطلوبة منها. كما اشترط الاتحاد الأوربي على هذه الدول العديد من الإصلاحات المؤسسية خاصة في القطاع المصرفي.

من خلال الأمثلة السابقة لطلبات الدول للدخول في هذا الاتحاد يتضح لنا مدى مرونة المعايير التي وضعها الاتحاد الأوروبي لانضمام أعضاء جُدد وهذا سبباً رئيسيا وراء نجاح سياسته الاندماجية، ونجاحه في ضم عشرة بلدان أوروبية في عام ٢٠٠٤م، حيث فرض عليها واجبات ومستوى معيناً من التطور الاقتصادي والديمقراطي والاجتماعي، ولكنه أيضاً لا يحرمها من الحقوق، ومن تلقي المساعدات والدعم من أجل توسيع الاتحاد. فقد طبق الاتحاد الأوروبي استراتيجية المستويات المتعددة، التي ميزت بين الدول الأوروبية المرشحة للانضمام إلى الاتحاد، وبين دول جنوب المتوسط المرشحة للشراكة معه، وبالتالي، كان هناك تمييز بشكل واضح بين الارتباط بالقيمة العليا التي تتضمن المعايير والشروط الأقصى في الاندماج داخل الاتحاد الأوروبي وفق المعايير الأوروبية . بالمعني الثقافي والاقتصادي والسياسي .

(١) المرجع السابق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتي يجب الالتزام بها من أجل الانضمام إلى عضوية الاتحاد كما حدث بالنسبة لبلدان وسط وشرق وجنوب أوروبا، والارتباط من خلال المستوي الأدنى والذي يضم البلدان المرشحة للشراكة مع أوروبا في جنوب المتوسط. أي أن معايير الاتحاد سمحت بضم دول أوربا الشرقية لتقاربها ثقافياً وفكرياً وفقط سمحت بالتعاون والشراكة مع دول جنوب المتوسط.

على الجانب الآخر نرى محاولات تركيا المستميتة للانضمام إلى هذا الكيان نموذجا بارزاً للتعقيدات التي تواجه هذه الدولة ذات الثقافة الإسلامية والموقع الجغرافي المتلاحم مع أوروبا، والذي يُمثل انضمامها تحدياً حقيقيا لتجربة الاتحاد الأوروبي ليس من السهل حسمه؛ فمن منظور جغرافي نرى أن هناك جزء صغير من تركيا يقع داخل القارة الأوروبية، ومن منظور ثقافي نرى تركيا هي الدولة الإسلامية الوحيدة والاستثنائية التي طبقت تحولاً ثقافياً علمانياً متشدداً من أعلى السلطة في محاولة للفصل بين الدين والدولة. ومع ذلك لازالت تُعاني من وضع خاص يجعل هذه الدولة في مستوى أقل من جيرانها الأوروبيين الجنوبيين في مالطا وقبرص، ويضع أيضا صعوبات أخرى أمام انضمامها إلى القطار الأوروبي، ولكنها تظل في إطار الصعوبة وليس الاستحالة. لأن العديد من الباحثين يرون أن الاتحاد الأوربي هو الأخر بحاجة لدولة بحجم تركيا. في هذا الإطار وضعت أوروبا مجموعة من الشروط والمعايير أمام انضمام تركيا، تضمنت تحسين أوضاع حقوق الإنسان، وإجراء مزيد من الإصلاحات الديمقراطية، وأخيراً إعطاء مزيد من الحقوق الثقافية والسياسية للأكراد ولكافة الأقليات العرقية. وهذه الشروط ليست مستحيلة التطبيق!

من خلال ذلك نرى أن واقعية الاتحاد الأوربي وواقعية معاييره قد تسمح بدمج تركيا داخل الاتحاد الأوروبي وهذا يتوقف إلى حد كبير على قدرتها على إجراء التطور الداخلي المطلوب، وعلى قدرة النموذج الأوروبي على الانفتاح الداخلي على تجربة مغايرة له ثقافياً، بحيث تُصبح عملية الدمج في هذه الحالة قائمة على علاقة جدلية من التأثير والتأثر بين الجانبين. وعليه، فإن قدرة النموذج الأوروبي على دمج دول جديدة، يرجع في جانب رئيسي منه إلى خبرته الداخلية نفسها، ونجاحه في بناء

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نموذج ثقافي . سياسي داخلي، يعتمد أساسا على دمج الآخر داخل نسقه الاجتماعي والسياسي، سواء كان هذا الآخر متمثلا في المسلمين المهاجرين الذين تحول جزء كبير منهم إلى مسلمين أوروبيين، أو تمثل في تيارات سياسية ثورية ويسارية راديكالية نجح النظام السياسي الديمقراطي الأوروبي في دمجها داخل مؤسساته الديمقراطية وتحويل معظمها إلى قوى سلمية تتحرك داخل قيم التوافق العام. فصندوق الانتخابات عندهم هو الفيصل مع الموائمة بين حقوق الأغلبية وحقوق الأقليات التي تعيش وسط الأغلبية.

ج) الاتحاد الأوروبي وتحولات البيئة الدولية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية خرجت البلاد والممالك الأوربية منهكة القوى خاوية الوفاض فالفرق بين روسيا المنتصرة وفكرها الشيوعي أو الاشتراكي وبين فرنسا والمملكة البريطانية ذات الفكر الليبرالي المتحرر فرق لا يكاد يُذكر فالبيوت هنا وهناك محطمة وعدد الأرامل والثكالى والمعاقين من آثار تلك الحرب الضروس رايتهم أينما وليت عينيك، وانقسمت ألمانيا المنهزمة بين المعسكرين المعسكر الشرقي بقيادة روسيا والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية – كانت الولايات المتحدة هي من أقل البلاد تضرراً من الحرب العالمية الثانية– ووقفت الجيوش المتحاربة متواجهة في العاصمة الألمانية برلين وتم فض الاشتباك وبناء سور في وسط المدينة الألمانية برلين فانقسمت ألمانيا وإن شئت قُل انقسمت الأُسر الألمانية إلى نصفين والإحياء في مدينة برلين إلى نصفين فأصبح لدينا برلين الشرقية وبرلين الغربية، هذا الوضع الغير طبيعي والشاذ لم يستمر طويلاً فأعتلى الشعب الألماني هذا السور وحطموه في عام ١٩٨٩م وتناقل الناس مرة أخرى بين أحياء المدينة الواحدة دون قيد أو شرط. في الحقيقة كان هذا التحطيم لهذا السور منعطفاً فاصلاً بين مرحلتين حاسمتين في تاريخ تطور القارة الأوروبية، حيث انتقل مشروع الوحدة الأوروبية من أجواء الحرب الباردة في ظل نظام القطبية الثنائية، إلى أجواء النظام العالمي الجديد الذي يُهيمن عليه القطب الأمريكي الواحد. عزز من توجه العالم إلى الدوران حول القطب الأمريكي الجديد عوامل كثيرة منها انهيار

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاتحاد السوفيتي بعد فشله في حرب أفغانستان وتفككه إلى دول كُل منها يريد أن يلحق بالعالم الغربي الحُر، هذا التحول أدى لتحول موازي في مفردات النظام العالمي وفي شكل الصراعات الدولية، من عالم الصراع الأيديولوجي بين حتميات الماركسية وبارجماتية[١] الرأسمالية إلى عالم يحاول أن يكون واحداً، ويحاول أيضا طرح خطاب واحد يؤكد على الديمقراطية واحترام حقوق الإنسان في شمال العالم وجنوبه، وهو ما يعكس أهمية تجربة الوحدة الأوروبية التي شهدت منذ النصف الثاني من هذا القرن تحولين رئيسيين عبرا في الحقيقة عن قدرة هذه التجربة على استيعاب المستجدات هذين التحولين هما:

التحول الأول: يجب هنا أن نذهب إلى نقطة البدء في نشأة الاتحاد الأوروبي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، في ظل أجواء الحرب الباردة التي فرضها النظام الدولي ثنائي القطبية. في جو التربص والخوف استطاع هذا الكيان الوليد أن يجذب لعضويته دول جديدة فارتفعت عضوية الاتحاد من ست دول إلى تسع دول[٢].

التحول الثاني: النقطة المحورية في تاريخ الإتحاد الأوربي تتعلق بقدرة البلدان الأوروبية علي التكيف مع التحولات التي شهدها العالم منذ الحرب الباردة وحتى ظهور النظام العالمي الجديد بقيادة الولايات المتحدة، فالاتحاد الأوروبي كان هو المشروع الأبرز في العالم الذي صمد في وجه التحولات التي شهدها العالم في فترة من أصعب الفترات فلم يكن سقوط سور برلين وما تبعه من تفكك الاتحاد السوفيتي بالحدث الهين ولكن في ظل كل هذه التغيرات نجح الاتحاد الأوربي ليس فقط في الاستمرار والتكيف معها وإنما أيضا في التأثير فيها والانتقال السلس من التفاعل مع نظام القطبية الثنائية والتعامل معه بدرجة عالية من الديناميكية إلى نظام متعدد الأقطاب يُهيمن عليه القطب الأمريكي الجديد.

---

(١) مبدأ فلسفي يعني الوصولية أو التسلق للوصول للهدف.

(2) Corbett, Richard; Jacobs, Francis; Shackleton, Michael (2011).The European Parliament (8th ed.). London: John Harper Publishing. ISBN 978-0956450852 p18.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قلنا أن الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي من أقل الدول خسارة فبدأت تستثمر هذه القوة في ظل عالم يموج بالضعف فكان أول استثمار لها في القارة الأوربية المنهكة مشروع مارشال الأمريكي (١٩٤٨- ١٩٥٢م) هذا المشروع الذي كان يهدف لإعادة بناء أوروبا اقتصادياً هذا المشروع تمخض عن ميلاد المنظمة الأوروبية للتعاون الاقتصادي في السادس عشر من أبريل ابريل سنة ١٩٤٨م، ثم قيام الولايات المتحدة بتسليح ألمانيا الغربية تسليحاً محدوداً في أعقاب الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٣م)، إلا أنه من الصعب القول إن هذا الدعم قد استمر بعد ظهور الاتحاد الأوربي فظهور الاتحاد الأوربي أدى لتقلص الدعم الأمريكي المُباشر للبلاد الأوربية ولكن ظلت الشركات الأمريكية تعمل هناك. كان على الجانب الآخر قيادات وطنية تُحاول الاستقلال بالقرار الوطني عن التأثيرات الشرقية ممثل في الاتحاد السوفيتي ومن السيطرة الغربية ممثل في الولايات المتحدة الأمريكية ومن أشهر هذه القيادات الوطنية شارل ديجول في فرنسا فكانت ضمن أهدافه الاستقلال الأوروبي عن هذا الغطاء الأمريكي. هذا ساهم أيضاً في جعل مشروع الوحدة الأوروبية يحمل نغمات خاصة حتى لو ظل في إطار التوافق الأمريكي بسبب اعتماد كل من الجانبين على الرأسمالية الاقتصادية وديمقراطية الحكم؛ كما حاولت أوروبا أن تبني صيغة ثالثة تتجاوز بها هيمنة القطب الأمريكي والسوفيتي على السواء، لتتواكب مع ما جرى في كثير من بقاع العالم.

د) قدرة التجربة الأوروبية على التحور وفقاً للمستجدات:

الوحدة الأوربية كانت مثل الطفل الصغير وُلد ولاقى رعاية فتطور مع الحياة فكانت كل مرحلة من مراحل الوحدة الأوروبية تؤذن بالدخول في المرحلة التي تليها أكثر تقدما من سابقتها، بصورة جعلت مشروع الوحدة الأوروبية نتاج عملية تفاعلية بين أفكار كل مرحلة والواقع السياسي المُحيط، بحيث يصعب القول إن هذه الوحدة نزلت من السماء بمعاهدات نهائية بين الدول الأوروبية تفرض عليها التوحد الاقتصادي والسياسي والدفاعي؛ فلقد كانت لحظة ميلاد الفكرة في صورة السوق الاقتصادية المشتركة التي كانت بدورها نتاجاً لتفاعلات بسيطة سابقة تمثلت في

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقامة شركات الفحم والصلب[1]، وضمت السوق في البداية ست دول ارتفعت إلى تسع، ثم توسعت مرة أخرى لتصل إلى ١٢ دولة عُرفت باسم الجماعة الأوروبية. وكانت المرحلة الثانية هي توقيع اتفاقية ماستريخت للوحدة الأوروبية في عام ١٩٩٢م، والتي سبقها اتفاق آخر مثل التمهيد الحقيقي لاتفاقية الوحدة الأوروبية في يوليو ١٩٨٧م، وعُرف باسم اتفاقية الأداء الأوروبي الموحد، وهو الاتفاق الذي حمل كثيراً من الأفكار التي ساهمت في تقبل الدول الأوروبية لاتفاقية ماستريخت.

كانت اتفاقية ماستريخت هي الأساس الثاني في مسيرة الوحدة الأوروبية حيث نصت هذه الاتفاقية على جوانب عملية كثيرة مثل إلغاء الحدود بين الدول الأوروبية ورفع القيود الجمركية، والبدء في مسيرة تطبيق نظام العملة الموحدة اليورو، ووضع أسس لنظام قانوني وتعليمي وأمني متشابه تحكمه معايير واحدة. اضافة إلى البدء في التوجه القائم على الاعتراف بالمواطن الأوروبي، كفرد يتجاوز قوانين كل دولة على حدة، وعلى حرية التنقل والعمل في كل بلدان الاتحاد الأوروبي. كما مهدت تلك الاتفاقية للمحطة الثالثة المتمثلة في صياغة دستور أوروبي، وتطوير نظام التصويت داخل المفوضية الأوروبية، والبدء في معالجة الثغرتين الكبيرتين اللتين أبرزتهما بشكل واضح حرب الخليج وهما الحاجة إلى تطوير سياسة خارجية ودفاعية أوروبية واحدة، وذلك عن طريق إقامة وحدة فيدرالية بين معظم دول الاتحاد حيث كانت هناك ردود فعل متباينة حول حرب الخليج فلم يكن هناك موقف أوربي واحد[2].

كان النجاح في المراحل السابقة دافع جديد للمراحل اللاحقة فقد وقعت دول الاتحاد على معاهدتين جديدتين عمقتا ما جاء في اتفاقية ماستريخت للوحدة الأوروبية، وهما معاهدة أمستردام سنة ١٩٩٧م، ومعاهدة نيس في سنة ٢٠٠٠م، حيث كانتا هاتين الاتفاقيتين تهدفان لتفعيل سياسة الإتحاد الخارجية، وهكذا نرى

(1) Klaus – Dieter Borchard , European Integration : The Origins and Growth of the European Union , European Documentation , Luxembourg : 2008.
(2) Jones, Erik; Anand, Menon; Weatherill, Stephen (2012). The Oxford Handbook of the European Union. Oxford: Oxford University Press, pp240.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الكائن الأوربي كائن متطور وقابل للنمو والحركة والمناورة وفقاً لمقتضيات كل مرحلة.

رؤية النموذج الأوربي الناجح قد يُظهر لنا بعض من سوأتنا فهذا النجاح الظاهر من شأنه أن يُلفت الانتباه ويُثير سؤالاً لماذا النجاح هناك والفشل هنا؟ هذا النجاح يُقدم رسالة للعالم العربي، ربما يستفيد منها في حال إذا رغب في تطوير قدراته الداخلية والاعتراف بتواضع طموحاته ورغبته في الإنجاز ولو المحدود، وأن يخرج من دائرة الشعارات العامة المنعزلة عن الواقع، أو الاستسهال في تكريس ثقافة المعونات التي لم ترتبط في معظم الأحيان بتعظيم قدراته الداخلية، وتطوير هياكله السياسية والاقتصادية، ويتخلى صانعي القرار وكذلك الشعوب من أن الرخاء أو الديمقراطية أو غيرها من الكلمات البراقة يُمكن نشرها بمجرد قرار سياسي. بل إن القيم والمبادئ سوف تظهر أقول تظهر وليس تُولد بمجرد السماح لها بالظهور لأنها موجودة في تراثنا الفكري والديني فعلى مستوى الشعوب هناك مفردات ثقافية جامعة سوف تلتحم يوماً ما وكما تحطم سور برلين سوف تخرج الجماهير يوماً وعندها ستكون مجرد حدود وهمية صنعها كل من سيكس وبيكو لا تحتاج إلى عناء في تخطيها وعودة النهر الدافق لمجراه الطبيعي.

في كل الأحوال لا يوجد ما يمنع أن ننظر للتجربة الأوربية أو غيرها من التجارب عبر التاريخ، كيف بدأت وكيف تطورت حتى وصلت إلى هذه المحطة؟ لا مانع من كل ذلك. فالوحدة الأوربية كانت أكبر من تحالفات اقتصادية أو علاقة تقوم على منح مساعدات من طرف لطرف أخر ولكن الأمر منذ البداية كان في البحث الذي أعقبه النجاح في الوصول إلى نقاط التلاقي وتعظيم المشتركات. فالتفاعل مع قيم تجربة الوحدة الأوروبية ومسيرتها لا يعني تطابق العالم العربي كليا معها، أو في وجود توافق كامل في المصالح بين الجانبين، ورغبة في إحلال مهيمن أوروبي محل أمريكي، إنما يعني تسليط الضوء على أبرز قيم هذه التجربة ووسائلها لكي تفيد المنطقة العربية في البحث عن صيغ جديدة لنهضتها تتجاوز الانعزال الإقليمي لكل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دويلة، نحن نريد بديلاً عن تلك الشعارات الحنجورية التي لا تتخطى حدود الزمان والمكان الذي انطلقت منه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

الدروس المستخلصة وكيفية نبذ أسباب الخلاف والعودة إلى وحدة الصف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

أسباب الخلاف

لقد ذكرنا في ما سبق الأسباب التي أدت لانشقاق الصف المسلم منذ عهد ما بعد الخلافة الراشدة وحتى سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٠٨م أو بعد ذلك وفقاً لإعلان البرلمان التركي في مارس سنة ١٩٢٢م بإلغاء نظام الخلافة ومن ثم إعلان قيام الجمهورية التركية. فبعد سقوط الخلافة للأسباب التي ذكرنا بعضها كانت الأرض ممهدة لتقبل أي وضع جديد فكانت الثورات الأوربية والتقدم الغربي والبعثات التي كانت تذهب إلى البلاد الغربية بهدف دراسة العلوم الغربية تعود إلى بلاد العالم العربي والإسلامي معجبة بالنماذج الغربية في الحكم والإدارة وأصبح شغل هذه النُخبة المثقفة التي وصلت لمراكز صناعة القرار في بلاد العرب والمسلمين أصبح هدفهم هو تطبيق النموذج الغربي في الإدارة والحكم وشطط بعضهم في محاولة لتطبيق حتى النُظم الغربية في العادات والأخلاق، وتحت وطأة الهزيمة الفكرية والتخلف المدوي لم تكن هناك مقاومة قادرة على التصدي للتيار التغريب الذي كان يجد مبررات كثيرة كان أهمها إعلان أنصار هذه التيارات المستغربة الرغبة في إنقاذ البلاد والعباد وتطوير البلاد العربية والإسلامية على النسق الغربي. التيارات المستغربة هذه كانت منقسمة فيما بينها إلى جماعات شتى يُمكن إجمالها في الداعين إلى القومية الكُبرى مثل القوميين العرب وهم يرون أن راية القومية العربية واللغة العربية مع العوامل الجامعة للمنطقة العربية قادرة على تجميع شتات الأمة العربية؛ وكما ذكرنا وبعد مرور عشرات السنين ومئات المحاولات انتهى هذا التيار فعلياً عند احتلال دويلة العراق لدويلة الكويت فهذا التيار لم يستطع منع الغزاة ولم يستطع حل المشكلة ولكنه لجأ إلى البلاد الغربية والمؤسسات الغربية من مجلس الأمن والأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية والمؤسسات الصهيونية لجأ إلى كل هؤلاء لكي يُنقذوه من أخيه الذي أصبح اليوم الغاصب المحتل. فالمغيث والمستغيث اتفقوا..... اتفقوا على ماذا على أن تقوم البلاد الغربية باحتلال البلاد العربية لكي توفر لها الغطاء الأمن من الاحتلال العربي في وقت لاحق، وكان لهم ما أرادوا؛ هذا كان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معناه موت القومية العربية على أرض الواقع وانهيار كل ما يمت لهذه الفكرة بصلة من اتفاقيات تعاون أو اتفاقيات دفاع عربي مشترك أو غيرها. وكان هناك تيار أخر وهذا التيار يُعلي من القومية القُطرية وهذا التيار يعترف بحدود المستعمر ومحاولة بناء دولة عصرية على حدود سيكس بيكو.

وكلاً من التيارين كان يُنادي بطريقة أو بأخرى بتطبيق النموذج الغربي في المؤسسات هذه الدعوات ظهرت واضحة في صورتين:

الصورة الأولى: تمثلت هذه الصورة في تقليد أنماط سلوك الحياة الغربية فقد قلّد بعض المسلمين الغربيين، وتأثروا ببعض عاداتهم في الطعام والشراب واللباس... إلخ، ونقلوا بعض أنماط سلوكهم، وكان هؤلاء المُقلّدون كلما ازدادوا انغماساً في الحياة الغربية، وتفاعلاً مع صورها، وتكيّفاً مع اهتماماتها، ازدادوا بُعداً عن أمتهم، وانسلاخاً عن قيمها. وقد نفذت العادات والتقاليد الغربية إلى عموم الناس بالتدريج، وما زالت مستمرة إلى الآن. حيث ظهر جيل جديد يُعجب بهؤلاء المسخ المُقلد فيقتدي بهم ويستمر هذا الانسلاخ ويقوى جيلاً بعد جيل.

الصورة الثانية: تمثلت هذه الصورة في محاولة نسخ الحضارة الغربية حيث دعا بعض المسلمين إلى أخذ الحضارة الغربية بكل تفصيلاتها، واعتماد فلسفتها، وقيمها، كما دعوا إلى تعميم فنونها، والانحياز إلى ثقافتها، ونموذج تفكيرها الذي يقوم على تناقض العلم والدين، والأخذ بأساليب تربيتها وبكل نُظمها في الحكم والسياسة والقانون والدستور، والأخذ بنموذجها الاقتصادي.

وخلاصة القول؛ فقد نادى دعاة الصورة الثانية بنقل الحضارة الغربية بكل جمالها وقبحها بكل حلوها ومرّها إلى بلاد العرب، وقد قام على هذه الدعوة آحاد من الناس وأبرزهم: الخديوي إسماعيل باشا، خير الدين باشا التونسي في القرن التاسع عشر، وطه حسين عميد الأدب العربي في القرن العشرين!! وللحقيقة فإن دعاة الصورة الثانية كان يقابلهم دعاة آخرون يتعاملون مع الحضارة الغربية تعاملاً متوازناً فيدعون إلى الحرص على

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثوابت الأمة وأصولها والاستفادة في الوقت نفسه من ميزات الحضارة الغربية وإيجابياتها، وأبرز هؤلاء الدعاة :العلماء المتخرجون من صروح المعاهد العلمية العريقة كالأزهر والزيتونة وبعض العلماء الذين تخرجوا من التعليم الحكومي ولكن كان لهم نفس النظرة المتوازنة فهم لا يرفضون الحضارة الغربية بكل مكوناتها ولم ينهزموا أو ينبهروا فيتنازلوا عن ثوابت الأمة. هذه النظرة المتوازنة مازالت تقوى يوماً بعد يوم خاصة بعد إفلاس الحضارة الغربية نفسها في أن توفر الآمان النفسي والاجتماعي لأصحابها.

في الحقيقة وحتى نهرب من الجدل العقيم الذي يسأل ويُجيب على العديد من الأسئلة المعروفة، وحتى نمسك الكبش من قرنيه كما يقول الغربيون. فإن تفكك العرب والمسلمين يعود بسبب بُعدهم عن الدين الصحيح وتركهم الاعتصام بحبل الله تعالى وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، فلذلك تكالبت عليهم الأمم وضعفوا واستكانوا وتفرقوا .. وإن التركيز على فكرة القومية العربية والعصبية والعنصرية هو الذي أضعف العرب والمسلمين وشتتهم وأبعدهم عن دورهم الأساسي في قيادة العالم الإسلامي وتوحيده تحت راية واحدة ومن ثم قيادة العالم كله.. نعم الإسلام منتشر ومازال كل يوم يكسب أراضي جديدة وأُناسي كثير؛ الإسلام يكسب هذه المعارك بفضل منطقه الفريد وحجته البالغة حتى وإن تخلى عنه مَنْ في الأرض أجمعين فضلاً عن تخاذل دعاته في بلاد العرب القلب النابض للإسلام. ولكن للحقيقة فليس للإسلام دولة واحدة تحميه وتُطبق شريعة الله تعالى كما أمر وتوحد جموع المسلمين وتوجههم إلى الإبداع والتقدم في شتى مجالات العلوم كما كان في عصر الخلافة الإسلامية، فما نراه اليوم في بلاد المسلمين مجرد أشكال تعبدية وصلوات تُقام هنا وهناك وهذا يُمثل فقط جزء من الإسلام الذي دعا أصحابه ليكونوا فاعلين مُقبلين على الحياة يُؤثروا ويتأثروا أعزة على الكافرين أذلة على المؤمنين، ولكن المسلمين تخلوا عن الجزء الأكبر من هذا الإسلام الفاعل وتمسكوا فقط بالأمور التعبدية، تخلوا على أن يكونوا قادة للعالم وهداة له، تخلوا عن الجهاد بمفهوميه الأكبر والأصغر... فحق عليهم قول ربنا فتيهوا في الأرض... ونحن الآن في مرحلة التيه العظيم.....

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم"يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها"، فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ؟ قال:"بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن" ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: " حب الدنيا، وكراهية الموت"[1].

إذاً فنحن في مرحلة التيه في صحاري الضلال كل منا يزعم أنه على صواب فما هي العوامل التي ساعدت في الوصول إلى هذا الدرك. لقد رأينا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين حركات محاولة جر المجتمعات المسلمة إلى تقليد المجتمعات الغربية وحذر العلماء ومازالوا يُحذرون من مخاطر التوجه نحو الغرب فهذا التوجه له مخاطره في السابق وفي الحاضر وحتى يأذن الله بقيام هذه الأمة من جديد وذلك لعدة عوامل:

- **تنوع وسائل الاتصال والإعلام:** من سينما وإذاعة وتلفزيون وفيديو وكمبيوتر وإنترنت... إلخ، وسرعة انتشارها، وسطوة تأثيرها، وضخامة الانجذاب إليها.
- **اتساع القطاع الذي تخاطبه تلك الوسائل وهم معظم الناس إن لم يكن كلهم:** فنرى هذه الوسائل قادرة على مخاطبة والتأثير في شباب الأمة وعوام الناس متعلّمهم وجاهلهم، غنيّهم وفقيرهم، صغيرهم وكبيرهم.
- **توقف الثقافة الدينية عن النمو منذ قرن ونصف تقريباً:** لقد توقفت ثقافتنا الدينية عن النمو، والنمو بمعنى التطور والقدرة على احتواء التكنولوجيا الحديثة وتطويعها وتخريج جيلاً يكون قادر على إنتاج تكنولوجيا منافسة. هذا التخلف الديني والمجتمعي كان لعدة أسباب منها:

– **إنشاء تعليم منافس للتعليم الشرعي:** استحدثت الخلافة العثمانية وزارة المعارف العمومية عام ١٨٤٧م، مدارس لتدريس المناهج الغربية ولتعمل وفق

(١) خرجه أبو داود في سننه (٢/ ٢ ١٠) والروياني في مسنده (ج ٢/١٣٤/٢٥) الحديث صحيح .(تخريج الألباني)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النسق الغربي وبالذات فرنسا حيث كانت أغلب البعثات تخرج متوجهة لفرنسا، وبالفعل فقد أُنشئت مدارس في كل أنحاء الخلافة لتقوم بهذه المهمة. وكان محمد علي باشا في مصر قد سبق الخلافة العثمانية بقليل عندما أنشأ تعليماً على غرار التعليم الأوروبي في عام ١٨٢٠م أشرف عليه أتباع سان سيمون الفرنسيون، وقد التزمت الحكومتان في كل من إستانبول ومصر ألاّ توظّف – تقريباً منذ عام ١٨٥٠م، إلاّ المتخرجين من المدارس غير الشرعيّة فقط، وهذا جعل للتعليم المدني التابع للتعليم الغربي جاذبية في المجتمع، وقد جاءت ضربة أخرى لنُظم التعليم الدينية الشرعية على يد محمد علي باشا في مصر عندما أنشأ مدرسة القضاء الشرعي التي تُخرج قضاة للمحاكم الشرعية في مصر، مما أُعتُبر سحباً نهائياً للبساط من تحت التعليم الشرعي[١].

- **سحب الأوقاف التي كانت تمد التعليم الديني بالأموال اللازمة:** كانت عملية السيطرة على الأوقاف تعني عدم قدرة المؤسسات الدينية على الاستقلال وهذا يعني عدم قدرة الجهود الفردية أو حتى المؤسسية داخل الأوقاف على التطوير الذاتي ولكن كل تطوير يجب أن يكون بتصريح من الحكومة الرسمية. لقد بدأ ذلك محمد علي باشا، فقد استولى على الأراضي الوقفية التي كانت تمد المساجد ومدارسها بالأموال اللازمة لها، وكانت تلك الأوقاف تبلغ خُمس الأرض المزروعة في مصر آنذاك، استولى عليها بحجة أنه سينفق عليها بعد ذلك من أموال الدولة، وكان قد حدث الشيء نفسه في كل من تونس ومركز الخلافة العثمانية والجزائر، علماً بأن الأوقاف كانت تُمثل ربع ثروات العالم الإسلامي، وأن ثلث منازل العاصمة الجزائرية كانت موقوفة للأعمال الخيرية عند الاحتلال الفرنسي لها عام ١٨٣٠م، وأن ربُع الأرض الزراعية في تونس كانت أوقافاً كذلك قبل احتلالها. عملية سحب الأوقاف بدون شك أضعفت التعليم الديني وأفقدته مصدر الإنفاق عليه مما أضعف

(١) بتصرف، أسامة الخولي، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ص١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مؤسساته التعليمية: المدارس والمعاهد والكتاتيب التي كانت تمد المدارس والمعاهد بما تحتاج إليه من دارسين.

- **ضعف حيوية المدارس والجامعات الشرعية وغياب تطويرها كان نتيجة طبيعية للنقطتين السابقتين:** هذا أدى لإنشاء تعليم منافس للتعليم الديني، وسحب الأوقاف التي كانت تموّله وتغذّيه حتى أصبحت المدارس والمعاهد والجامعات المُلحقة بالمساجد كالأزهر والزيتونة ضعيفة الحيوية، وذلك لعدم إقبال الناس عليها؛ نتيجة عدم أخذ متخرجيها كموظفين في الحكومة من جهة، وفقيرة لسحب الأوقاف التي كانت تمولها، وتجعلها تستغني عن الحكومات من جهة ثانية. إن هذا الضعف الذي كانت أسبابه ما ذكرناه سابقاً وغيرها، جعل هذه الجوامع الإسلامية لا تستفيد من طفرة العلوم التي شهدتها الحضارة الغربية، لتلاحق الغرب، وتستكشف آفاق تطوّره، وتستفيد من بعض الأمور والنتائج الطيبة في الحضارة الغربية والتي لا تتعارض مع المفاهيم الإسلامية ولكن وللأسف لم تقم بكل هذا نتيجة ضعف حيويتها، لذلك بقيت العلوم الإسلامية في كل المجالات كما كانت عليه قبل قرنين أو أكثر دون أي تغيّر حتى على مستوى الخطاب الديني والدعوي ظللنا هناك نبحث في كُتب التراث دون اجتهاد أو تجديد إلا بعض الجهود الفردية الضعيفة التي لم تستطع إخراج الأمة من تيهها العظيم. ومما يؤكد ضعف حيوية هذه الجامعات الإسلامية أن معظم الإبداع الذي شهدناه في القرنين الماضيين كان خارج نطاق هذه الجوامع الإسلامية.

على ضوء الصورة السابقة، فما أبرز مخاطر التغريب[1]؟

- **ضياع قسم من أبناء الأمة:** سيؤدي اصطراع القيم الوافدة والقيم الموروثة إلى ضياع قسم كبير من أبناء الأمة؛ لعدم استطاعتهم حل هذه الإشكالية بشكل صحيح من جهة، ولعدم تلاؤمهم مع القيم الوافدة من جهة ثانية، ولعدم

(١)عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، ط٢، ١٩٩٩م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

استطاعتهم الاحتفاظ بقيمهم الموروثة من جهة ثالثة، وليس من شك بأن ضياع قسم من أبناء الأمة خسارة لنا بكل الموازين.

- **فقدان الهويّة:** قد يؤدي التغريب ونجاحه ضمن الصورة التي عرضناها إلى فقدان أمتنا لهويتها، وتصبح مجرد تابع للغرب يدور في فلكه، وهذا خطر حقيقي يهدد أمتنا ما لم تستدرك ذلك بزيادة عوامل مناعتها، وليس أدل على ذلك من قلّة حجم الإبداع الثقافي المساهم في الحضارة الإنسانية بالمقارنة مع دول وشعوب أخرى.

في الحقيقة هذه المخاطر مازالت قائمة وقد تقوى بفعل عدم معرفتنا لها أو اعترافنا بها، وفي نفس الوقت قد تضعف بفعل نمو وعينا وتعاملنا معها على النحو المطلوب وقد تضعف أيضاً بسبب ما تحمله في داخلها من بذور لا تتماشى مع الفطرة الإنسانية السوية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

وسائل القضاء على الخلاف

ليس من الحكمة أن نُنكر أننا في وضع المهزوم المُهان، وليس من الحكمة أن ننفعل ونقول أننا مسلمون على الصورة التي يرضها الله ويرضها رسوله، فهذا أمر لن يُفيد، ولكن الاعتراف بالمرض هو أول طريق البحث عن العلاج وتقبل العلاج معناه تقبل المعاناة في تناوله بل ودفع تكاليف هذا العلاج؛ وكلما كانت درجة الإيمان بالمرض قوية كانت الرغبة والتضحية للوصول إلى العلاج على نفس الدرجة.

فنحن هنا سنبحث مع الباحثين وهم في الحقيقة كُثر في سبيل للخروج من هذا التيه العظيم والسبيل الأجدى هو تعميق انتماء المسلمين إلى أمتهم الإسلامية بزيادة معرفتهم بدينهم، وتمتين ارتباطهم بإسلامهم في كل مجال: في التربية، والاقتصاد، والاجتماع، والشّارع، والنادي، والمعهد والسوق وفي البيوت والطرقات... إلخ. إن هذا التمتين للارتباط بالإسلام له حكمة أبعد من المحافظة على هويّة الأمة فقط، بل يتخطى ذلك إلى إعطاء فرصة لأمتنا للمساهمة في إغناء الحضارة المعاصرة إن لم يكن المساهمة في إنقاذها من أزمتها التي تحدّث عنها علماء الغرب أنفسهم تلك الحضارة التي تطير في السماء بجناح واحد فهي تتخبط رغم علوها. فالحضارة والتعاليم القادرة على إنقاذ أمة التوحيد أولاً وإنقاذ البشرية ثانياً هي الحضارة الإسلامية بكل مكوناتها لأنها لا ترفض الجديد ولا تتحجر في بوتقة الماضي بل هي من الجانب الفكري العملي لقادرة على احتواء كل جديد. نحن هنا ونحن نحاول تلمس طريق العودة فنحن على يقين بأن الناس عائدون إلى الله؛ عائدون إلى منهجه في هذه الحياة؛ وأن المستقبل لهذا الدين لا شك في ذلك. نحن على يقين كذلك أن كل الجهود التي بُذلت أو سوف تُبذل لزحزحة هذا الدين عن طبيعته كمنهج للحياة البشرية الواقعية، في كل مجالاتها العملية والشعورية؛ سوف تبوء بالفشل والخيبة. وقد بانت بوادر الفشل والخيبة لكل ذي عينين. لأن هذه العزلة ليست من طبيعة هذا

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدين. الدِين في أصله وفي أهدافه منهَج حَيَاة منهج تعامل بين الناس ومن خلال هذا المنظور نجد أنه لم يكن هناك دين إلهي هو مجرد عقيدة وجدانية، منعزلة عن واقع الحياة البشرية في كل مجالاتها الواقعية، ولا مجرد شعائر تعبدية يؤديها المؤمنون بهذا الدين فرادى أو مجتمعين، ولا مجرد مجموعة من القوانين التي تتصل بالزواج والطلاق وتوزيع التركات فالدين يشمل ذلك وأشياء أخرى فلا يجوز أن نأخذ بعض الدين للتحاكم به فيما بيننا بينما تحكم سائر نواحي الحياة شريعة أخرى مستمدة من مصدر آخر، تؤلف منهجاً آخر للحياة غير منبثق انبثاقاً من دين الله(١).

وللحقيقة هذا الطرح ليس دعوة للثورة على الوضع الحالي بقدر ما هي دعوة للتعامل معه وفقاً لمحددات نراها لا تخرج عن شريعة الرحمن، ونحن هنا يجب أن نستحضر كل ما من شأنه أن يُساعدنا في هذا الطريق يجب أن نستحضر تجارب الماضي بما فيها من فشل ونجاح ونستحضر الحاضر بما فيه من عوامل إيجابية وعوامل سلبية ومؤثرات مختلفة ونحن نتحرك في البحث عن سُبل النهوض لا يجب أن ننسى أو نُهمل النقاط الآتية:

- **الغرب جزء من أمة الدعوة:**

لا يجب أن ننظر إلى عموم المواطنين الذين يعيشون في البلاد الغربية على أنهم أعداء بل يجب أن نتذكر أنه من المعلوم بالدين بالضرورة عموم بعثته صلى الله عليه وسلم، فهو رحمة الله للعالمين، ورسوله إلى الناس أجمعين، الغرب والشرق في ذلك سواء، ولهذا شاع في المصطلحات الإسلامية بعض التعبيرات مثل: أمة الدعوة وأمة الإجابة، أمة الدعوة هي العالم بأسره، وأمة الإجابة هم من آمن به صلى الله عليه وسلم، واتبع النور الذي أنزل معه، وللغرب في هذه المنظومة من الخصوصية ما ليس لغيرهم من بقية هذه الأمة، فجذورهم ترجع في الجملة إلى أهل الكتاب، ولأهل الكتاب من الخصوصية ما

(١) سيار الجميل، "العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير من أجل العرب والمسلمين في القرن الحادي والعشرين"، عمان، الأهلية للنشر، ط٢، ٢٠٠٠م، ص ١٨٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ليس لغيرهم، فقد أباحت الشريعة طعامهم، وأحلت نكاح نسائهم، بما لم تجزه مع فئة أخرى من غير المسلمين، وعقدت لأهل الكتاب الأمان في مجتمعاتها، وأعطتهم على ذلك ذمة الله ورسوله، وللنصارى منهم اعتبار أخص ورد ذكره في كتاب الله عز وجل عندما قال تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (١)، وقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم هي في الأصل دعوة لتحرير البشرية كل البشرية، دعوة لتحقيق حقوق الإنسان جنس الإنسان الذي هو خليفة الله في أرضه، تخرجه من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام وكانت الرسالة الأولى المنوطة بهذه الأمة هي حمل هذا النور النبوي إلى مختلف أرجاء الأرض، وفتح مغاليق القلوب لهذا الحق، فالأمر إذن ليس خصوصية عداء للغرب، ولا خصوصية موالاة للشرق، فإن كلا من الغرب والشرق يشتمل على البر والفاجر، وينتظم في سلكه المسلم والكافر، ولا يعقد ولاء ولا براء في الإسلام على غرب ولا شرق، ولا على جنسية أو انتماء لقبيلة أو بلد وإنما ينعقد الولاء والبراء على أساس الإيمان بالله ورسوله، فقد حرر الإسلام بني البشر من التعصب للأعراق والألوان والألسنة، ومحض ولاءهم للحق الذي نزل من عند الله، وأمرهم أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وهو بهذا لا يفرق بين من يُقيم في دار الإسلام أو يقيم خارجها، فهذه شريعة عامة تُخاطب المسلم أينما كان، فوق كل أرض وتحت كل سماء، فالمسلم لا ينصر أحدا على باطل، مسلما كان أو غير مسلم، فرداً كان أو كياناً سياسيا، غربيا كان أو شرقيا، قال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آَبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ

(١) سورة المائدة آية رقم (٨٢)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[١] أي أن المؤمنون بدين الإسلام لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين سواء كان هذا القرب قُرب نسب أو ديار، وقال تعالى : ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[٢] فأمر تعالى بمعاداة من حاد عن الحق فطغى، واستحب العمى على الهدى، ولو كان من أقرب الأقربين، فالقضية إذن ليست موقفاً يقفه المسلم ضد الغرب عامة، ولا ضد دولة بعينها منه بصفة خاصة، وإنما هو منهج عام، الشرق والغرب فيه سواء، فلو أن أحدا من بني قومه تعدى وجار، فإن نصرته له أن يضرب على يده، وأن يمنعه من الظُلم، لا أن يشاركه فيه، أو يعينه عليه، فإن من نصر قومه على الباطل، فهو إمّعه أو كالبعير الذي تردى، فهو ينزع بذنبه![٣]، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فنحن نرى هذه الصورة التي يصورها لنا صلى الله عليه وسلم هذا الرجل الذي يسير في ركاب قومه وهو ينصرهم بالباطل كهذا البعير الذي سقط فهو يُحرك ذنبه ولكن لا يستطيع الفكاك من الهوة التي سقط فيها؛ وقد رأينا في تاريخ الإسلام من ذلك العجب ورأينا أن قادة المسلمين يخافون من نُصرة المسلم أو القريب إذا لم يكن الحق في صفه. لقد رأينا كيف حرر الإسلام أتباعه من وصمة التعصب الأعمى للقبيلة أو العشيرة، بل ولأواصر النسب والرحم والقربى، عندما لا تكون على الحق، ولقد كانت غزوة بدر امتحاناً لهذا المعنى في نفوس المؤمنين، فانتصر الولاء للإيمان على الولاء لكل ما سواه، ولن تنسى ذاكرة التاريخ ما وقع في فتح سمرقند عندما قام أهلها برفع شكواهم إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز على القائد الفاتح، لأنه دخل عليهم ديارهم قبل دعوتهم إلى الإسلام، فأمر قاضيه أن ينصفهم، فقضى ببطلان الفتح، وإخراج الجيوش الفاتحة المنتصرة خارج سمرقند،

---

(١) سورة المجادلة (٢١)

(٢) سورة التوبة آية (٢٤).

(٣) سنن أبي داوود، من طريق بن مسعود (٤٤٥٦).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى تستوفى إجراءات الفتح كافة، كما جاءت في النصوص الشرعية، وانسحبت القوات فعلاً، وكان ذلك سببا في إسلام أغلب أهل سمرقند!، ولو قلبنا في صفحات التاريخ المسلم وفي القضايا التي رُفعت من عوام الناس أو حتى من غير المسلمين ضد قمم سامقة من المسلمين في مجتمعاتهم آنذاك وكيف صارت هذه القضايا لرأينا الشيء العجيب.

- **ليسوا سواء**

نعم هناك جيوش من الكفار تُحاربنا وأجهزة مخابرات تعمل ليلاً ونهاراً ضد الإسلام ولكن في المجمل لا نستطيع أن نخرج عن أصول ديننا فهم ليسوا سواء في هذه العداوة فأهل الملل الأخرى في الغرب أو غيره ليسوا سواء، فكما أن أهل البدع الموافقين لهذه الأمة في أصل الدين ولكنهم يخالفونهم في بعض الأصول الكلية القطعية ليسوا سواء: فمنهم الرؤوس والأئمة ومنهم العامة وأشباه العامة وبين هؤلاء وأولئك مراتب، ولكل فريق من المعاملة والأحكام ما يستحقه، ومن الظلم البَيّن أن نُعامل الجميع بطريقة واحدة وهنا نجد قول لابن القيم – رحمه الله – في الطرق الحكمية نعتقد أنه مُفيد في هذا الموضع وهذا القول هو : فأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام ولكنهم مخالفون في بعض الأصول كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم فهؤلاء أقسام(١):

فمنهم الجاهل المُقلِد الذي لا بصيرة له فهذا لا يُكفر ولا يُفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى وحُكّمهُ حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً.

ومنهم: المتمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته ولذته ومعاشه وغير ذلك فهذا مفرط مستحق للوعيد آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته فهذا حُكّمهُ حكم أمثاله من تاركي بعض

(١) للمزيد، ابن القيم "الجواب الكافي" ط٦، ٢٠٠٣م بيروت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الواجبات فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى رُدت شهادته وإن غلب ما فيه من السنة والهدى قُبلت شهادته.

ومنهم: من يسأل ويطلب ويتبين له الهدى ويتركه تقليداً وتعصباً أو بغضاً أو معاداة لأصحابه فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقا وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل[1].

نقول: إذا كان هذا التفصيل في أهل البدع على النحو الذي أوضحها ابن القيم رحمه الله، فإن هذا المبدأ يرد في أهل الملل الأخرى، فإن أهل الملل الأخرى المخالفين لهذه الأمة في أصل الملة ليسوا سواء: فمنهم المسالمون ومنهم المعتدون، ومنهم الجهلاء ومنهم المعاندون، ولكل فريق حكمه، وما يناسبه من ألوان التعامل، وقد جعل الله لكل شيء قدرا، ولم تأت شريعة الله عز وجل بالتسوية بين المختلفين ولا بالتفريق بين المتماثلين، وبالعدل قامت السماوات والأرض، وقد تفاوت هديه صلى الله عليه وسلم في معاملة أهل الملل الأخرى من القتال إلى الموادعة المطلقة أو المؤقتة حسب ما يستحقه كل فريق وحسبما تقتضيه المصلحة العامة لجماعة المسلمين، وهكذا ينبغي أن يكون مسلك من يرثونه ويقومون في الناس مقامه. ولهذا فإن من الخطأ البين هذا التعميم الذي نلمسه من بعض المشتغلين بالعمل الإسلامي في بعض المواضع عندما يصنف أمة بأكملها أو قارة بأكملها في موقف المحارب بإطلاق أو المسالم بإطلاق، فلم يزل في كل أمة المسالمون والمعتدون والجهلاء والمعاندون، فالتسوية بين القادة والمقودين والتسوية بين الرؤساء والمرؤوسين، وإطلاق القول بأن الجميع محارب والجميع في مقام التهييج على هذه الأمة من الإطلاقات الفاحشة التي تحتاج إلى مراجعة، وقد رأينا مظاهرات حاشدة في مجتمعات كثيرة تعلن رفضها لسياسات قادة بلادها وتأييدها لحق الشعوب المُعتدى عليها في الانتصار والمقاومة، ومن هؤلاء من حوكم، وتعرض لعقوبات جائرة بسبب هذه المواقف، والذي يقتضيه العدل وتقتضيه المصلحة العامة للإسلام والمسلمين

(١) د. السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٢٣٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تثمين مواقف هؤلاء، والتمييز بينهم وبين المعتدين من بني جلدتهم، بل واستثمار مواقفهم في نصرة الحق الإسلامي، وإقامة الحجة على الذين ظلموا منهم!

- **البر والقسط هو أساس العلاقة في التعامل مع المسالم من غير المسلمين**

لم تستطيع أمه أن تحتوي المخالفين في داخلها والسماح لهم بالعيش داخل المجتمع المسلم مثل الأمة المسلمة فقد قال تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[١] والبر هو أعلى درجات حُسن الخلق، ومنه بِرُ الإنسان لأمّه وأبيه، وقد ندبت إليه الآية الكريمة في التعامل مع المسالمين من غير المسلمين. وقال تعالى: ﴿ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً﴾[٢] ومن ذلك كفالة حقوقهم، وحفظ عهودهم، ومواساتهم في مصابهم، وتهنئتهم فيما لم يكن من خصوصيات دينهم من مناسبات اجتماعية، وإقامة العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتبادل الخبرات في مختلف مناحي الحياة، وغيره[٣].

ومن صور البر والقسط وقوع التعاون المثمر والعادل معهم في كل ما يمثل مصلحة مشتركة للفريقين، وقد رأينا حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن حلف الفضول وكان ذلك في الجاهلية، حيث اجتمع رؤساء قريش وزعماؤها وتعاهدوا فيما بينهم على: مساعدة الضعيف، وإغاثة الملهوف، ومساعدة المحتاج، ولقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وقال في الإسلام بعد ذلك: "لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حِلفاً ما أحبّ أنّ لي به حُمر النِّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبت"[٤].

وقد تنشأ بعض الوشائج النفسية مع فريق من غير المسلمين لاعتبارات اجتماعية كقرابة أو مصاهرة أو مصلحية كتجارة وتبادل منافع ونحوها وهي لا تزال في إطار العفو، ما لم تحمل على إبطال حق أو إحقاق باطل أو إسقاط واجب أو

---

(١) سورة الممتحنة الآية (٨).

(٢) سورة النساء، الآية (٩٠)

(٣)الدكتور يوسف القرضاوي، "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي"، طبعة بيروت ٢٠٠٦م ص٢٠٤.

(٤) مصدر سابق، سيرة بن هشام.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعل محرم أو تزين مظاهرتهم على المسلمين، وكل ما جاء في القرآن من النهي عن موادة القوم إنما ينصرف إلى المحاربين منهم، وقد أجاز الإسلام الزواج بالمحصنات من الذين أوتوا الكتاب، والمصاهرة تنشئ من الوشائج النفسية ما لا يُجحد، ولكن هذه الوشائج ليست من جنس الحب في الله الذي جعله الله تعالى وقفاً على جماعة المسلمين، فالمسلم أخ المسلم، ولو لم يلقه في حياته، ولو لم يدخل معه في معاملة قط، ومحبته لله في الله لا تزيلها الخلافات الطارئة ولا الاختناقات العابرة، فهي رابطة وثق الله عراها بيده فلا يحل لأحد أن يفصمها كائنا من كان، أما محبة غير المسلم فهو التي تنشئها مثل هذه الاعتبارات، توجد بوجودها وتنهي بانتهائها[1].

- **تعظيم عقود الأمان والوفاء بمقتضياته**

غير المسلمين يأمنون على حياتهم وما يملكون في المجتمع المسلم ومن معالم العلاقة مع الغرب خاصة أو مع غير المسلمين بصفة عامة تعظيم ما يعقد معهم من عقود الأمان والتي تمثلها المعاهدات والاتفاقات الدولية المعاصرة على مستوى الدول، أو تأشيرات الدخول والاستقدام على مستوى الأفراد والأمان عهد بالسلامة من الأذى، ويعرفه الفقهاء بأنه عقد بين المسلم وغير المسلم على الحصانة من لحوق الضرر من كل منهما للآخر، سواء منه أو ممن وراءه، إلا بحقه، ومثله الجوار، وقد ذكر البخاري في صحيحه فقال: (باب أمان النساء وجوارهن) فإذا أعطوا الأمان لأهل الحرب حُرم قتلهم والإضرار بمالهم أو التعرض لهم.

ونحن لدينا في عقود الأمان ثلاثة أقسام هي : الأمان، والهدنة، والذمة.

- فإن تعلق الأمان بعدد محصور فذلك الأمان.
- وإن كان إلى غاية فتلك هدنة.
- وإن كان مؤبدا فهذه هي الذمة.

والهدنة والذمة من أعمال السيادة التي تفوض إلى السلطة العامة، بخلاف الأمان فإنه حق لهذه السلطة ولكل مسلم بالغ عاقل.

---

(١) مرجع سابق (دكتور القرضاوي) ص٩٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المحافظة على الحرمات خارج ديار الإسلام**

من سمات المسلم في تعامله مع غير المسلمين وفي حالة تواجده في المجتمعات الغير مسلمة أو المجتمعات الغربية بمفهومنا الحديث بذل حقوقهم في الدعوة إلى الله عز وجل، وتألف قلوبهم للإسلام خاصة ممن يقيم بين أظهرهم من المسلمين، فإن على المسلم المغترب خارج ديار الإسلام رسالة سامية تتمثل في حفظ الإسلام على أهله ودعوة غير المسلمين للإسلام، وأول ذلك أن يُحافظ المسلمون على هويتهم في هذه المجتمعات باجتماعهم على الإسلام وتحاكمهم إلى الشريعة، وإقامة ما يتسنى لهم إقامته من معالم الدين وأن لا يستبيحوا شيئا من المحرمات بحجة الإقامة خارج ديار الإسلام، فإن المسلم مُطالب بتقوى الله حيثما كان، والدعوة بلسان الحال أبلغ من الدعوة بلسان المقال، فإن حال واحد في ألف واحد أبلغ من مقالة ألف واحد في واحد، ونحن نؤكد على هذا المعلم نظراً لما شاع في بعض أوساط بعض الجاليات الإسلامية المقيمة في المجتمعات الغربية من الترخص في بعض المحرمات القطعية في الشريعة بدعوى أن المسلم ليس ملتزماً بإقامة أحكام الإسلام الاقتصادية والمالية خارج ديار الإسلام، وإنه يُباح في دار الحرب من العقود الفاسدة ما لا يُباح مثله داخل ديار الإسلام، وقد ترتب على ذلك استباحة كثير من هذه الحرمات مما يوشك أن تنتقض معه عُرى الإسلام عروة بعد عروة في هذه الأوساط وفي ذلك من الخطورة على حاضر الدعوة ومستقبلها في هذه المواقع ما فيه، الأمر الذي يقتضي ضرورة التنبيه والنكير، إذ لا شيء يحمل الناس على الإصغاء لدعوة الحق في هذه المجتمعات مثل أن يكون الدعاة إليه والمتبعون له ممن يقيمونه في حياتهم، فيحلون حلاله ويحرمون حرامه، وكما قال الفاروق عُمر بن الخطاب أدعوا إلى الله وأنتم صامتون قالوا كيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أدعوا إلى الله بأعمالكم. فأقيموا الإسلام في نفوسكم تفتح له أسماع الآخرين وأفئدتهم، وإن من أفضل وسائل البلاغ في هذا المجتمع إقامة جالية مسلمة قوية تحل الحلال وتُحرم الحرام وتقف حيث أوقفها الله ورسوله، وتقدم للناس في هذه المجتمعات شهادة الواقع بعد شهادة النصوص والأدلة أن الحياة في رحاب الإسلام نعمة لا تعدلها نعمة، وأنها ممكنة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وليست ضرباً من الخيال أو ضغثاً من الأحلام! ولا يخفى أن انتشار الإسلام في كثير من بقاع العالم كان من خلال التُجار الدعاة الذين حملوا أخلاق الإسلام إلى هذه المجتمعات ففتحوا بها قلوبهم واستنارت بها بصائرهم واستجابت لدعوة الحق. فهناك دول بكاملها لا يُعرف لها فاتح ولكنها فُتحت بفضل التُجار المسلمين حيث كانت معاملاتهم تُمثل أخلاق الإسلام؛ فإقامة الإسلام في هذه البلاد يتخطى مجرد الامتناع عن شرب الخمر أو أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، ولكنه يذهب إلى التعاملات بشكلها الكامل من صدق وأمانة وعفة وغيرها[١].

- **إعلان النكير على المعتدين**

عندما نستعرض ما سبق من معاملة المسالم لأهل الإسلام من غير المسلمين فإن للذين ظلموا منهم منهجا آخر في التعامل يبدأ من إعلان النكير والاحتجاج بالكلمة وإعلان العداوة والمقاطعة ونحوه، وينتهي بالقتال بحسب مدى تحقق القدرة وتوقع الظفر وغلبة المصلحة، وفي حالة الحرب لا يجب أن ينسى المجاهدون أنهم في مهمة أخروية فالهدف من الجهاد والشهادة هي نوال رضا الله وبذلك يجب أن يكون القتال منضبط بضوابط الشرع الحكيم.

في الحقيقة إن البيان السابق كان لا بُد منه لتوضيح كيف يتعامل المسلم مع هذا العالم الذي يموج بالكفر في كل مكان، هذا البيان السابق في هذا المبحث يوضح أن الإنسان المسلم عليه أن يتجنب كل ما من شأنه أن يتصادم مع الآخرين فالمسلم يألف ويؤلف والمسلم مُبارك أينما حل. المسلم يعتقد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث رحمة وهادياً ولإنقاذ هذه البشرية ووضع الأغلال التي أدمت الأيدي والأعناق ليسير السائر على هدى في توافق مع فطرة الله وتلك القوانين والنواميس الكونية، هذا المسلم في حاجة إلى تربية وإعداد ولا يكون ذلك إلا في ظل وجود مؤسسة تتواجد في المجتمع المسلم بكثافة ويدخلها المسلم في كل وقت صلاة يتردد عليها أبناء الحي الواحد في اليوم خمس مرات وأبناء المنطقة كل يوم جمع وأبناء

(١) مرجع سابق (دكتور القرضاوي) ص١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القرية أو المدينة في صلاة العيد هذه المؤسسة هي المسجد. فالمسجد هو عمود من أعمدة المجتمع المسلم ولن تقوم لهذه الأمة قائمة إلا بعد أن يعود للمسجد دوره الذي بُني من أجله..... فما هو هذا الدور؟

المسجد في الإسلام(١)

كان أول ما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم عند هجرته للمدينة المنورة هو بناء المسجد وما كان ذلك إلا لإيمانه وعلمه صلى الله عليه وسلم بأهمية هذه المؤسسة الكُبرى في الإسلام فالمسجد أكبر من أن يكون دار عبادة تعالى المسجد عن ذلك علواً كبيرا المسجد في المجتمع الإسلامي له أهمية كُبرى ليس كمؤسسة تُقام فيها الجماعات فقط ولكن للمسجد دور في تنمية المجتمع وترشيده، المسجد له دور في تشكيل الفرد المسلم، بل إن المسجد ميدان تعليم وتطبيق في لحظة واحدة. وقد يكون هناك ملمح أخر فمن الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله أن الأرض جُعلت مسجداً وطهورا وهذا يؤكد أن أخلاق المسلم يجب أن تكون في كل الأرض لأن كل الأرض هي مكان عباده هي مسجد مفتوح، أما المسجد فهو المؤسسة المعنية بتعليم الناس وتخريجهم وتعليمهم كيف يتعاملوا خارج المسجد، تعليمهم كيف ينضبطوا في الصفوف..... كيف يستقيموا... وكيف يسدوا الفرج في الحياة بصفة عامة.

المسجد هو المكان الذي يتفق في تقديسه واحترامه الجميع؛ لأنه المكان اللائق الذي يجب أن يكون موضوع إجلال من الجميع، وعلى النتائج الحاصلة من هذا التطبيق ينعكس في نفسية المسلم وعلى سلوكه ما يهدف إليه المسجد خارج حدوده، وهذا ما جعل من المسجد مكاناً هاماً له أثره الأكبر في بناء المجتمع الإسلامي. فالمسجد ليس معبد وليس مكاناً لأداء الصلاة فقط، ولكن المسجد هو المسئول عن تنمية المجتمع وحل مشاكله فمن هنا يجب أن تُفتح أبواب المساجد للصلاة، ولتوجيه المجتمع توجيهاً إسلامياً سواء من خلال المنبر أو حلقات العلم

(١) انظر: فصول ومسائل تتعلق بالمساجد، للدكتور العلامة، عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، مطبعة المدينة المنورة، ٢٠٠٦م ص ٩

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدرس أو لمناقشة الأحداث التي تجري في محيط المسجد وأن يطلب الإمام من الناس المشورة في كيفية حل ما يواجه هذا المحيط من مشكلات. في المسجد يرتفع منسوب الإيمان في نفس المسلم فهو المكان الذي رضيه الله وهيئه للاجتماع والتعارف، وتقوية الروابط الأخوية بين المسلمين، فالصلاة وحدها والتي يظن البعض أنها علاقة بين العبد وربه، هي في الحقيقة شحنة روحية هائلة ودرس أخلاقي واجتماعي ونفسي يدفع الإنسان إلى الطريق الأفضل في حياته وعلاقاته مع الآخرين بسلوك يتسامى ويتعالى لأنه يستمد توجيهه من التربية الإسلامية.

وفقاً لذلك فخلال التاريخ الإسلامي الحافل نجد أن المسجد قد قام بأدوار تربوية متعددة في المجتمع الإسلامي في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين بشكل واضح ومؤثر أكثر من أي عصر مر بعد ذلك، وسنعرض لهذه الأدوار التربوية بدءاً بالتربية الإيمانية وانتهاءً بالتربية الإعلامية وبيان أسباب نجاح المسجد في أداء هذه الأدوار.

- **التربية الإيمانية للمسجد**[(١)]:

لقد قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آَمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[(٢)]. وعندما نتحدث عن عمارة المسجد يجب أن ينصرف الذهن إلى المفهوم الأول الذي وعيه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته فعمارة المساجد أكبر من تشييد الجدران وبناء المآذن ولكن يجب أن ينصرف الذهن إلى عمارة المساجد بالعبادة والاجتماع فيها للجماعة، وبقراءة القرآن والذكر، والاعتكاف وتعليم التوحيد الصحيح هذا هو المعنى الأهم في العمارة. إن مهمة المساجد هي كما بين الله سبحانه وتعالى

---

(١)عبد الرحمن النحلاوي (١٤٠٣هـ) "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع" ط٢، دمشق، دار الفكر ص٢٠٣.

(٢) سورة التوبة الآية رقم (١٨).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بقوله ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾[1].

وذكر الله فيها "عام" يشمل الصلاة نفسها والأذان وقراءة القرآن والتسبيح والدعاء والتضرع إلى الله تعالى بل وطلب العلم الذي في كل منفعة للمجتمع المسلم؛ ولذا حث الإسلام على ارتياد المساجد وحضور الجماعة فجعل ممن يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله – من كان قلبه معلق بالمساجد أي، بالتردد عليها وإقامة الصلاة فيها وعمارتها. وروى مسلم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح"؛ كل هذا لما فيه من اتصال العبد المؤمن بخالقه جل وعلا ولما فيه من القوة الروحية التي يفتقر إليها الإنسان، واستمرار الصلاة في المسجد إمداد للجماعة الإسلامية بالقوى التي لابد منها لإصلاح المجتمع؛ وليس أثر الصلوات مقصوراً على جانب واحد فقط بل هناك عدة جوانب منها النفسي، والجسمي، والعقلي؛ فمناجاة العبد به وتذلله إليه واعترافه بخطاياه وطلب العفو والمغفرة وترك الدنيا جانباً عند الدخول إلى المسجد أمور تدخل إلى النفس طمأنينة وراحة تختل فيها وتريحها من عناء التفكير في الخطيئة والذنب. وكما هو معلوم لا صلاة بغير وضوء والوضوء طهور يحرص عليه المؤمن كلما ارتاد المسجد، والصلاة التي أمرنا الله بها ليست مجرد حركات معينة في أوقات معينة ولكنها خروج من الدنيا وما فيها لبعض لحظات يقف فيها المؤمن بجوار أخيه المؤمن ليقيم الصلاة وليس ليؤديها! والقرآن والسُنة المطهرة ممتلئة بالإشارات إلى أهمية إقامة الصلاة وليس تأديتها، ولكنه يأمر بإقامتها وتعبير الإقامة له مدلول كبير، فيه حضور القلب وإعمال الفكر وصفاء الروح وخشوع الجوارح وطهارة النفس والبدن، وهو الجو الذي يُتيح للقرآن أن يصل إلى غايته، فيتسامى بالنفس فوق دوافع الجسد، ويحررها من أسرار شهواتها ويطهرها من الإثم والعدوان، ويسد فيها منافذ الشيطان ويكيف سلكوها ويطبعه بطابع القرآن العظيم.

---

(١) سورة النور الآية (٣٦)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا شك أن في تلاقي المسلمين في شتى بقاع الأرض والتفافهم حول محور واحد لهو مقصد عظيم من مقاصد الشريعة الإسلامية ووحدة العقيدة والكلمة ومن خلال التوارد على الصلوات المكتوبة جماعة في المسجد تترسخ العقيدة الإسلامية في القلوب وتتعمق روح التعاون وتقوى عُرى التكافل في حياة المسلمين، وتنبثق الأخلاق الكريمة وتنتشر، بل وتتزايد في ظل الإخاء والتسامح والتساوي الذي يظهر في أركان الصلاة أنه لا عنصرية ولا طبقية في الإسلام بل الجميع سواسية عند الله لا تفريق بينهم إلا بالتقوى وهذا يؤدي لتحقيق المبدأ الإسلامي العظيم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(١).

الدور التعليمي:

كان المسجد أعظم معاهد العلمية التي فيها تُدرس كل علوم القرآن والحديث والفقه واللغة وغيرها من العلوم، وأصبح كثير من المساجد مراكز هامة للحركة العلمية، وانصرف بعض فقراء المسلمين لطلب العلم في المسجد النبوي؛ ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يجلس في المسجد النبوي بالمدينة لتعليم المسلمين أمور دينهم وتبصيرهم عاقبة أمرهم حتى كان مجلسه تنافساً بين الصحابة رضوان الله عليهم، كلهم يبغي السبق إلى حضور هذا المجلس العلمي والظفر بالإنصات إلى الدروس النبوية، وكان صلى الله عليه وسلم إذا صلى الصبح انصرف إلى موضع الأسطوانة المسماة اليوم أسطوانة التوبة إشارة إلى توبة أبي لُبابة حيث يتحلق حوله أصحابه حلقاً بعضها دون بعض وكان يحدثهم إلى طلوع الشمس. وكان من الطبيعي بالنسبة لتطور مفهوم العلم في الإسلام أن تنشأ البذرة الأولى دينية محضة، فالناس بحاجة إلى تفهم الدين الجديد ومعرفة قواعده وأصوله، وفهم أهدافه ومراميه، ومن ثم فالمكان المناسب لذلك هو المسجد. فكان المسجد أول مدرسة جماعية مُنظمة عرفها العرب لتعليم الكبار والصغار ولتربية الرجال والنساء.

---

(١) الحجرات آية رقم (١٣١).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من خلال هذه الرؤية نرى أن المسجد لم يكن للصلاة فقط بل كانت الصلاة هي بعض ما يُقدمه المسجد للمجتمع المسلم فكان أيضاً مكاناً للتعليم ومدارسة القرآن الكريم وتفهم معانيه على يدي رسول الله عليه السلام وأصحابه الذين تعهدوا هذا العمل النبيل من بعده وحرصوا على استمرار رسالة المسجد العلمية ابتغاء وجه الله واقتداءً لسنته صلى الله عليه وسلم.

ومن الثابت أن أهل العلم في القرون الأولى لم يتقاضوا رواتب من الحكومات فيما عدا ما نسمع عنه من الجوائز والصلات بين الحين والحين، وهذه ليست رواتب، وقد اعتمد العلماء على أنفسهم وعلى الجماعة في شئون معاشهم ولا شك في أن الجماعة تكفلت بمعاش المعلمين. فكان المسجد هو المدرسة الأولى والجامعة الأولى التي فتحت أبوابها لجميع أفراد المجتمع في الليل والنهار في الصيف والشتاء، ولا ترد طالباً شيخاً كان أو صبياً، ولا تشترط رسوماً ولا تأميناً، ولا تضع قيوداً ولا عراقيل؛ ولم تكن مدرسة المسجد قاصرة على تعليم الفقه وتفسير القرآن الكريم ورواية أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشرحها وتدارس بعض العلوم الإسلامية، بل تطورت المساجد مع تطور الأزمان وفقاً لحاجات المجتمع فأصبحت المساجد مكان لتدريس كافة العلوم الأخرى مثل الكيمياء والفيزياء والهندسة والفلك والطب وغيرها من العلوم التي تُدرس في الجامعات الحديثة الآن.

التربية الاجتماعية للفرد المسلم

عندما نتحدث عن الفرد المسلم والمجتمع المسلم فنحن نتحدث عن مجتمع خاص فالمجتمع الإسلامي مجتمع له خصوصيته أنه مجتمع من صنيعة شريعة الإسلام التي جاءت من لدن رب العالمين ففي المسجد يتعلم إذا غاب أحد الأفراد تفقده الناس؛ وفي المسجد يتعلم الناس بر الوالدين وصلة الأرحام وحق الجوار وحق ابن السبيل في المسجد يتربى المجتمع بأكمله والكل يخرج من المسجد وهو راضي بما سمع بل مطيع عن رغبة وعن حُب لأنه لم يدخل إلى قاعة المسجد إلا حُياً في هذه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التعاليم واشتياقاً إليها.... هكذا كان المسجد ويجب أن يكون إذا أردنا نحن أن نكون[1].

وما من مكان يتجلى فيه هذا القانون الاجتماعي بصورة جلية مثل المسجد إذ يقف لجميع في صف واحد في الصلاة وقد ذابت وانصهرت جميع الفوارق التي تميز بعضهم عن بعض؛ إن وحدة المجتمع الإسلامي وتكاتفه وقوته مستمدة من أمور منها عدم التفريق بين الأجناس والطبقات والأعمار، لذا أصبح هذا المجتمع كالجسد الواحد إذا اشتكى فيه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. ليس هذا في الصلاة فحسب بل حتى في المعاملات الشرعية والشخصية، والاجتماعية في الحياة. إن المسجد هو المكان الطبيعي الذي يجمع المسلمين لغرض واحد وبنية خالصة خلف إمام واحد لا يتخلفون عليه، هذا الاجتماع الذي يوحي بالتآلف والوحدة، هو السبيل إلى السيطرة على طبائع النفوس ونزعاتها فبداخل المسجد يتربى المسلم على تطهر نفسه وتصحيح عقيدته في القرب من ربه، سراً وعلانية، وفي داخل المسجد يتربى المسلم على الاتصال بإخوانه المسلمين والسؤال عنهم... وتقوية الروابط الاجتماعية بينه وبينهم مما يجعله يهتم بجميع شؤونهم، وفي اجتماع المسلمين في المسجد يشعر الجميع بالقوة والانتماء للجماعة مما يجعل الفرد منهم يشعر بالطمأنينة ويحس بالراحة النفسية والكرامة والأمان.

ويتجسد خارج المسجد هذا الشعور الاجتماعي في تعامل المسلمين وتفاعلهم في شكل أمة واحدة داخل الفرد الواحد بحكم ما اكتسبوه من القيم والفضائل في المسجد.

ومما لا شك فيه أن اعتياد المسجد والتردد عليه ينعكس على سلوك الفرد في مجتمعه وبذلك يحمل الفرد المسلم في سيرورة نفسه روح الجماعة التي يقف معها بين يدي الله مما يجعله يسعى إلى الحفاظ على كيان المجتمع الذي هو جزء منه؛ وما الأمة إلا تلك المجتمعات المكونة من الأفراد؛ ففي المسجد يرتبط الفرد المسلم بمجتمعه المحلي الصغير ثم يجد نفسه يرتقي في التفكير حتى يرتبط بكل قضايا

(١) د. صالح بن غانم السدلان "الأثر التربوي للمسجد" بيروت لبنان ٢٠٠٤م ص١٨.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسلمين بل ويرتبط بالحي والميت من المسلمين ولا يوجد هذا إلا من خلال المسجد؛ وعندما نتكلم عن الفرد المسلم وعلاقته بالمسجد فهذا الفرد يأتي إلى المسجد دون تمييز بين غني وفقير أو بين ذكر وأنثى فقد دخل مسجد النبي كل أفراد المجتمع.

ونحن نرى المسجد النبوي من خلف هذه السنوات الطوال قد علمنا ما لم نكن لنتعلمه لو لا إنا مسلمون علمنا صلى الله عليه وسلم أن المسجد قادر على تقديم الرعاية والعناية الاجتماعية للمعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى وهذا ما يحتاج إلى تعقيدات تقوم بجزء منه المؤسسات الاجتماعية في أرقى أمم العالم تقدماً وتطوراً في هذا المجال.

ولا نُبالغ إذا قلنا أن المجتمعات المسلمة بقيت قوية متماسكة في ظل أصعب الظروف حتى بعد أن اندثرت الدولة وانهارت النُظم الإدارية التي كانت تنظم للناس أمور معاشهم لأن كل فرد من أفراد المجتمع الإسلامي يحمل في أعماق روحه روح الجماعة التي تفرض عليه مد يد العون لأخيه المسلم دون أن يسأله من هو أو من أين أو ما إلى ذلك، بل إن المسلم ليجد متعة وهو يسير لتفريج كرب مسلم آخر أنه يدين بعقيدة التوحيد مثله سواء بسواء؛ ومن هنا جاءت عظمة هذا الدور الذي قام به المسجد. فالمسجد مكان لتلاقي أجزاء الجسد التناثر في الأعمال والأشغال فإذا نودي للصلاة تداعت أطراف هذا الجسد للدخول في الصلاة يكونوا كما قال الإمام الأول لهذه الأمة صلى الله عليه وسلم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحُمى والسهر.... هذا هو المسلم يشعر أنه فرد في عائلة كبيرة وقبلية ممتدة من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها أسمها عائلة إبراهيم .... ملة أبيكم إبراهيم.... هو سماكم المسلمون.. هذه الرابطة تقذف في نفس المسلم خليط من العزة والقوة وحُب الجماعة... الحب الذي يُعطي وليس حب المتسول المنتظر للعطاء فهذا المسلم تعلم في المسجد أن اليد العُليا خير من اليد السفلى وأن ملائكة الله في عليائه تحف طالب العلم والذاكرين؛ من هذا كله يتضح لنا الدور الاجتماعي الذي كان يقوم به المسجد باعتباره جزءاً من دوره التربوي في المجتمع الإسلامي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المسجد دار علاج وتطبيب

اتخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – من المسجد مكاناً لعلاج المرضى، ففي غزوة الخندق لما أصيب سعد بن معاذ – رضي الله عنه – ضرب النبي – صلى الله عليه وسلم – له خيمة في المسجد يعالج فيها ليعوده من قريب، وقامت على تطبيبه رفيدة الأسلمية. ونرى أن هذه المرأة مكثت في المسجد لكي تقوم بعلاج هذا الرجل المريض الجريح وغيره من المرضى ونرى أن هذا الدور قد تطور فلا مانع من أن يكون في المساجد مشافي ومدارس يقوم عليها نساء لكي تُعلم نساء المسلمين بعض المعلومات الطبية التي لا تستغني عنها الأمهات أو تقوم المساجد بعلاج مرضى المسلمين بالطريقة التي يراها أهل كل بلد وكل حي. كما يتبين من هذا الأمر أيضاً مشاركة المرأة لجوانب العمل الاجتماعي دون خدش لحيائها، أو تفريط في دينها[١].

ومن الأشياء التي لا يُمكن فصلها عن المسجد حرص كل من يذهب إلى المسجد بنظافته الشخصية فلا مسجد بغير صلاة ولا صلاة بغير وضوء ولا وضوء بغير طهارة فكانت من سنته صلى الله عليه وسلم أن الطهور شكر الإيمان. فلنا أن نتخيل مجتمع يذهب أفراده إلى المسجد على الأقل خمس مرات ويتطهرون ويتوضؤون ويستاكون ويلبسون أفضل ما عندهم من الثياب ماذا سيكون حال هذا المجتمع هل ستنتشر به الفاحشة أو الرزيلة أو سيكون بينهم نمام أو لمّاز أو سارق أو مرتشي... نعم سيكون ولكن في أقل الحدود... فقد كان يمر الحول كاملاً ولا تُسجل جريمة من هذه الجرائم عندما كان المسجد يُدار بهدي من الله وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

المسجد مكان لعقد الزواج

فلقد سن صلى الله عليه وسلم أن يعلن النكاح في المسجد، فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "أعلنوا النكاح،

---

(١) علي عبد الحليم محمود، "المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي". القاهرة، دار المعارف ١٩٩٠م، ص٦٠

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واجعلوه في المساجد، واضربوا عليه بالدفوف"، ولعل الحكمة من استحباب جعله في المسجد ليشهد المسلمون هذه الفرحة، وإعلان الزواج في المساجد يتماشى مع دورها الاجتماعي الرائد.

المسجد والتربية العسكرية:

كان المسجد باختصار شديد هو المكان الذي يُدير كل حركات المجتمع المسلم حتى قبل أن توجد الدول والمؤسسات بمفهومها الحديث الذي نعرفه فبعد أن ذكرنا ما يقوم به المسجد من دور في التعليم وعقد حلقات العلم وذكرنا أيضاً أثره في بناء المجتمع الإسلامي وتوجيه هذا المجتمع وإرشاده هذا إلى جانب الدور الديني من إقامة الصلاة وتعليم القرآن الكريم بعد هذا كله نأتي إلى دور مهم جداً قام به المسجد، هذا الدور هو الدور العسكري "أو السياسي والحربي" حيث أدى المسجد دوراً إيجابيا وفعالاً في هذا المجال في الوقت الذي لم يكن فيه تنظيم عسكري يضم الجيش أو الشرطة وما إلى ذلك مما ظهر بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وكل ما هنالك أن تحدد مسؤولية قيادة الجيش في رجل من المسلمين ويخرج المسلمون معه ملبين داعين للجهاد في سبيل الله(١).

ولقد كان المسجد الثكنة الأولى في الإسلام؛ ومقر القيادة العسكرية والحربية آنذاك. فقد اتخذ النبي من مسجده مقراً للقيادة، يعد فيه الخطط ويعقد مجالس الجهاد، ويصدر الأوامر وينصت إلى آراء المستشارين، وكان يحشد أصحابه في المسجد، ويشحنهم بطاقات مادية ومعنوية ويحرض المؤمنين على الثبات وينهاهم عن الفرار، ويحذرهم من الفرقة والنزاع، ويأمرهم بالطاعة والضبط ويشيع فيهم الألفة والنظام.

وكانت الغزوات والسرايا تنطلق من المسجد وتعقد – السرايات والأعلام، والبنود في المسجد للمجاهدين؛ "وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتمعون في المسجد حين يداهمهم الخطر، ويعود المجاهدون من الغزوات والسرايا

---

(١) للمزيد انظر في: شيت محمود الخطاب. "الوسيط في رسالة المسجد العسكرية". ط٧ ،١٩٩٠م. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى المسجد وتضمد جروح المصابين، ويتعلم المسلمون أحكام الجهاد في المسجد. ولم يكن دور المسجد مقصوراً على إعداد الجيش وتسييره وعقد الألوية والقيود على القادة؛ بل كان مكان استقبال الوفود التي تفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن من شئون الدولة أو إعلان الإسلام، أو طلب عقد معاهدة أو معونة. وكان المسجد أشبه بقاعة الاستقبال الرسمية، مفتوحة ومهيأة لجميع الوافدين. وقد استقبل فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفد نصارى نجران. كما ساهم المسجد في بناء الجيش الإسلامي وعقد الألوية وحث المسلمين على الصبر وملاقاة العدو والحرص على إعلاء كلمة التوحيد، كذلك كان مركزاً ومقراً لإدارة شئون الدولة أو الولاية، وكان المنبر أشبه بالعرش، يلقى منه بيان الخليفة لسياسة الدولة ويلقي فيه خطبته الأولى ويبين فيها سياسته في الحكم. وفي المسجد تذاع القرارات الهامة التي تتعلق بالصالح العام ويستقبل الخليفة السفراء ويدير شئون الدولة.

وإيماناً بأهمية المسجد والدور الذي يلعبه على مستوى القاعدة العريضة من جماهير المسلمين كان القادة الفاتحون بمجرد فتح بلد يشرعون في بناء مسجد ليكون نقطة انطلاق لكل أرجاء المجتمع وتثبيتاً لدين الله رب العالمين، نقطة انطلاق لإصلاح المجتمع بكل مكوناته[1].

التربية الإعلامية للمسجد:

في العصر الحديث أصبح الإعلام صناعة وأصبح له مدارس يدرسون فيها كيف يؤثرون على توجهات وأفكار الناس بل وعاداتهم بل أصبح الإعلام في هذا العصر من أكبر أدوات إثارة الفتن والنعرات العصبية القائمة على غير هدى. أما عندما نتكلم عن الدور الإعلامي للمسجد في المجتمع المسلم نرى أن المسجد أداة لنشر الفضائل وكبح الشائعات وتعليم الناس كل خير ورفع الرباط الروحي بين الأفراد وربهم من جهة ومن جهة أخرى إصلاح ذات البين بين الأفراد وبعضهم البعض وهذه سمة من سمات الإسلام. فالمسلم يدخل المسجد لكي يرى أهله وجيرانه ثم تأتي

(١) سعيد إسماعيلي علي، "أصول التربية الإسلامية" ١٩٩٠م. القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر ص٥٤

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خطبة الجمعة لكي تستجيش في نفوس أفراد المجتمع ما قد يغفلون عنه فتكون أداة تذكير وتنبيه هذا بالإضافة إلى الدروس والندوات وجلسات المشورة التي قد تُعقد بصورة دورية كدروس تعليم الفقه والسيرة أو تُعقد بصورة غير دورية كاجتماعات التشاور والتناصح والبحث عن طُرق حل المشكلات التي تواجه المجتمع بصفة عامة أو التعامل مع مصيبة حلت بالمجتمع بعيداً عن جو الشائعات وإثارة الفتن. فالأفراد في المجتمع المسلم عندما يلتبس عليهم أمر يردوه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ويسألوا أهل الذكر في كل كبيرة وصغيرة طالبين العلم من أهله[1].

في ساحات المساجد يجتمع أفراد المجتمع وهم على استعداد بدني ونفسي في تلقي كل المعلومات الصحيحة ففي المسجد ومن المسجد تنتشر تلك المعلومات وتموت الشائعات ويقوم الناس بنقل كل ما سمعوه فيبلغوا ولو آية. كما هناك إشارة أخرى وهي أن إقامة الحدود كانت في المسجد والإعلان عن وفاة أحد والصلاة عليه تكون في المسجد وهذا دور إعلامي اضطلع به المسجد وفيه ما فيه من تقوية الأواصر بين جنبات المجتمع المسلم.

وبعد فالتحدث عن دور المسجد لا يُمكن أن يحتويه بحث صغير متواضع هكذا لأن المسجد في المجتمع المسلم هو رأس كل تقدم وهو أساس كل بناء ولكن في موضعنا هذا إنما ذكرنها لأن المسجد هو الطريق الذي نرى أنه من خلاله ستعود هذه الأمة واحدة كما أراده الله.

---

(١) عبد الله البشير "التربية في المسجد والكتاب والخلوة" ١٩٨٠م. مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة ص١٢٠.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

لقد طوفنا خلال هذا العمل الصغير بين العديد من الأحلام والطموحات التي لمعت في رؤوس غالبية المسلمين الموحدين وهم يتساءلون؛ لماذا هذا التفرق، لماذا كل هذا الاقتتال؛ لماذا كل هذا الفشل؟ .... وللأسف الشديد لا تجد مبرر واحد أو جواب مُقنع لأي من الأسئلة المطروحة.. وبصورة أخرى كانت هناك أسئلة على شاكلة لماذا توحد الغربيون، لماذا نرى الولايات المتحدة الأمريكية، والاتحاد الأوربي؟ دول مرهوبة الجانب صعبة المنال. نفس الأسئلة ولكن بصيغ مختلفة ولا نجد لها جواب شافي أو رد سديد. نحن هنا في هذا البحث حاولنا أن نُميط اللثام عن بعض ما قد نكون قد توارى خلف الاحداث أو خلف تحليلات الساسة والعلماء؛ لقد حاولنا شرح الأسباب التي أدت لفشل كل المشروعات الوحدوية التي نادى بها علماء عرب ومسلمون في بعض الأحيان كاجتهاد شخصي مثل ما حدث في منظمة الوحدة أو المؤتمر الإسلامي، أو ما حدث بإيعاز من الدول الاستعمارية القديمة والحديثة مثل ما حدث في تجمع ما يُسمى بجامعة الدول العربية، كما تناولنا بعض التجارب الاصغر حجماً التي كان مآلها جميعاً إلى الفشل الزريع. فكل تلك الكيانات فشلت واحدة تلو الأخرى. ثم تناولنا بالتحليل الشخصية الأوربية وما تتميز به من صفات على اعتبار أن الثقافة الأوربية هي الثقافة الأم أو الرافد الاساسي لكل الثقافات الأخرى مثل الامريكية وغيرها؛ وشرحنا لماذا كان النجاح الظاهري حليفهم هناك؛ وبعد هذا فلم يكن الهدف من هذا البحث هو تشخيص أو وصف المشكلات ولكن كان الهدف هو معرفة طريق الخلاص؟. في الحقيقة أني أرى طريق الخلاص لن يكون إلى بالبُعد عن الشعارات النخبوية أو تلاقي قمم الأهرام السلطوية في بلاد العالم العربي أو الإسلامي ولكن الحل سيكون من خلال انطلاق المساجد لتُمارس دورها الطبيعي التي من أجله قد بُنيت فالمسجد وأخلاق المسجد هي التي ستُثير في نفوس الناس الرغبة في العودة إلى الماضي التليد، والمسجد وليس شيء غير المسجد هو القادر على أن يكون بديلاً لحل مشكلات الأحياء الفقيرة في كل ربوع العالم الإسلامي، ولا أعتقد أن هناك مشكلة مثل التعليم أو رفع الكفاءة المهنية، أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

توفير العلاج، أو المساعدة في تزويج الشباب، أو إعالة الأسر الفقيرة كل هذه المشكلات مروراً بمشكلات المجتمع الواسع من مقاومة للاستيراد وتشجيع الاعتماد على الذات كل ذلك في ظلال مناخ من العدل والمساواة بين كل افراد المجتمع... إذا نجحنا في استعادة هذا الدور فهذا أو درجة من درجات سلم التوحد فبالمسجد بدأ صلى الله عليه وسلم في المدينة ومنه بدأ الأبطال الفاتحون في كل العصور... فالمسجد المسجد ولن ينجح حلم أو طموح خاصم المسجد أو خرج بدون تعاليمه وهديه.

النتائج

من خلال هذا البحث هناك مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها أهمها:

١) لم تفشل المشروعات الوحدوية بين بلاد العالم العربي والاسلامي بسبب المنهج الذي تبنته أو الطموحات التي كانت تسعى إليها ولكن الفشل بسبب عدم وجود قواعد شعبية تؤيد أو تعي مرامي هذه المشروعات.

٢) كان العديد من مشروعات الوحدة العربية والإسلامية تقع تحت سمع وبصر القوى الاستعمارية إن لم يكن بالدعم المباشر لها.

٣) من أسباب فشل مشاريع الوحدة العربية أنها بعيدة عن مصالح الجماهير، فلم تكن هذه الجماهير مصدر لهذه المشاريع أو حتى المستفيد المُباشر منها.

٤) الحروب التي حدثت في البلاد الأوربية كانت أكثر تدميراً وبُعداً عن أخلاقيات الحروب فلم يُراعوا فيها عهداً ولا ميثاقاً.

٥) كانت الحروب الغربية هي حروب تدميرية ولم تكن لها أي أهداف سامية حتى وإن تمسحوا بالمسوحات الدينية.

٦) خرجت البلاد الغربية من الحرب العالمية الثانية منهكة القوى ولم تُحقق أي دولة من الدول المتحاربة أي أهداف أو انتصارات جراء تلك الحروب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧) من الأسباب التي أدت لنجاح نموذج الاتحاد الأوربي هو ارتباطه بصورة مباشرة بمصالح الجماهير.

٨) كانت البلاد العربية من ضحيا الحرب العالمية الثانية فقد استسلمت للتفكك ورضيت بالتقسيمات التي فرضها المستعمر بُغية التقدم والاستقرار ففشلت في كليهما.

٩) البلاد العربية بما تشمله من ثقافة دينية شرقية يستحيل على شعوبها الذوبان في النماذج الغربية المختلفة.

التوصيات

١) يجب على العلماء توضيح للناس أهمية دور المساجد في المجتمع المسلم.

٢) على العلماء أن يتجنبوا النقاشات الفقهية والاختلافات الفكرية عندما يوجهون خطابهم لعموم الناس.

٣) يجب على العلماء أن يعلموا انهم هم أول المسئولين عن تخلف وتشرذم المجتمع المسلم.

٤) لا بُد من بناء مشروع الوحدة على أساس القاعدة الشعبية العريضة.

٥) لا يُمكن نجاح أي مشروع وحدوي يُباعد بين العرب والمسلمين وما هُمْ عليه من عقيدة.

٦) رغم حالة الضعف والهوان الذي وصلنا إليه إلا إن الأمل معقود في عودة التلاحم بين أطراف الأمة العربية ومن ثم الإسلامية من جديد.

٧) لا بُد من عودة دور المسجد كمؤسسة تهتم بإدارة شئون المسلمين على مستوى القاعدة العريضة من جماهير المسلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المراجع

المراجع العربية

١) القرآن الكريم.

٢) كُتب الأحاديث البخاري، ومُسلم وسُنن أبي داوود والترمذي وابن ماجة.

٣) خالد محمد خالد "رجال حول الرسول" ، المكتبة العصرية، ٢٠٠٦م.

٤) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفي سنة ٨٥٢هـ ، "الإصابة في تمييز الصحابة" دراسة وتحقيق الشيخ/ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥) الشيخ محمد متولي الشعراوي "تفسير سورة الكهف"، أخبار اليوم، مصر،٢٠٠٦م.

٦) أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي(المشهور ببن قيم الجوزية) "زاد المعاد في هدي خير العباد" ١٩٩٩م ط٣٠.

٧) ابن سيد الناس (أبي الفتح محمد بن محمد بن عبدالله بن محمد بن يحيى – ت ٧٣٤هـ) (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، بيروت : دار الآفاق، ١٩٧٧م.

٨) الشيخ صالح بن فوزان الفوزان "التوحيد" المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر ٢٠٠٤م.

٩) ابن القيم (محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي) : زاد المعاد في هدي خير العباد ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، بيروت – الكويت: مؤسسة الرسالة – مكتبة المنار الإسلامية –الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦م

١٠) ابن هشام (أبو محمد بن عبد الملك) : السيرة النبوية ، دمشق : دار الفكر ١٩٩٠م.

١١) كونستانس جيورجيو : نظرة جديدة في سيرة رسول الله، تعريب : محمد التونجي، د. م : الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأولى ١٩٨٣م.

١٢) عبد العزيز بن عبد الله الحميدي : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر، الإسكندرية: دار الدعوة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م.

١٣) د. محمود هاشم عنبر الاعتصام بحبل الله بين الواقع والمبشرات، الجامع الإسلامية سنة ٢٠٠٧م. بحث منشور.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

١٤) محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت ١٩٩٥م.
١٥) ابن أبي العز الحنفي "شرح العقيدة الطحاوية" الطبعة المصرية.
١٦) اسماعيل بن عمر بن كثير "البداية والنهاية" ط "المعارف"، بيروت ٢٠٠٩م.
١٧) د. محمد حسان، "الفتنة بين الصحابة– قراءة جديدة لاستخراج الحق بين ركام الباطل"، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، القهرة، مصر، ٢٠٠٣م.
١٨) سعد رستم، "الفرق والمذاهب الإسلامية منذ البدايات، النشأة– التاريخ– التنوع الجغرافي"، الأوائل للنشر والتوزيع، سوريا، ٢٠١٠م.
١٩) د. أحمد فريد "عقيدة أهل السنة والجماعة"، مكتبة فيض للتجارة والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٢٠٠٥م ص٢١٦، وما بعدها.
٢٠) موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والشر الجزء الثالث الطبعة الأولي، بيروت، ١٩٨٣م.
٢١) طاش كبري زاد "الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية"، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان ١٩٩٠م.
٢٢) الأستاذ محمد فريد بك المحامي "تاريخ الدولة العليّة العثمانية" تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان الطبعة العاشرة: ٢٠٠٦ م.
٢٣) نور الدين حاطوم "تاريخ القرن التاسع عشر أوربا والعالم" جـ١، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان،١٩٩٥م.
٢٤) محمد خريسات وآخرون، "تاريخ الحضارة الإنسانية" مؤسسة حمادة، ودار الكندي للنشر، الأردن٢٠٠٠م.
٢٥) عمر عبدالعزيز "تاريخ المشرق العربي ١٥١٦م إلى ١٩٢٢م" دار النهضة العربية للطبع والنشر، بيروت لبنان، ٢٠١٣م.
٢٦) مايكل أورين، القوة والإيمان والخيال، كلمة وكلمات عربية، أبو ظبي والقاهرة، ٢٠٠٨، ترجمة: آسر حطيبة.
٢٧) خليل إينالجيك ودونالد كواترت (تحرير)، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للدولة العثمانية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٧م.
٢٨) وهيب أبي فاضل، موسوعة عالم التاريخ والحضارة، نوبليس، ٢٠٠٧م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٩) إريك هوبزباوم، عصر رأس المال: ١٨٤٨- ١٨٧٥، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٨، ترجمة: فايز الصياغ.
٣٠) يوجين روجان، العرب من الفتوحات العثمانية إلى الحاضر، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، ٢٠١١م، ترجمة: محمد إبراهيم الجندي.
٣١) د. محمد عمارة، الإسلام والعروبة والعلمانية، دار الوحدة، بيروت، ١٩٨١م.
٣٢) علي الدين هلال، ميثاق الجامعة العربية بين القطرية والقومية، في: علي محافظة (وآخرون)، جامعة الدول العربية: الواقع والطموح، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، أبريل١٩٨٣م.
٣٣) محمد عبدالوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" المؤسسة العربية للطبع والنشر، ط٣، بيروت لبنان،٢٠٠٠م.
٣٤) إبراهيم توفيق الرابي "المنظمات الدولية، والإقليمية المتخصصة" ط٢ جامعة الأزهر ٢٠٠٦م.
٣٥) أحمد الرشيدي، "تحديث مؤسسات العمل العربي المشترك كمدخل لبناء مشروع قومي عربي جديد" القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، ١٩٩٧م.
٣٦) عبدالمنعم السيد علي "الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية: متابعة وتقييم ، في :جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الإقليمية"، بغداد: بيت الحكمة،٢٠٠٢م.
٣٧) عبدالمنعم السيد علي "الدور الاقتصادي لجامعة الدول العربية: متابعة وتقييم ، في :جامعة الدول العربية في عصر التكتلات الإقليمية"، بغداد: بيت الحكمة،٢٠٠٢م.
٣٨) إبراهيم محمد العناني، "الأمم المتحدة دراسة في ضوء النظام الثانوي للمنظمات الدولية وأهم المشكلات العلمية التي تواجهها"، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.
٣٩) طرس بطرس غالي، ومحمود خيري عيسى، "المدخل في علم السياسة" ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٠م، ص٩٨.
٤٠) الجامعة المفتوحة بالقدس "تاريخ العرب المعاصر"، ط٣، عمان، ٢٠٠٠م.
٤١) صلاح عبدالرازق "الإسلام والأمم المتحدة" أطروحة ماجيستير منشورة، جامعة ليون هولندا ٢٠١٤م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤٢) أبي بكر علي بن موسى البيهقي (المتوفى سنة ٤٥٨هـ) تحقيق د. علي عبدالحميد حامد، دار الفكر، ط٣،٢٠٠٩م.
٤٣) د. حليم بركات، "الديمقراطية والعدالة الاجتماعية: في سبيل إغناء التجربة العربية"، المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية، رام الله، ١٩٩٥م.
٤٤) محمد قاسم، أحمد هشام، التاريخ الحديث والمعاصر، دار المعارف، القاهرة ٢٠٠٦م.
٤٥) د. عبدالوهاب المسيري، "نهاية التاريخ"، دراسة في بنية التاريخ الصهيوني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
٤٦) بويد شيفر، ترجمة عدنان الحميري، القومية – عرض وتحليل ، بيروت، دار مكتبة الحياة،٢٠٠٦م.
٤٧) محمد عبدالوهاب الكيالي، "تاريخ فلسطين الحديث" المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٩، ١٩٩٠م.
٤٨) عبد الكريم أحمد، القومية والمذاهب السياسية، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للنشر ،٢٠٠٠م.
٤٩) عبدالعزيز الشناوي، "أوربا في مطلع العصور الحديثة "، جـ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٧٧م.
٥٠) عبدالعزيز سليمان نزار، "أوربا منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب الفرنسية البروسية"، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٥١) الموسوعة العلمية الميسرة، مجموعة مؤلفين، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ط٣، ١٩٨٥م.
٥٢) خليل علي مراد وآخرون، "دراسات في التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر" بغداد، ١٩٨٨م.
٥٣) انثروبولوجيا الحدود في الوطن العربي .المحرر، العدد ٢١٨، العدد ٢١٨ السنة الثالثة عشر ٢٠٠٥م.
٥٤) بيتر تايلور وكولن فلنت، الجغرافية السياسية لعالمنا المعاصر، ترجمة: عبد السلام رضوان وإسحاق عبيد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ٢٠٠٣م.
٥٥) حسن مؤنس "الشرق الإسلامي في العصر الحديث"، مطبعة حجازي القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٣٨م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٥٦) يوسف الثقفي، "دراسات متميزة في العلاقات بين الشرق والغرب على مر العصور"، دار الثقة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.
٥٧) محمد العمروسي "الحروب الصليبية في المشرق والمغرب"، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٥٨) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٤م.
٥٩) عصمت سيف الدولة، "عن العروبة والإسلام" مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.
٦٠) د. خير الدين حسيب، "آراء نقدية للمعالم الوحدوية في فكر ساطع الحصري"، مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨١م.
٦١) د. مصطفى، شاكر، مقال (عالم الثقافة المتخلفة)، مجلة عالم الفكر مج١٩، ع١، ٢٠٠٤م.
٦٢) د. حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٦٣) روجيه جارودي، "حوار الحضارات، منشورات عويدات"، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣م.
٦٤) تربية الجنس البشري، ترجمة د. حسن حنفي، دار التنوير، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
٦٥) روجيه جارودي، "ما يعد به الإسلام"، ترجمة قصي الاتاسي، وميشل الحكيم، دار الوثبة، دمشق، طبعة بيروت، ٢٠٠٦م.
٦٦) د. علي القريشي، بحث، "نحن والغرب، قراءة في التمركز الأوربي وتجلياته في المجال العربي والاسلامي"، مجلة المستقبل العربي، ١٩٩٥م.
٦٧) د. أحمد ابو زيد، ، مقال (التجربة الإسلامية)، عالم الفكر، مج١٠، ع٢، ١٩٧٩م.
٦٨) محمد غنيمي هلال، الأدب المُقارن، ط٣، دار العالم العربي، القاهرة، د.ت، ١٩٩٩م.
٦٩) أحمد رضا بك "الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق"، ترجمة محمد بورقيبة، ومحمد الصادق الزمرلي، دار بوسلامة، تونس، ط٢، ٢٠٠٦م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٧٠) زريق قسطنتين،"في معركة الحضارة" ط٢، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ٢٠٠٦م.
٧١) محمد عبدالسلام الجفائري "مشكلات الحضارة عند مالك بن نبي"، الدار العربية، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م.
٧٢) د. حسن حنفي، "في الفكر الغربي المعاصر"، دار التنوير، بيروت، ط٢، ٢٠٠٦م.
٧٣) د. محمد عمارة، "الغزو الفكري وهم أم حقيقة"، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ليبيا، ط٤، ٢٠٠٤م.
٧٤) معن زيادة "معالم على طريق تحديث الفكر الاوربي"، عالم المعرفة، الكويت عدد١١٥، ١٩٨٧م.
٧٥) د.شلتاج عبود "أثر القرآن في الشعر العربي الحديث"، دار المعرفة، دمشق، ط٤، ٢٠٠٤م.
٧٦) شفيق منير، "الإسلام في معركة الحضارة"، دار الكلمة، بيروت، ط٤، ٢٠٠٣م.
٧٧) عبدالإله بلقزيز، "محاور الإسلام والحداثة والاجتماع السياسي": حوارات فكرية. ـ بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة حوارات المستقبل العربي،٢٠٠٤م.
٧٨) محمَّد محمَّد حسين، "الإسلام والحضارة الغربية"، ط ٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢م.
٧٩) جلبير الأشقر. صدام الهمجيات: الإرهاب، الإرهاب المقابل والفوضى العالمية قبل ١١ سبتمبر وبعده. نقله إلى العربية: كميل داغر، بيروت: دار الطليعة، ٢٠٠٢م.
٨٠) "الغرب والعالم"، سلسلة عالم المعرفة، ع٩٠، ١٩٨٥م، حـ١، ترجمة د. عبدالوهاب محمد المسيري ود.هدى عبدالسميع حجازي.
٨١) د. حسين مؤنس، الحضارة، سلسلة عالم المعرفة، ع١، ط٣، ٢٠٠٤م.
٨٢) زينب عصمت راشد: المختصر في تاريخ أوربا الحديث، عبد العزيز نوار، وعبد الحميد البطريق: تاريخ أوربا الحديث، السعيد رزق حجاج: التاريخ الأوربي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحديث، مايكل أنجلو ياكوبتشي: أعداء الحوار، هـ.ج. ويلز: "موجز تاريخ العالم"، طبعة بيروت، ٢٠٠٤م.

٨٣) يوسف الحسن "البعد الديني في السياسة الامريكية اتجاه الصراع العربي الصهيوني"، لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠٠١م.

٨٤) موريس كروزيه، "تاريخ الحضارات العام" ترجمة عويدات،ج١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٤م.

٨٥) عفت الشرقاوي "في فلسفة الحضارة الإسلامية"، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٩٠م.

٨٦) محمد مصطفى كمال، ومحمد نهرا، "صُنع القرار في الاتحاد الأوربي والعلاقات العربية الأوربية"، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ٢٠٠٤م.

٨٧) عميرة محمد سعيد، "واقع وآفاق ماسترخيت"، عمان ٢٠٠٢م.

٨٨) حسن نافعة، أوربا في مطلع قرن جديد: القضايا والآفاق، مؤسسة عبدالحميد شومان، عمان، ٢٠٠٤م.

٨٩) عبد الهادي البكار، مقال " ملف أسرار الانفصال، أربعون سنة علي فشل أول نموذج لوحدة بلدين عربيين " صحيفة الزمان العراقية اللندنية،٢٠٠٢/١/١م.

٩٠) سليمان تقي الدين، مقال "العناصر التأسيسية للفكر القومي العربي" نُشر في ٢٦ يوليو ٢٠٠٩م.

٩١) منيف الرزاز "الوحدة العربية هل لها من سبيل؟" مقال نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٤م.

٩٢) بتصرف، أسامة الخولي، العرب والعولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٩٣) عبد الباري الدرة، العولمة والهوية، أوراق المؤتمر العالمي الرابع لكلية الآداب، جامعة فيلادلفيا، ط٢، ١٩٩٩م.

٩٤) سيار الجميل، "العولمة والمستقبل استراتيجية تفكير من أجل العرب والمسلمين في القرن الحادي والعشرين"، عمان، الأهلية للنشر، ط٢، ٢٠٠٠م.

٩٥) د. السيد يسين، العولمة والطريق الثالث، ميريت للنشر، القاهرة، ١٩٩٩م.

٩٦) الدكتور يوسف القرضاوي، "غير المسلمين في المجتمع الإسلامي"، طبعة بيروت ٢٠٠٦م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٩٧) عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين، فصول ومسائل تتعلق بالمساجد، مطبعة المدينة المنورة، ٢٠٠٦م.
٩٨) عبد الرحمن النحلاوي (١٤٠٣هـ) "أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع" ط٢، دمشق، دار الفكر.
٩٩) د. صالح بن غانم السدلان "الأثر التربوي للمسجد" بيروت لبنان ٢٠٠٤م.
١٠٠) علي عبد الحليم محمود، "المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي". القاهرة، دار المعارف ١٩٩٠م.
١٠١) شيت محمود الخطاب. "الوسيط في رسالة المسجد العسكرية". ط٧، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
١٠٢) سعيد إسماعيلي علي، "أصول التربية الإسلامية" القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر، ١٩٩٠م.
١٠٣) عبد الله البشير "التربية في المسجد والكتاب والخلوة" مركز البحوث التربوية والنفسية، مكة المكرمة؛١٩٨٠م.

المراجع الأجنبية

104) Charles Issawi ،An Economic History of the Middle East and North Africa Routledge ،London ،2010.
105) Klaus – Dieter Borchard , European Integration : The Origins and Growth of the European Union , European Documentation , Luxembourg : 2008.
106) Jones, Erik; Anand, Menon; Weatherill, Stephen (2012). The Oxford Handbook of the European Union. Oxford: Oxford University Press.
107) Corbett, Richard; Jacobs, Francis; Shackleton, Michael (2011).The European Parliament (8th ed.). London: John Harper Publishing. ISBN 978-0956450852.
108) Axelrod, Alan (2007) Encyclopedia of World War II, Volume 1. Infobase Publishing.
109) James A. Tyner (March 3, 2009). War, Violence, and Population: Making the Body Count, The Guilford Press; 1 edition.
110) Wells, Anne Sharp (2014) Historical Dictionary of World War II: The War against Germany and Italy. Rowman & Littlefield Publishing.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

111) Michael Meyer , The Death (and) Birth of Europe , Newsweek ,23/12/2002.
112) Wallenstein Palace Gardens". prague-guide.co.uk. Archived from the original on 5 April 2008. Retrieved24 May 2008.
113) Murdoch, S.; Zickermann, K.; Marks, A. (2012). "The Battle of Wittstock 1636: Conflicting Reports on a Swedish Victory in Germany". Northern Studies.
114) Tishkov, Valery (2000). "Forget the 'nation': post-nationalist understanding of nationalism". Ethnic and Racial Studies.
115) Peter Radan (2002). The break-up of Yugoslavia and international law. Psychology Press 2010.
116) Internal Regulations of the Secretariat-General of the League". Model League of Arab States. Ed Haynes, Winthrop University 1998,
117) Sevket Pamuk ،The Ottoman Empire and European capitalism ،1820- 1913 ،Cambridge University Press ، 1987.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملحق الاستبيان

تم توزيع هذا الاستبيان (من تصميم الباحث) على مجموعة من العاملين في مجال توجيه الرأي من خطباء مساجد وبعض الموظفين في المجال الإعلامي وعلى من له علاقة بتوجيه الرأي العام على المستوى المحلي وعلى مستوى العالم العربي والإسلامي، وتم الحصول على الإجابات من خلال المراسلة بالبريد أو الإنترنت أو المقابلة المباشرة.....

الاستبيان

السيد المحترم/

برجاء من سيادتكم الإجابة على الأسئلة التالية مع التعهد لكم بأن هذه الأسئلة أو بياناتكم المرفقة لن يتم استخدامها إلا في أغراض إتمام هذا البحث.

الاسم: السن: النوع:

الوظيفة:

المؤهل العلمي: دكتوراه/ ماجستير/ مؤهل عالي.

برجاء وضع علامة (×) أمام الإجابة التي تراها مناسبة

م	السؤال	أوافق	أوافق بشدة	ارفض	ارفض بشدة	لا أعرف
١	هل الجماهير المسلمة على وعي بأهمية الوحدة على المستوى المحلي والعالمي؟					
٢	هل يشعر الإنسان المسلم بأنه جزء من أمة كبيرة؟					
٣	هل يشعر الفرد المسلم بالحنين للأخوة الإسلامية أكبر من حنينه للوشائج والروابط الأخرى؟					
٤	هل القوى الاستعمارية كان لها يد في تفتيت الأمة العربية والإسلامية؟					
٥	هل التعامل الغربي على مستوى المؤسسات تغير في الفكر والأسلوب في التعامل مع العالم العربي والإسلامي؟					
٦	هل التعامل الغربي على المستوى الشعبي يختلف في نظرته للمسلمين عن الأجيال السابقة؟					
٧	هل الدعاة المسلمون مقصرون في التعامل تجاه تصويب صورة الإسلام في عيون الغرب؟					
٨	هل عداء الغرب للإسلام بسبب الإسلام وما يشتمل عليه من مبادئ؟					
٩	هل عداء الغرب للإسلام بسبب، الموروثات الثقافية تجاه الأفكار الدينية بصفة عامة؟					

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١٠	هل كان لسيطرة الكنيسة الغربية على كل مناحي الحياة سبب في زراعة بذور عادات الغربيين لكل الأفكار الدينية بصفة عامة؟					
١١	هل موجة العداء الغربي للإسلام في تزايد مستمر؟					
١٢	هل الإعلام له تأثير في تغيير نظرة الغربيين للإسلام؟					
١٣	هل نجحت اتفاقية سيكس، وبيكو لترسيم الحدود في تفتيت العالم العربي والإسلامي؟					
١٤	هل كان يُمكن الوقوف ضد اتفاقية سيكس و بيكو في وقتها؟					
١٥	هل من الطبيعي أن تتوافق بلاد العالم الغربي جميعها على تفتيت العالم الإسلامي؟					
١٦	هل ترى أن اتفاقية سيكس، وبيكو والدول الراعية لها امتداد، لرغبة الاستعمار؟					
١٧	هل يجب توعية النخبة الإسلامية ضد مخاطر تغريب المجتمعات المسلمة؟					
١٨	هل من المصادفة تمجيد البطولات القومية، على حساب إهمال البطولات الإسلامية؟					
١٩	هل القوى الاستعمارية اكتفت بأن تُراقب ما يحدث في العالم العربي والإسلامي من بعيد دون تدخل؟					
٢٠	هل توافق على أن القوى الاستعمارية الغربية كان لها اليد العُليا في تفتيت العالم العربي والإسلامي؟					
٢١	هل يجب توعية الناس بأهمية الوحدة على مستوى القاعدة العريضة من الجماهير الإسلامية؟					
٢٢	هل هناك علاقة بين الوحدة الإسلامية وتمسك الناس بمبادئ الدين؟					
٢٣	هل ترى أنه ينبغي الاعتراف بأن العالم العربي والإسلامي في إيجاد نموذج وحدوي، يتماشى مع مستجدات العصر الحديث؟					
٢٤	هل ترى أنه من الضروري إيجاد نموذج وحدوي للعالم العربي والإسلامي، يتماشى مع مستجدات العصر الحديث؟					
٢٥	هل يُمكن أن توافق القوى الاستعمارية بسهولة على نموذج وحدوي للعالم العربي والإسلامي؟					
٢٦	هل العالم اليوم في حالة استعداد لظهور نموذج إسلامي جديد؟					
٢٧	هل يُمكن أن يحدث توافق بين دول العالم الإسلامي على النسق الغربي (الاتحاد الأوربي) ؟					

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٢٨	هل علماء المسلمون قاموا بدورهم تجاه نبذ الخلافات الفرعية؟					
٢٩	هل ترى أنه من غير المفيد إثارة أو مناقشة الخلافات بين العلماء والمذاهب الفكرية المختلفة على مستوى العوام؟					
٢٩	هل ترى أنه يجب على العلماء دعوة كل المسلمين للمساعدة في استعادة دور المسجد؟					
٣٠	هل المسجد في الإسلام مجرد دار عبادة؟					
٣١	هل المسجد في المجتمع المسلم يُمكن أن يُدير ويُساهم في حل المشاكل الاجتماعية بكل مكوناتها من تعليم وصحة وغيرها؟					
٣٢	هل يُمكن أن يكون المسجد حاضنة للفكر المتطرف؟					
٣٣	هل يُمكن أن ينجح تلاءم مجتمعي دون أن يأخذ المسجد دوره؟					
٣٤	هل بالضرورة أن يقف المسجد ضد الحكومات حتى ينجح في ممارسة دوره في المجتمع المسلم؟					
٣٥	هل نجاح المساجد في إدارة المجتمعات يُمكن أن يكون بداية لتوحيد الصف على المستوى المحلي، ثم على المستوى العالمي؟					
٣٦	هل العاملين في وزارات الأوقاف في العالم الإسلامي على دراية كافية بدور المسجد في المجتمع المسلم؟					
٣٧	هل العاملون بإدارات المساجد في العصر الحالي مؤهلون لجعل المسجد يعود إلى دوره الطبيعي؟					

وقد قام الباحث بإرسال هذا الاستبيان بالطريقة الموضحة أعلاه، فقد قام بإرسال ٥٠٠ نسخة من هذا الاستبيان على الأشخاص المستهدفين كعينة بحثية وتلقى ٣٠٠ نُسخة مجاب عليها وتبين من تجميع البيانات وتحليلها ما يلي:

١) غالبية العينة المبحوثة لا تعرف معلومات وافية عن اتفاقية سيكس وبيكو (٢٥٠ فرد) أي بنسبة ٨٣,٣٣%، وهذا يدل على نسبة الوعي المتدنية في العالم العربي والإسلامي حول هذه الاتفاقية وهذا يؤكد ما ذهب إليه الباحث.

٢) اتفاق غالبية العينة في أنه من الضروري إيجاد نموذج إسلامي على غرار الاتحاد الأوربي ولكن بالارتكاز على المفاهيم الإسلامية.

٣) اتفاق غالبية العينة على إن العالم الغربي ينظر إلى العالم العربي والإسلامي بنفس النظرة الاستعمارية القديمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

٤) غالبية أفراد العينة يرون أن هناك تقصير من جانب الدعاة المسلمين.

٥) اتفاق غالبية العينة بنسبة تتراوح من ٨٠% إلى ٨٥% في العديد من الأسئلة الأخرى والتي تُفيد بأن المساجد لا تقوم بدورها في المجتمع العربي والإسلامي الحالي، وهذا يؤكد نتائج الدراسة السابقة التي توصل لها الباحث.

٦) اتفاق غالبية العينة ٩٠% في أن استعادة المساجد لأدوارها سيكون له فوائد كبيرة على الصعيد الخدمي وعلى الصعيد المجتمعي وهذا من شانه أن يؤدي لتوحد ونقاء المجتمع الإسلامي.

٧) اتفاق غالبية أفراد العينة ٨٠% على أن المسجد لا يُمثل حضانة مناسبة للأفكار المتطرفة.

٨) وفي الإجابة على سؤال هل المسجد مجرد دار عبادة كانت الإجابة بـ(لا أوافق) تقترب من حالة الرفض العام (٩٥%) وهذا يؤكد على إن عموم المسلمين يأملون أن يعود دور المسجد لسابق عهده لكي يُفيد المجتمع المحلي المحيط به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Summary

When we look at the world today, we see the Islamic nation that gathered by God but and the Devil divided it. Muslim sees this isolated nation. Islamic nation states have become sporadic groups each group chairman. Muslim hates this matter and wishes to return the Muslim nation is one nation, as it was. Each group have supporters claim that the right with them. The common people are confusing in this situation. Some wise people are silent, and the other people speak without knowledge. The dispute became serious and not just a difference of ideas and visions, sometimes armed conflicts between some groups occur. Some groups do not marry each other. All these things make us admit with the failure that; we fell in it.

On the other side we see Western countries have succeeded in dissolving differences between them and united. We see that the former enemies have become friends today and see the European continent exhausted itself in bloody wars. These countries are today under the banner of the European Union no national boundaries between these countries.

From the above we see the research problem in the flowing questions:

1) Are there elements of unity among Muslims?
2) Why Muslims failed despite they possess all the tools of unity and the West succeeded despite the presence of the causes of discord?
3) Through our recognition of the reasons for this failure, could we formulate a model of success?

This study consists of an introduction and five chapters; the first chapter speaks about the unity of the Islamic nation in the faith and in the curriculum. Chapter two speaks about the historical factors that led to disperse Muslims row. Chapter three speaks of the concept of the nation-state and the end of this concept on the ground. Chapter four speaks about the general characteristics in thought and personal of Western, some wars in the western country. Chapter five speaks about the learned lessons and the way back to the unity of Muslims. Then we see the recommendations and references.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com